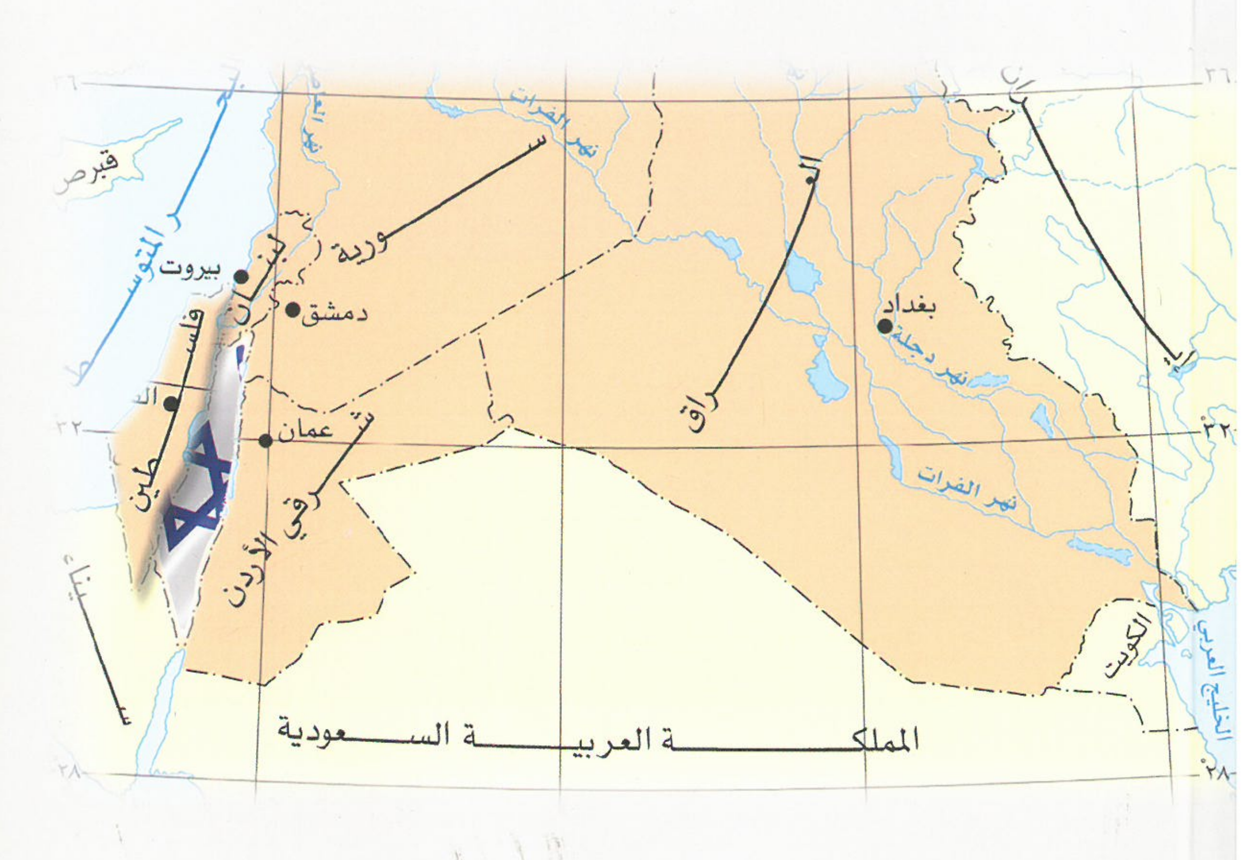
محمد السـرحي

سرقة وطن

كيف جرى تزييف تاريخ فلسطين




بيسان

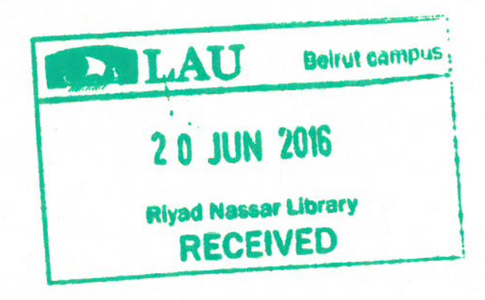
سرقة وطن

كيف جرى تزييف تاريخ فلسطين

محمد السرحي

سرقة وطن

كيف جرى تزييف تاريخ فلسطين





بيسان

● اسـم الكتاب: سرقة وطن.. كيف جرى تزييف تاريخ فلسطين
● تـأليـف: محمد السرحي
● الطبعة الأولى: كانون الثاني (يناير) 2016م

ISBN: 978 - 3899 - 11 - 167 - 5

● الناشر: بيسان للنشر والتوزيع
ص. ب: 5261 ـ 13 بيروت ـ لبنان
تلفاكس: 351291 ـ 1 ـ 961
E-mail: info@bissan-bookshop.com
Website: www.bissan-bookshop.com
Facebook: مكتبة بيسان للنشر والتوزيع

المحتويات

تمهيد 7
المقدمة 11
الفصل الأول : **البداية كانت في اليمن نبذة جغرافية تاريخية** 17
الفصل الثاني : **الوضع العام في اليمن القديم حوالى 3000 سنة ق.م.** 25
الفصل الثالث : **اليهود في التاريخ الصحيح** 35
الفصل الرابع : **العصر الفارسي** 47
الفصل الخامس : **افول العصر الفارسي وظهور الاسكندر المقدوني** 55
الفصل السادس : **القدس الفلسطينية ليست أورشليم اليمنية** 69
الفصل السابع : **فلسطين في بداية الحكم الروماني وظهور المسيح** 83
الفصل الثامن : **الفرع اليهودي الأوروبي** 89
الفصل التاسع : **قصص الأنبياء** 97
الفصل العاشر : **قصة التوراة السبعونية** 125

الفصل الحادي عشر: **شعوب حائرة في التاريخ القديم** 133
الفصل الثـــاني عشر: **المصريون القدماء** 147
كلمة أخيرة 151
المراجع 157

تمهيد

هل تاريخ فلسطين المنشور صحيح؟

هل لإسرائيل حق تاريخي في فلسطين؟

هل «أرض الميعاد» في التوراة تنطبق على فلسطين؟

هل مصر القرآن والتوراة هي مصر وادي النيل؟

هل فرعون القرآن والتوراة هو ملك مصر القبطية؟

هل ترجمة التوراة صحيحة ام ملفقة؟ وكيف تم تلفيقها؟

من هو النبي ابراهيم؟ وهل دخل إلى مصر النيل؟

ما هي قصة النبي موسى؟

أين وقعت قصة داوود وسليمان؟

من هم العابيرو وما هي علاقتهم بالعبريين؟

من هم شعوب البحر وهل ينتمي الفلسطينيون لهم؟

هل قدماء المصريين (القبط) عرباً وهل لغتهم من أصول عربية؟

وغيرها من القضايا الغامضة التي تحتاج إلى حلول وأجوبة.

هذه الأسئلة وغيرها تدور في أذهان كثيرين من القراء والمثقفين العرب، ولكن لا يتوصلون إلى أجوبة لها. لقد كنت دائما أشعر بالغربة الفكرية أثناء قراءاتي لكتب التاريخ والقصص الديني التي تتحدث عن تاريخ فلسطين والقدس بالذات، وعن وجود اليهود في فلسطين، أو عن نشوء النبي موسى في مصر أو عن قصة النبي يوسف وفرعون مصر، وقبلها هجرة النبي إبراهيم من العراق إلى مصر وفلسطين. كنت أشعر بالعداء لليهود الذين أخرجونا من ديارنا وشردونا وأتعجب كيف يمكن أن يحدث هذا؟! إذن أين هي بلادنا ومن أين أتينا؟ هل هذه الكتب التي بين أيدينا تذكر الحقيقة؟ كيف يمكن أن نكون في فلسطين لآلاف السنين أباً عن جد ثم يأتي أولئك اليهود بكل بساطة ويطردوننا من بلادنا بمساعدة الغرب كله وتحت سمع وبصر العرب والمسلمين؟ لا بد أن هناك خطأً ما! كيف يمكن التوفيق بين جغرافية قصة النبي إبراهيم في التوراة وتفاسير الكتّاب اليهود والمستشرقين وجغرافية قصة النبي إبراهيم في القرآن؟ لقد كنت محظوظاً في أنّ الجواب جاء في حياتي. أهداني صديق عام 1986م نسخة من كتاب «التوراة جاءت من جزيرة العرب» للكاتب كمال الصليبي. وحيث إنني من خريجي الجامعة الاميركية في بيروت وسبق لي معرفة الأستاذ كمال الصليبي، فقد بدأت في قراءة الكتاب فوراً. أخيراً وجدت الإجابة عن سؤالي الكبير.

فلسطين ليست لليهود. لقد احتلها اليهود وطردونا منها بمسعى خبيث ومؤامرة دنيئة عملوا على تلفيقها وتنفيذها على مدى مئات السنين منذ عام 300 ق.م.، وأكملوها في القرن التاسع عشر والعشرين عندما التقوا مع مصالح الغرب الراغب في استعادة السيطرة على بلادنا. وهكذا قررت التعمق في معرفة الحقيقة. وبدأت البحث في ماضي الموضوع ووجدت نفسي أغوص في ماضي الجزيرة العربية واليمن بالذات.

إنَّ هذا الكتاب لم يقصد به دراسة أو بحث لإثبات حقيقة أنَّ جغراقية وتاريخ التوراة وقعت في الجزيرة. إن هذه الحقيقة قائمة وقد قام باحثون

ومؤلفون عرب بطرح هذه الحقيقة على مدى الخمسة وعشرين سنة الماضية. ولكنني لاحظت أن معلومات هذه الحقيقة لم تصل إلى أذهان القراء العرب كما يجب؛ وبخاصة إلى القراء الفلسطينيين أصحاب الأرض الاصليين. فمعظم القراء الفلسطينيين غائبون عن معرفة هذه الحقيقة. لذا أحاول في هذا الكتاب أن أتوجه إلى الغالبية العظمى من القراء الفلسطينيين والعرب بغرض نشر هذه المعلومات بينهم بلغة بسيطة بعيدة عن تعقيدات البحث العلمي. لا شك أنه لمن الصعب أن تفاجىء القراء بأن فلسطين المتوسطية ليست أرض الانبياء والرسالات وأن اليمن القديم والحجاز هي أرض الانبياء والرسالات التوحيدية. إن هذا الكلام لن يعجب القراء العرب والمسلمين. إن اليهود والأوروبيين هم الذين روّجوا تلك الفِرْية منذ أن اعتنقت الامبراطورية البيزنطية الديانة المسيحية، وكان هدفهم تكريس احتلالهم لفلسطين طبقاً للتوراة السبعونية المزورة. الا أنه لا بد من طرح هذه المعلومات رغم خطورتها، مرات عديدة، حتى تستقر في أذهان القراء. المشكلة التي يعاني منها الكتّاب العرب الواعون لهذه الحقيقية هي أن معظم الكتب التاريخية العربية - ناهيك عن الكتب الأوروبية - التي كتبت بعد الفتح الإسلامي تستمد مادتها التاريخية فيما يخص فلسطين واليهود من التوراة السبعونية وكتب المؤرخين اليهود والتي كانت متوفرة بكثرة في دمشق وبغداد والاسكندرية. وقد تصفحت بعض الكتب التاريخية التي كتبها كتّاب عرب أو مسلمون عن مصر وسوريا وفلسطين، وفوجئت بأنها جميعها تنقل عن المصادر نفسها وعن بعضها البعض. ومما يؤسف له ان مؤرخين عظاماً مثل ابن سعد والواقدي والمسعودي وياقوت الحموي وابن الأثير والجوزي وابن كثير وابن خلدون وابن جرير الطبري وابي الفداء والمقريزي والجبرتي، يكتبون عن حملات البابليين والأشوريين والمصريين التي توجهت إلى اليمن القديم لتأديب القبائل العربية، ثم عندما يكتبون عن فلسطين أو اليهود ينقلون عن التوراة وكتب المؤرخين اليهود وبخاصة يوسيفوس.

ويتراءى لي أن التوراة السبعونية المحرّفة كانت موجودة ومعروفة لدى كتّابنا القدماء. ويبدو انهم اطلعوا عليها ونقلوا منها. (راجع الفصل العاشر عن التوراة السبعونية). وقد نتج عن ذلك انه تمّ إطلاق الأسماء المأخوذة من التوراة السبعونية على المواقع في فلسطين والمنطقة خلال الفترة الهلّينية الرومانية، وأن تلك المعلومات الملفقة أصبحت جزءاً من تاريخ المنطقة ودخلت في يقين القراء والناس وأصبح من الصعب انتزاعها.

هذه هي مهمة هذا الكتاب: توعية القراء العرب وتعريفهم كيف جرى تزوير تاريخ فلسطين واليمن والحجاز وكشف بعض الاسماء الملفقة. أرجو من القراء العرب والفلسطينيين بالذات أن يدركوا بأن إطلاق لقب «الأرض المقدسة» على فلسطين كان بداية العمل لتغييب تاريخ فلسطين الحقيقي ثم العمل على اغتصابها من أهلها. لا يجب أن يغضب الفلسطينيون من طرح حقيقة أن فلسطين ليست أرض الميعاد، وتالياً ليست أرض الأنبياء وأرض الرسالات. إن جميع الأنبياء ظهروا في أرض الجزيرة العربية من حيث استأنف الإنسان العاقل رحلة الانتشار في الارض. ومن الطبيعي أن الرسالات الدينية ظهرت هناك حيث كان يوجد بشر وحيث كانوا يحتاجون إلى الهداية والإرشاد. فعندما بدأ الإنسان رحلته من اليمن إلى باقي أصقاع الأرض كانت العراق وسوريا وفلسطين ومصر غير مأهولة وخالية من البشر. لذا كان من المستحيل ومن غير المنطقي ومن غير المطلوب، ظهور الأنبياء والأديان في أراضٍ غير مأهولة.

المقدمة

إنَّ اغتصاب فلسطين عملية استعمارية بامتياز، شارك فيها اليهود والغرب بالتزوير والتخطيط والتنفيذ وبدون أي سند أو حق تاريخي سواء من التوراة أو التاريخ القديم. لقد عمل اليهود الأوروبيون على احتلال فلسطين بقوة السلاح وساعدتهم في ذلك أوروبا، ومهدت بريطانيا لهم الطريق من خلال استعمار فلسطين. وبعد ذلك ساعدتهم فرنسا على بناء الدولة والجيش. وقد أدى ذلك إلى طرد أهلها الفلسطينيين وتشريدهم في بقاع العالم.

هكذا، بالخديعة والتزوير والتلفيق والقوة والمؤامرات، سَلَبَنَا اليهود فلسطين وساعدهم في ذلك جيش من علماء الآثار والمستشرقين والكتّاب التوراتيين الذين كرّسوا كتاباتهم على مدى القرون الماضية، ولا يزالون، للترويج للتوراة المزورة ولا يهام الناس بأن فلسطين العربية هي أرض الميعاد التي وقعت فيها أحداث التوراة وأن لليهود حق تاريخي وديني فيها. وهكذا تعرّض تاريخ وجغرافيا فلسطين وسوريا ومصر والجزيرة العربية لأكبر عملية طمس وتزوير وتغييب في التاريخ، بغرض خلق تاريخ جديد للمنطقة واستخدامه للاستيلاء على فلسطين وطرد أهلها الحقيقيين الذين عمّروها وانشأوا مدنها

وسكنوا سواحلها وجليلها منذ آلاف السنين؛ تماماً مثلما عمل المؤرخون الأوروبيون على طمس كيفية انتقال بدايات الحضارة إليهم من المشرق وعن طريق الاندلس وعمدوا إلى نسب بدايات الحضارة إلى الإغريق.

لقد بلغت الجرأة والغرور والغطرسة والاستباحة بالكتّاب اليهود حداً غير مسبوق. فقد وضع كاتب يهودي يدعى إيمانويل فلايكوفسكي كتاباً في سنة 1952 أسماه «عصور في فوضى» محاولاً أن يثبت بأن اليهود دخلوا مصر وأقاموا فيها وهربوا منها رغم أن التاريخ المصري القديم المحفوظ في الأرشيف القبطي لم يذكر إطلاقاً لا من قريب ولا من بعيد، دخول جماعات يهودية إلى مصر أو الخروج منها بالشكل المذكور بالتوراة ولا بأي شكل آخر. وتقوم فرضية هذا الكاتب اليهودي على سقوط حوالى ستمائة سنة من التأريخ المدوّن؛ وأن دخول وخروج اليهود من مصر وقع خلال تلك السنوات الضائعة. وعليه، طالب بإعادة كتابة تاريخ الدول الأشورية والبابلية والقبطية بحجة أن تاريخ تلك الدول عن بلاد القبط والشام وفلسطين الذي بين أيدينا الآن خِلْوٌ من أي ذكر لبني إسرائيل واليهود، سواء في العراق أو في فلسطين أو مصر، وهو لا يتطابق مع التاريخ المستقى من التوراة. وحيث إن ما جاء في التوراة «الملفقة» حقيقة ثابتة (حسب اعتقاده) لا تخضع للمراجعة، فيجب تصحيح التاريخ المكتوب لتلك الدول. تلفيق في تلفيق! لقد وصلت الجسارة باليهود إلى حد طلب تغيير التاريخ العالمي بما يناسب تاريخهم الملفق. أنظرْ إلى أي مدى يذهب خيال كاتب يهودي لكي يثبت مصداقية التوراة الملفقة! لقد بدأ الكَتَبة اليهود منذ عام 300 ق.م أكبر عملية تزوير لتاريخ وجغرافية الشام والعراق ومصر في محاولة ماكرة ومدروسة لإدخال تاريخهم في صلب تاريخ الشام وفلسطين بالذات ومسح أي ذكر لهم في تاريخ اليمن القديم، ما رسّخ ذلك التلفيق في معتقدات شعوب المنطقة والعالم. وقد عكف جمعٌ غفيرٌ من الكتّاب الأوروبيين والأميركيين على مدى الأربعة قرون الأخيرة على إعادة كتابة تاريخ منطقتنا العربية بما يخدم نظرية «أرض الميعاد

التوراتية في فلسطين» وتلفيق تاريخ ووجود لبني إسرائيل في فلسطين ويمهد الطريق للإمبريالية الأوروبية لإعادة احتلال بلادنا.

إن تاريخ المنطقة المكتوب من قبل المؤرخين الاوروبيين والغربيين قائمٌ على الظّن والتخمين والتلفيق بما يناسب عصمة التوراة المزورة وإنكارهم حقيقة أن «الاصل من اليمن» ورغباتهم المبيتة في إعادة استعمار بلادنا. إن جميع الكتابات التوراتية التي تفسِّر التوراة كاذبةٌ؛ لزعمها بأن أحداث التوراة وقعت في فلسطين ومصر. إنَّ هذا الزعم مُجافٍ للحقيقة. وحيث إن أهل المنطقة [مثل أهل مكّة] أدرى بشعابها، فإن كتب الإخباريين العرب - أمثال ابن حبيب والطبري ووهب بن منبه ونشوان بن سعيد الحميري - هي أصدق من تلفيقات وتخريجات المستشرقين الغربيين الذين يستنكرون أن تكون بدايات الحضارة والأديان من عندنا. ولقد بذل الكتَّاب والمؤرخون الصهاينة والغربيون خلال القرون الأولى بعد الميلاد، كل ما في وسعهم لرسم جغرافيا جديدة وتاريخ جديد للمنطقة العربية (مصر والعراق وسوريا بما فيها فلسطين) مستوحين ذلك من التوراة السبعونية الملفقة وكتب الكاتب اليهودي فلافيوس. وبناءً على ذلك تمَّ طمس تاريخ سوريا وفلسطين القديم وتزوير تاريخ جديد لهما وتغيير مئات أسماء المدن والقرى والأنهار والجبال والمواقع والشعوب لتتوافق مع التوراة تبريراً لاغتصاب فلسطين البحر المتوسط. لقد تمَّ تغيير حركة التاريخ لتماشي أحداث التوراة ورغبات المستعمرين. لقد أصبحت كتب التاريخ التي بين أيدينا وتدرَّس في مدارسنا، هي التاريخ السائد للعراق القديم ومصر وسوريا ولبنان وفلسطين. وهي، حسب رأيي، تحمل في طياتها تاريخاً مزوراً وملفقاً.

إنني لعلى يقين بأن أحداث التوراة بمجملها وقعت في اليمن والحجاز وليس في فلسطين والعراق والشام ومصر. وأن جميع مرويات التوراة تتحدث عن جغرافيا الجزيرة العربية وليس فيها ما يطابق جغرافية فلسطين إطلاقاً. وهذا القول يخالف قناعات كثيرين من العرب الذين نسخَ في اعتقادهم على مدى

قرون طويلة، بأن الأنبياء؛ إبراهيم وموسى ويوسف وعيسى وسواهم، قد وجِدوا في فلسطين ومصر. وهذا الاعتقاد غير صحيح ويغالط الحقيقة التي يكشفها هذا الكتاب، ألا وهي أنَّ اليمن ومنطقة الحجاز، وليس فلسطين، هي الأرض التي وقعت فيها أحداثُ التوراة، وأن الانبياء جميعهم ولدوا وعاشوا وماتوا في اليمن والحجاز. إن اسم مصر المذكور في القرآن الكريم صحيح؛ ولكن القرآن يعني مصرَ أو أمصاراً أخرى كانت في اليمن والجزيرة وليس مصر التي في أفريقيا الآن.

ولقد راعني أنَّ معظم العرب يجهلون أصول بني إسرائيل واليهود ويعتقدون بأنَّ بني إسرائيل واليهود وجدوا في فلسطين. لذا أقدم كتابي المختصر هذا من أجل توعية القراء العرب وهزِّ المعتقدات الخاطئة والسائدة بين الناس والتي تم بناؤها وتغذيتها من قبل الإسرائيليات وقدماء المسيحيين الذين تأثروا بتفسيرات اليهود على مدى عصور كثيرة. لقد وقع العرب والمسلمون تحت تأثير الشائع العام الذي كانت تغذيه حكايات الأهل ورجال الدين المضللين. فقد تأثر الناس بأئمة المساجد والعلماء الدينيين وكذلك الشروحات الإسلامية التي استند الكثير منها إلى الإسرائيليات والتوراة السبعونية وكتب التوراتيين. كما ساهمت مناهج المدارس ودعايات الإعلام في نشر المعتقدات الملفقة والتاريخ المزور لأحداث التوراة دونما انتباه. ولا أبرئ المفسرين العرب والمسلمين الذين عكفوا على تفسير القرآن الكريم في بداية عصر التدوين، مستعينين بقصص التوراة وكتب اليهود، ما أدَّى إلى نشوء معتقدات خاطئة لدى المسلمين حول جغرافية بعض الأحداث المذكورة في القرآن. لقد تعمدت ألاَّ أغرق هذا الكتاب بالمعلومات المفصلة والتعليقات حتى لا يملَّ القارئ؛ إلا أنَّه بإمكان القارئ الراغب بالتوسع أنْ يعود إلى المراجع المذكورة في آخر الكتاب.

وقد طفح الكيل بأحد المؤرخين الاسرائيليين المدعو «شلومو صاند» الاستاذ الجامعي الذي كتب كتاباً بالفرنسية عنوانه: «كيف تمَّ اختراع الشعب

اليهودي» صدر عن «دار فايار» في باريس عام 2008. وقد كتبت صحيفة الخليج الإماراتية عنه في يناير 2010 كما نشرت ملخصاً وعرضاً للكتاب (446 صفحة) بقلم بشير البكر. يبين شلومو صاند كيف تمَّ اختراع الشعب اليهودي من التوراة إلى الصهيونية. وكتاب صاند يتولى من وجهة نظره، حل القضية بشكل نهائي مؤكدا بأنَّ الشعب اليهودي لا وجود له. ويروي صاند مراحل اختراع الشعب اليهودي عبر مراحل تاريخ المنطقة ويتساءل: «وهل يمكن الحديث عن شعب يهودي وجد واستمر آلاف السنين بينما زال كثير من الشعوب الاخرى؟». .

كيف ولماذا اصبحت التوراة كتاب تاريخ يروي نشوء أمة علماً بأن لا أحد يعرف بدقة متى كتبت؟ هل هاجر اليهود فعلاً من مصر؟ هل وجدوا أصلاً فيها ليهاجروا منها؟ هل تم فعلا نفي سكان مملكة يهودا بعد تدمير الهيكل أم أن ذلك لا يعدو كونه اسطورة مسيحية؟ ويذكر صاند بأنه ليس هناك وثائق تاريخية تثبت طرد الرومان لليهود في أي وقت من الأوقات (ملاحظة الكاتب: لأنه لم يوجد شعب يهودي في فلسطين أثناء حكم الرومان). ويعترف صاند بأن اليهود المعاصرين لا يتحدّرون من أصول اليهود القدامى الذين عاشوا على أرض إسرائيل القديمة، ولا يوجد ما يسمى العِرْق اليهودي. وقد تمَّ ترجمته إلى اللغة العربية من قبل المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية (مدار) في أيلول 2010 ويمكن للمهتم أن يقرأ ملخصاً له على الشبكة تحت اسم كتاب شلومو ساند. وقد صدر للمؤلف جزء ثان عام 2014 تحت اسم: «اختراع أرض اسرائيل» من (مدار) أيضاً، ترجمة أنطوان شلحت وأسعد زعبي. وفي الجزء الثاني يورد المؤلف الوقائع التي توصل إليها والتي تفنّد الاكاذيب التي قدمتها الحركة الصهيونية لدعم ادعاءاتها وتبرير مشروعها وما ترتب عليه من آثار مدمرة لشعب فلسطين العربي. ويرى ساند أنّ هدف الحركة الصهيونية من تلك الأكاذيب هو الاستفادة منها لتبرير اختلاق قومية جديدة وتاريخ جديد لفلسطين وتبرير استعمار وسلب أرض فلسطين باعتبارها «الوطن الموعود» لليهود منذ أقدم العصور.

وقد جاءت التوراة السبعونية وطمست أي ذكر أو إشارة لبني إسرائيل في الجزيرة وزورت تاريخاً جديداً لبني اسرائيل في مصر والعراق وفلسطين بغرض زرع وجود لهم في فلسطين واختراع حق إلهي. ثم جاءت الحركة الصهيونية بالاتفاق مع الحركة الاستشراقية والكتاب التوراتيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وبدأوا في تحويل الوهم «وَهْم وجود أرض اسرائيل» إلى حقيقة في أذهان الناس، ثم بعد أن ترسخ الوهم في التاريخ والعقول، عملوا على خلق وطن للشعب المُختَرع. مراحل ناجحة مرت بها الحركة الصهيونية ونَصْب عينيها ثلاثية الأساطير المؤسِّسة للدولة الصهيونية: شعب الله المختار والوعد الالهي لشعب الله المختار والعودة الى ارض الميعاد، وقد حققتها كلها بمساعدة النهج الاستعماري الأوروبي الأميركي. وهذا الكتاب يحاول أن يلقي الضوء على التزوير الذي ألحقه اليهود بتاريخ فلسطين وكذلك كشف الغموض الذي يكتنف كثيراً من القضايا العربية القديمة.

محمد السرحي

بيروت 2014

الفصل الأول

البداية كانت في اليمن
نبذة جغرافية تاريخية

كيف كانت اليمن بعد أن استوطنها الإنسان!؟

يؤكد معظم المؤرخين الكبار، أمثال ديورانت وتوينبي وراسل «أنَّ مهد الحضارة كان في اليمن»، لأن اليمن القديم كانت ولا تزال أول أرضٍ تطأها أقدام الإنسان العصري الناطق العاقل (الهومو سابيان) الذي خرج من أفريقيا هرباً من الجفاف والجوع. وقد هاجر الإنسان القديم من ساحل القرن الأفريقي إلى اليمن في الفترة من 200000 ـ 150000 عام ق.م.، مشياً على الأقدام عابراً الوادي بين ساحل القرن الأفريقي واليمن، متسلقاً باب المندب الذي كان ملتصقاً بأفريقيا في العصور السحيقة، وذلك قبل أن تغمر الوادي المياه الناتجة عن الذوبان الكبير الأول والثاني (14000و7800ق.م) خلال عصور الدفيئة، وتحوّله إلى البحر الاحمر. ومنذ ذلك الزمن انتشر الإنسان في أصقاع الأرض وكوّن الأمم والشعوب المختلفة حسب الأماكن والبيئات الجديدة التي استوطنها. وإنه لمن الصعب الاعتقاد بأنّ جميع البشر أصلهم من أفريقيا[1]،

(1) يتراءى لي أن شعوب الشرق الاقصى (مثل أهل الصين واليابان واندونيسيا وماليزيا والفليبين وسيام وفيتنام) يتحدرون من نوع مختلف عن أصول شعوب الشرق الاوسط وأوروبا حيث أن ملامح تلك الشعوب أقرب إلى ملامح القرود التي توجد في الشرق الاقصى. وعلى كل نترك تقرير ذلك للعلم.

ولكن العلماء وضعوا هذه النظرية تحت الفحص بأنْ تتبعوا خط سير الحمض النووي (D.N.A) للبشر الموجودين في أستراليا وجزر الملايو والفلبين وسومطرة والصين واليابان والهند والقوقاز، وكذلك بشر أمريكا الجنوبية. وقد انتهت بهم الرحلة إلى اليمن ومنطقة القرن الأفريقي. إلاّ أنه يجدر الانتباه إلى أنّ بعضاً من الإنسان المنتصب الناطق العاقل هو الذي هاجر من أفريقيا، بينما البعض الآخر بقي في أفريقيا وما لبث أن انتشر فيها وهو سلف الإنسان الأفريقي الحالي.

يقول العلماء إن الجليد كان، قبل ذلك الزمن، يغطي شمال الكرة الأرضية ما عدا خط الاستواء، وبالذات وسط وجنوب القارة الأفريقية ومنطقة القرن الافريقي والتي يقع فيها الوادي الخسيف حيث نشأت البشرية الأولى. وكانت جزيرة العرب تتصل بأفريقيا عند باب المندب. وقد تسبب الجليد في موجة من الجفاف اجتاحت الكرةَ الارضية دُعيت بالعصر الجليدي. ثم جاءت موجة من الاحترار المناخي حوّلت الغابات إلى صحارى؛ الأمر الذي دفع الإنسان إلى أن يهاجر من أفريقيا إلى الساحل المقابل، أي اليمن، في موجات بحثاً عن الطعام وهرباً من الطبيعة القاسية. وقد مكث الإنسان القديم فترة في اليمن قبل أن يتابع طريقه شرقاً وشمالاً وينتشر في أرجاء الكرة الارضية. وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بأن حضارة الانسان الحالية على الأرض، بعد الهجرة من أفريقيا، تعود إلى أكثر من مئتي ألف سنة. ويعتقد العلماء بأن بشراً سابقين خرجوا من أفريقيا منذ حوالى أربعمائة ألف سنة وانتشروا في آسيا وأوروبا عُرفوا بإنسان هايدلبرغ ونياندرتال وإنسان جاوه وبكين وعاشوا في العصر الجليدي في أوروبا وآسيا ولكنهم زالوا عن وجه الأرض مع وصول الإنسان العاقل الهومو سابيان الناطق (الإنسان المعاصر) الأكثر تطوراً وتكيفاً مع طبيعة الأرض والمناخ المتغيرة، والذي أقام الحضارة الحالية.

وثمّة نظريةٌ حديثةٌ تعود إلى عام 2008 أطلقها الباحث اليمني الدكتور علي

محمد الميري من جامعة فلوريدا استنادا إلى بحثٍ علمي، تفيد بأنَّ اليمن هو مهد الإنسان الأول، ومنها انطلقت الهجرات إلى جميع أصقاع الدنيا على أساس أن الحمض النووي الذي تمَّ تتبعه في مختلف المناطق يعود إلى نقطة بدايةٍ في اليمن وليس إلى أفريقيا. ولا تزال هذه النظرية تخضع للتجارب والبحث.

وعلى كلٍّ، سنعتبر أفريقيا هي منبع البشر الأولى وأنَّ اليمن هي مهد الحضارة، أي أن الإنسان المهاجر الأول من أفريقيا إلى اليمن هو أول من تحضَّر وتحوَّل من الصيد والالتقاط والقطف، إلى الزراعة وتربية الدواجن وتدجين الحيوان، وتوصل إلى اللغة والكتابة والعقل الاجتماعي، وأطلق الأسماء على الأشخاص والحيوانات والأماكن والأشياء، وصنع الأشياء وتوصل إلى الزراعة والاستفادة من الطبيعة المحيطة به، والتي امتدَّ تأثيرها على أوروبا الجنوبية ومناطق البحر الابيض المتوسط وآسيا. إذن؛ اليمن هي الأصل ومنطلق الهجرة الإنسانية الأولى إلى مختلف أصقاع الكرة الأرضية. وأضيف هنا بأنَّ الحقبة الدينية الأولى (الطوطمية) والحقبة الثانية عندما بدأ الإنسان يبحث عن القوة التي خلقت الارض والبشر، كلها بدأت في اليمن. وحيث أن الإنسان العاقل الخارج من أفريقيا إلى اليمن استقر فيها قبل أن ينطلق في هجرته إلى باقي المناطق فإن كل شيء بدأ في اليمن، وتالياً فإن جميع الديانات القديمة وبدايات الحضارات القديمة بدأت في اليمن والحجاز وليس في العراق أو فلسطين أو مصر كما يدّعي اليهود والمستشرقون الصهاينة. إنَّ جميع الديانات التي تبلورت في العراق القديم ومصر وسوريا تحمل في أسسها المرتكزات الدينية الأولى التي نشأت في اليمن.

وقد أثبتت الإكتشافات والبحوث العلمية الحديثة بأن أصول الإنسان الحديث تعود إلى اليمن وأفريقيا الشرقية. وحسب النظريات العلمية الحديثة فإن البشرية الأولى ظهرت في منطقة الوادي الخسيف في القرن الافريقي منذ حوالى سبعة ملايين سنة خلت. وقد استغرق البشري الأول كل تلك السنين ليمر

بمراحل معقدة من التطور من البشري الشبيه بالقرد إلى الإنسان المنتصب القادر على الهجرة. وتدل الأبحاث الجيولوجية بأن الجزيرة العربية كانت في العصور السحيقة ملتصقة بشرق القارة الأفريقية ثم انفصلت عنها جراء التغييرات التكوينية التي اجتاحت الكرة الأرضية على مدى ملايين السنين.

كانت اليمن والجزيرة العربية عموماً خلال العصر الجليدي وقبل الذوبان الكبير الذي بدأ حوالى سنة 14000 ق.م. جنةً ورفاء فيها الغابات والأنهار وتتمتع بالطقس المعتدل الممطر في معظم الفصول. ولذا دعيت باليمن السعيدة. ثم بدأ الجليد بالذوبان تدريجياً بفعل موجات من الاحترار المناخي خلال العصور الدفيئة، ما أدَّى إلى اندفاع مياه البحار على وجه الأرض عموماً، وقد غمرت معظم الوديان والشواطئ التي كانت قائمة زمن الجليد ومنها الوادي الذي كان قائماً بين القرن الأفريقي الشرقي وجنوب الجزيرة العربية مُشكِّلة البحر الاحمر. وكذلك اجتاحت مياه الذوبان وادي الخليج العربي وغمرته وغطت حضارة دلمون (تلمون) القديمة التي كانت منتشرة على سفوح الوادي بين ساحل الجزيرة العربية الشرقي من البحرين شمالاً وسواحل ايران العليا وكذلك موطن السومريين الأول في أعالي الخليج. وقد تسبب ذلك الذوبان بالطوفان المعروف في معظم ثقافات الشعوب القديمة.

وبعد الذوبان، أدَّت موجة الاحترار المناخي إلى تغير طبيعة الأرض والمكان. فمع ارتفاع درجات الحرارة قلّت المياه وجفّت الأنهار، ما أدَّى إلى اندثار كثير من الغابات. كما أنَّ البراكين (راجع قصة سدوم وعموراء) أدَّت دورها في تغيير طبيعة أرض الجزيرة تدريجياً حتى أدركها التصحر في العديد من مناطقها. إن أرض الجزيرة لا تزال تختزن قصص الحضارات التي تعاقبت عليها وتنتظر الجهد والظروف المناسبة للكشف عن أسرارها. ولقد حاول المؤرخون العرب والاوروبيون الكشف عن تاريخ اليمن والجزيرة بقدر ما تسمح به الإمكانات والمعارف المتناقلة؛ ولكن يبدو أن أبعد ما توصلوا إليه هو الفترة

ابتداءاً من القرن الثلاثين قبل الميلاد وصولاً إلى العصر الحالي. وأعني باليمن هنا اليمن الجغرافي أيْ جنوب الجزيرة وليس اليمن السياسي. لقد اعتبر المؤرخون القدماء كل ما يقع جنوب مكة (أي صرَّة الأرض) هو يَمَناً، أي جنوباً وكل ما يقع شمال مكة، شاماً.

ويقسم المؤرخون تاريخ اليمن المعروف إلى فترات كالتالي:

أ - الفترة القحطانية وتمتد من القرن الثالث والعشرين حتى القرن الثامن قبل الميلاد، وهي فترة نشوء القبائل القديمة. وأعتقد بأن المقصود بالفترة القحطانية نسبتها إلى القحط الذي أصاب الجزيرة بعد فترة الخصب مما أدَّى إلى حراك هائل للقبائل داخل الجزيرة وخارجها بحثاً عن الطعام والمأوى. وفي تلك الحقبة بالذات هامت القبائل بحثاً عن وطنٍ و«أرض ميعاد» لها. إن ايجاد أرض ميعاد جديدة تفيض عسلاً ولُباناً[1] كان الوعد الذي حرَّك جميع القبائل اليمنية. وعند بدء التأريخ نسبت تلك القبائل التي هي ابنة القحط إلى جدٍ أكبر دعي قحطان. وقد نسجت التوراة على المنوال نفسه بردِّ أصول بني إسرائيل إلى جد أول هو «عابر»، بعد أن بدأت القبائل حراكها وعبورها من المناطق المتصحّرة إلى المناطق الخضراء على السواحل. وكِلا الإسمين: قحطان وعابر هما إسمان مجازيان.

ب - ثم تلتها فترة العَدْن أو الكَنْع أي الاستقرار في الأرض. وهي فترة نشوء الحواضر والممالك مثل مملكة سبأ ومملكة حضرموت ومملكة معين

(1) الصحيح لُباناً وليس لبناً. فقد كان الإنسان في تلك الفترة يعيش على خيرات الطبيعة. وقد اشتهرت اليمن بالشجر الذي يسيل لبانه أو لبنه ومنها شجر الكندر. وكلمة لبان من المصدر لبن بمعنى لبن الشجر. إنَّ البلاد التي تفيض عسلاً ولبانا (أي لبن الشجر) هي اليمن وجنوب الجزيرة العربية وليس فلسطين التي لم يعرف بأن لأشجارها لبنا أو انها تؤوي نحلاً ينتج عسلاً. وقد كانت القبائل اليمنية تمضغ اللبان وتستخدمه كبخور للآلهة وكذلك في الطب الشعبي وبعد ذلك كانت تتاجر به وتصدره إلى بلدان العالم القديم.

وقتبان وأوسان وبعد ذلك مملكة حِمْيَر التي استمرت حتى القرن السادس الميلادي. وقد دعيت تلك القبائل بالكنعانية أي المستقرة في الأرض باللغة اليمنية القديمة ودعيت مناطقها ببلاد كنعان أو ساحل كنعان. أمّا القبائل التي هاجرت شمالاً فقد نسبت نفسها إلى جدٍ أكبر دعي «عدنان» بسبب عَدْنها في الأرض أي استقرارها ومنها شعب مُضْر وبني كنانة الذين سيطروا على كامل الساحل الشرقي للبحر الأحمر[1] أي ساحل الحجاز. وإلى جوار تلك الممالك كانت توجد ممالك صغيرة لم تعمّر كثيراً. وقد وجدت تلك الممالك جنباً إلى جنب، بعضها عمَّر لفترة طويلة وبعضها اندثر مثل مملكة معين[2] التي انتهت بعد مئة سنة. ويطلق على تلك القبائل اسم «الكنعان» أي المستقرة في الأرض تمييزاً لها عن القبائل العابرة أو العبرية أي دائمة الحراك.

ويبدو أنَّ الممالك اليمنية لم تكن أكثر من تحالف قبائل متقاربة عرفت باسم مخلاف وليس مملكة، وكان يطلق على زعيمها اسم «ملك» تجاوزا. ويفيد المؤرخون العرب القدماء أنَّ لفظة ملك كانت تطلق على كلِّ مَنْ يملك مغارةً ومواشي في الماضي السحيق. وقد كان الانتماء القبلي هو السائد آنذاك. ويجدر الانتباه إلى أن مصطلح مملكة في ذلك الزمان لم يكن يعني دولة بالمعنى المعروف. فبعض تلك الممالك لم

(1) يذكر المؤرخون اليمنيون القدماء بأنَّ مملكة حمير أعطت اسمها للبحر الأحمر ولجبال تهامة التي عرفت باسم سَراة حِمْير. كما يعتقدون بأن الفينيقيون كانوا من مملكة حمير ثم هاجر قسم منهم إلى أفريقيا حيث أسّسوا ممالك هناك؛ وقسم آخر هاجر إلى البحرين وفريق ثالث هاجر إلى سواحل سوريا حيث أسّسوا المدن والممالك هناك وعرفوا بالتاريخ تحت اسم الفينيقيين. إن علماء اللغة يربطون بين كلمة فنق (فينيق) وكلمة حمير. وكلتاهما تعني اللون الأحمر.

(2) يعتقد بأن بعض أهل تلك المملكة هاجروا إلى جزيرة كريت في البحر المتوسط ولنشأوا حضارة مزدهرة عرفت باسم الحضارة المينية. والصحيح المعينية إذ إن حرف العين كان يسقط في لفظ العرب الذين استعمروا شواطئ اليونان وجزر البحر الابيض، كما أن المؤرخين الاوروبيين لا يجيدون قراءة ولفظ حرف العين.

يكن أكثر من مشيخات في بقعة محدودة من الأرض وبعضها الآخر كان أكبر من ذلك، وقد وجدت جميعها جنباً إلى جنب في الجزيرة وقامت بينها تحالفات ومناوشات وحروب للسيطرة على الأرض والثروات وتقاتلوا كذلك بسبب الخلافات الدينية حيث أن عبادة الآلهة المختلفة كانت منتشرة بين القبائل.

ج - إلى جانب تلك الممالك وخلف الجرود (اليردن) والسَّراة (المرتفعات الجبلية) وفي البوادي كانت تسرح قبائل بدوية رعوية عديدة غير مستقرة عرفت باسم العُبران (أطلق عليها هذا الوصف بعد عبورها حاجز السَّراة الذي يفصلها عن مناطق الاستقرار. وهناك رأي يردّ أصلَ العبرانيين إلى ولاية عبري بجانب ولاية سمائل «صموئيل التوراة» في سلطنة عُمان الحالية. وقد آثرت القبائل العبرية أو العابرة أن لا تنضوي تحت أيٍ من الممالك كما أنها لم تكن مقبولة من التحالفات المدينية القائمة.

كانت تلك الممالك والقبائل تعيش في اليمن والحجاز فيما عُرف بالعبران والكنعان[1]؛ إمَّا في سلام متقطع أو في حروبٍ متعددة للسيطرة على الأرض والماء وخلافه. وكثيرٌ من تلك القبائل لم تستمر وأصبحت تُعرف في التاريخ بالقبائل البائدة.

ويقول المؤرخون العرب بأنَّ القبائل الكنعانية التي استقرت في الحواضر والقرى كانت موجودة في ساحل الجزيرة العربية شرقي البحر الأحمر والجنوب الغربي للجزيرة. ويبدو أنَّ هذا الساحل اكتسب اسمه في الماضي «الساحل الكنعاني» من القبائل الكنعانية التي سكنته. وقد تغير اسمه بعد اضمحلال القبائل

(1) إنَّ صفة العبران كانت تطلق على جميع قبائل البدو الرحل وصفة الكنعان كانت تطلق في المقابل على قبائل الحضر المستقرين في قرى ومواضع ثابتة في الساحل الغربي لليمن والحجاز (تهامة). وقد اكتسب الساحل إسم بلاد كنعان نسبة إلى القبائل الكنعانية (أي المستقرة) التي كانت تقطنه. ومن هنا انتقل الاسم إلى التوراة.

الكنعانية إلى ساحل تهامة. وهو الساحل نفسه الذي يحدّه شرقاً مرتفعات أو سَراة حِمْير التي تضم بلاد غامد وزهران. إذن إن تسمية بلاد كنعان الواردة في التوراة تقصد هذا الساحل وليس فلسطين البحر المتوسط كما يدّعي الكتّاب التوراتيون. علماً بأن القبائل التي هاجرت إلى ساحل سوريا الطبيعية هي الفلستية والفينيقية[1]. ويقول المؤرخون العرب القدماء أيضاً، إن القبائل الرُحّل التي كانت تعيش في البادية خلف جبال سَراة حمير كانت تدعى القبائل العبرانية وذلك حوالى سنة 4000 قبل الميلاد وقبل ظهور النبي ابراهيم والنبي موسى وكذلك قبل ظهور بني اسرائيل. إذن لا يمكن إطلاقاً الربط بين بني إسرائيل والعبران.

أمّا وسط الجزيرة العربية فقد كان مسرح حراك لقبائل عرفت لدى المؤرخين العرب بالآرامية والعمورية (أو العامرية) والتي هاجرت فيما بعد إلى سوريا الطبيعية وأسّست ممالك ودولاً في العراق وسوريا مثل آكد وبابل وآشور وماري وآيبلا (عبلة) وأوغاريت وغيرها. ويؤكد المؤرخون القدماء بأن العموريين (أو الاموريين كما يلفظها الكتّاب الغربيون) ومنهم الفينيقيين أي الحميريين، هم الذين استوطنوا الساحل السوري وأسّسوا الدول المدن مثل صور وصيدون وجبيل وغيرها على الساحل الفلسطيني.

(1) إنَّ أصل الفينيقيين من اليمن وهم والفلستيون أخوة. والاعتقاد لدى بعض اللبنانيين الذي يقول بإن الفينيقيين وجدوا في الساحل اللبناني وليس لهم علاقة بالهجرات العربية ليس صحيحاً. إذ إن معظم المؤرخين القدماء يقولون بإن الفينيقيين جاؤا من الساحل الغربي لجزيرة العرب أي من اليمن. وقد استعمر الفينيقيون معظم سواحل البحر الابيض المتوسط وأسسوا محطات تجارية ما لبثت أن تحوَّلت إلى مدن عامرة لا تزال موجودة إلى اليوم ومنها بيروت وجبيل وصيدا وصور وأثينا وطيبا وكنسوس وروما ومرسيليا وغيرها. ودائماَ كان الأصل من اليمن. ولا ننسى أنَّ كلمة فينيق تعني الأحمر [القاني الأرجواني] وحِمْير اليمن كانت في ساحل البحر الاحمر.

الفصل الثاني

الوضع العام في اليمن القديم حوالى 3000 سنة ق.م.

1 ـ الوضع السياسي والصراع على الأرض

عُرفت القبائل اليمنية القديمة من قبل الإخباريين العرب القدماء وقبل بدء الاستقرار باسم القبائل العابرة (العبران) أو العاربة لأنها كانت في مرحلة البداوة والترحال الدائم في المنطقة. ويعتقد بعض الإخباريين أنّه من (عَبَر) جاءت كلمة عِبري أو عبران مثلما جاءت عدنان من عَدَن وقحطان من قَحَطَ وكنعان من كَنَعَ. أي أنَّ كلمتي عبري أو كنعاني هي صفة وليست اسم جنس أو قومية. وفي القديم لم تكن كلمة (عبران)[1] تعني أكثر من صفة للقبائل البدوية التي كانت دائمة التنقل والعبور من مكان إلى آخر سعياً وراء الأرض والطعام والكلأ. ويمكن قلب كلمة «عبر» إلى «عرب»[2] لتعني المعنى نفسه. ويعتقد بأنّ معظم

(1) تمسك بنو إسرائيل بعد السبي، بمصطلح «عبران» الذي تحول الى عبرو (هبرو باللاتينية) للتميز عن باقي القبائل. وأعتقد بان هذا المسمى عبرو أو هبرو وضع من قبل مترجمي السبعونية بهدف خلق جنس مختلف لليهود ومحاولة إلحاق نسبهم بمجموعات الخافيرو (العابيرو في التزوير التوراتي) التي كانت تجوب المنطقة السورية في القرن.

(2) يقول الكاتب الدكتور محمد بهجت قبيسي نقلاً عن كتاب معروف الدواليبي: «دراسات تاريخية في أصل العرب» بان الاسم «العرب» يعني الماء الكثير الصافي. أي ان الناس الذين كان عندهم ماء كانوا يدعون العرب؛ وأما الذين لا ماء عندهم فكانوا يدعون الأعراب وهم الذين =

القبائل القديمة كانت تنتمي إلى تلك المجموعة. وكانوا يتكلمون اللغة العروبية الأولى. وهي لغة يمنية قديمة ذات لهجات متعددة، تكلمت بها قبائل سبأ ومعين وحمير وبني إسرائيل وغيرها وعُرفت فيما بعد باللغات الحميرية ـ السبئية (وهي شفة كنعان التي تذكرها التوراة) ثم السريانية الشرقية والغربية. وهي اللغة نفسها التي يطلق عليها الكتَّاب المتأثرون بالتوراة اسم «الآرامية».

وكما سبق وذكرنا، فإنّ اليمن السعيدة أخذت تعاني من التصحر التدرُّجي ابتداءاً من حوالى 6000 سنة ق. م.، ما أدّى لاحقاً إلى عودة كثير من القبائل إلى حياة البداوة. واستمرت تلك القبائل في حياة البداوة الصعبة القائمة على تربية الإبل والماشية ومكابدة المجاعات المتكررة، ما دفعها إلى امتهان الإغارة على قوافل خط التجارة العالمي القديم المار في جنوب الجزيرة وعلى طول ساحل الجزيرة الغربي وهو ما دفع إلى قيام الحكام الاكديين والقبطيين والآشوريين والبابليين إلى تجريد حملات عسكرية عليها، أدّت إلى تضعضع روابطها وخصوصاً بعد تعرضها للتهجير والسبي على يد الأشوريين والبابليين.

وقد شهدتْ العصور القديمة صراعاً هائلاً بين قبائل الجنوب وقبائل الشمال في الجزيرة. ناهيك عن الصراع المستمر فيما بين قبائل الجنوب نفسها حول الأرض والدين. وأخص بالذكر الصراع المستمر بين قبائل العبران ومنهم بني إسرائيل والكنعان. (كنعان تحريف لصفة كنان وهي صفة القبائل التي كانت تقطن ساحل كنانة المعروف الآن بساحل الحجاز). وأذكر أيضاً الصراع بين بني إسرائيل والمضريين. وقد ترجم الكهنة اليهود كلمة المضريين إلى المصريين. والاسم يرد في التوراة العبرية هكذا: «مشحفت مصريم» وتعني عشائر المضريين لأن حرف الضاد لم يكن موجوداً في الحميرية ـ السبئية، وكان يستعاض عنه

= كانوا يرتادون الكلأ ويتتبعون مساقط المياه. وكان يوم الجمعة يدعى يوم العروبة لأنهم كانوا يستحمون ويستعملون الماء في ذلك اليوم. ومع الوقت أصبحت كلمة «عرب» تعني السكان الحضر الذين عندهم ماء؛ وكلمة «أعراب» تعني البدو الذين لا ماء لديهم.

بحرف الصاد. وقد تعمد مترجمو التوراة السبعونية، قبل الميلاد، أن يترجموا الاسم إلى مصريين. وقد جاء ذكر ذلك الصراع في التوراة.

وأكرّر؛ بأنّ جميع الأحداث التي ترد في التوراة من ظهور النبي إبراهيم ويعقوب ويوسف إلى ظهور النبي موسى وداود وسليمان، وقصة صراع شاول وداود مع الفلستيم واستيلاء الأخير على مدينتهم بيت يبوس التي هي أورشليم، وقعت في اليمن وبالتحديد في جبال سَراة حِمير وليس في فلسطين الشام. ويعتقد الكاتب فاضل الربيعي في كتابه «فلسطين المتخيلة» بأنّه تمّ تحريف اسم كنان إلى كنعان ولفظة مضر والمضريين إلى مصر والمصريين في بعض مواضع التوراة السبعونية حتى لا يكتشف أحدٌ بأنّ الموطن الأصلي لبني إسرائيل كان في اليمن القديم وليس في فلسطين. ويذكر الكاتب فرج الله صالح ديب بأنه كان يوجد في اليمن القديم أكثر من مدينة باسم مصر وجميعها تقع على خط التجارة العالمي؛ منها واحدة تقع في جوار اب/ السحول وأخرى في جبال غامد قرب نجران وثالثة في الحجاز؛ وكانت بمنزلة محطات تجارية نشطة بالنسبة للقرى والمضارب المحيطة بها. وقد عمد المترجمون اليهود إلى إطلاق اسم كنعان على فلسطين البحر المتوسط لإيهام القراء بأن اليهود كانوا في فلسطين نظراً لوجود أرض كنعان (المزعومة) في فلسطين. علماً بأنّه لم تعرف فلسطين باسم أرض كنعان لدى المؤرخين القدماء إطلاقاً، كما أن كلمة كنعان هي صفة وليست اسم شعب أو اسم منطقة. وكما سبق وذكرت، دخلت قبائل العبران والفلسان-الكنعان في حروب فيما بينها من أجل السيطرة على الأرض وبسبب العداوة الدينية، ما أدّى إلى تضعضعها جميعاً. وقد بدأت قبائل الفلسان من طيء الكنعانية الهجرة إلى جنوب ساحل الشام في عصور قديمة قبل الميلاد في الوقت الذي لم يهاجر أي من العبران من اليمن. والهجرة كانت تحدث بسبب انهيار السدود في اليمن والحروب وفائض البشر. وقد اكتسبت تلك البلاد اسمها «فلسطين» من فلس طي+ن. (الجدير بالملاحظة انه يطلق على مصر «أرض

الكنانة»، ويحاول الكتّاب تفسير ذلك بشتى الآراء. وأغلب الظن أنَّ إطلاق اسم أرض الكنانة على مصر تم بسبب هجرة بعض عشائر من كنانة من الحجاز إلى مصر في العهود القديمة؛ علماً بأن كنانة تنتمي إلى عماليق عاد).

يذكر الكاتب فرج الله ديب، إنَّ مصرَ المذكورة في التوراة هي منطقة زراعية داخلية تدعى الآن الإقليم الأخضر، تقع جنوبي مدينة آزال ـ صنعاء، ويقال إنَّ النبي إبراهيم لجأ إليها. وأمَّا مصر النبي موسى فهي في نطاق منطقة نجران. ومصر الحالية كانت تعرف باسم بلاد القبط ومن هذا الاسم جاء اسمها باللاتينية «ايجبت». وهو الاسم الذي عُرفت به مصر لدى شعوب العالم القديم حتى الآن. أمّا متى أطلق اسم مصر على بلاد القبط فهناك عدة آراء منها:

- الأول يعزو ذلك إلى مهاجري بني كنانة الذين نزلوا قبل الميلاد، على ضفاف النيل وانشأوا محطة أو مركز تجمع أطلقوا عليه اسم مصر أي المركز أو السوق (كما نقول اليوم عن البقعة الأولى التي تنشأ حولها المدن). أو إلى العرب المسلمين عندما فتحوا بلاد القبط.
- الرأي الثاني يقول بإنّه بدأ استعمال اسم مصر خلال الفترة الهلنستية التي تلت وفاة الاسكندر المقدوني أي في الفترة بين 330 ق.م. و30 م. بتأثير التوراة السبعونية التي ترجمت اسم «مصريم» الوارد في التوراة السريانية إلى «ايجبت».
- الرأي الثالث يقول بإن التسمية تعود إلى العرب المسلمين عندما فتحوا بلاد القبط.

إنني أرجح الرأي الثالث لان الفاتحين المسلمين لم يذكروا إطلاقاً اسم «مصر» في مراسلاتهم مع المدينة مما يعني أنَّ اسم مصر لم يكن معروفاً آنذاك. وعندما احتاجوا إلى إنشاء مركزاً للإقامة به وإدارة البلاد منه، قاموا بتمصير الفسطاط الذي أقامه عمرو بن العاص خارج حصن بابليون، أي جعلوا الفسطاط

مركزاً للسوق والتجمع وعرف المركز باسم «مصر» أي المدينة أو السوق على عادتهم في الجزيرة؛ ثم طغى اسم مصر على كامل البلاد بالتدرج. والجدير بالذكر أن الإغريق والرومان الذين حكموا مصر مئات السنين لم يستعملوا اسم «مصر» اطلاقاً؛ بل استعملوا اسم «ايجبت» للدلالة على بلاد القبط.

إذا رجعنا إلى القاموس العربي نجد أنّ كلمة «مصر» وتجمع أمصار تعني المدينة والحاجز والقلعة. وهي لفظة مأخوذة عن اللغة الحميرية اليمنية وتعني السوق التجارية؛ وكان العرب يطلقون الاسم على القرية أو البلدة التي تقوم على خط التجارة العالمي القديم وتصبح مركز تجمع والتقاء للقوافل والمبادلات التجارية واللقاءات الإجتماعية وما إلى ذلك. وقد كان يوجد في الجزيرة عدة مدن تدعى «مصر» منها مصر التي لجأ إليها النبي إبراهيم بسبب القحط وهي ذاتها مصر يوسف والتي كان ملكها يلقب بفرعه. وفرعه أو فرعون/ فرعان أي عملاق بالقامة كان لقب ملوك العماليق. أي أنّ ملوك وحكام القبط لم يسموا بالفرعون أو الفراعنة من قبل شعوبهم. تلك فِريةٌ أوردتها التوراة السبعونية الملفقة.

يقول الكاتب المصري الدكتور أحمد عيد في كتابه «جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة»[1] الصادر عام 1996 عن مركز المحروسة للبحوث والنشر في القاهرة بأنّ كلمة «مصر» وردت في النقوش اليمنية كمرادف لكلمة «سوق» كما ورد في النقش (G11155) الذي يقول: «عمصدق ملك كبرى مصر ومعن مصر» وترجمتها: عم صادق مالك الأسواق ومنها سوق معن. ولا يزال كثير من الأسواق والتي أصبحت قرى، قائمة إلى الآن باسمائها القديمة في اليمن مثل: مصري ومصريم (الاسواق) ومصرمة. وأذكر بأنّ سوق عكاظ خارج مكة هو مصر المذكورة في إحدى قصص القرآن الكريم.

(1) يقصد الكاتب بجزيرة الفراعنة أي الجزيرة العربية.

2 - الوضع الاقتصادي

إلى جانب إتقان الزراعة وصيد الأسماك وتربية المواشي، اشتغل العرب بالتجارة الداخلية والخارجية. لقد حدث تقدم في حياة القبائل اليمنية القاطنة على طول ساحل البحر الأحمر الشرقي بسبب معرفة تلك القبائل الجيدة بدروب الصحراء، ما مكّنها من السيطرة على طرق القوافل التجارية ومزاولة مهنة الوساطة في التجارة خلال العصور القديمة. ففي البداية كانوا يبدلون بضاعتهم من الجلود والاقمشة الصوفية والسمن والدهن والحلي والمر واللبان والقرفة وغيرها، بالبضائع التي يحتاجونها. ومع الأيام أدركوا أنهم يستطيعون الكسب فيما لو اشتروا بضاعة من منطقة ما وباعوها في منطقة أخرى. وهكذا تعلموا ممارسة التجارة البدائية.

ومع بدء الانتقال من حياة البداوة إلى بعض الاستقرار وبفضل مرور خطوط التجارة العالمية في أطراف الجزيرة؛ أخذت تلك القبائل تعرف نوعاً من حياة الاستقرار ونشوء القرى والمدن الصغيرة؛ وانتقلت إلى تربية الماشية، من غنم وخراف بدلاً من الإبل وكذلك مزاولة الزراعة (بخاصة في منطقة نجران)؛ وصارت تتقن ممارسة التجارة (تجارة اللبان والمر والدارصيني واللاذن والقرفة). وتدرّجاً وفي القرن الخامس قبل الميلاد بدأت تسيطر على منافذ التجارة العالمية بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، وهي:

1 ـ طريق القوافل البرية القديم عبر الحجاز إلى بلاد الشام.

2 ـ المنفذ الثاني الذي كان يمر على طول الساحل الغربي لجزيرة العرب وسواحل الحجاز إلى سواحل الشام وفلسطين وبالعكس.

ولم يعجب ذلك الامبراطوريات القديمة البابلية والآشورية والمصرية، ما دفعها إلى تجريد حملات عسكرية للاستيلاء على اليمن.

3 - الوضع الديني

كان للقبائل القديمة تجارب متنوعة وعديدة في الحياة الدينية. فقد مرت في مراحل الطفولة الدينية بتجارب عديدة وعبدت الكواكب والنجوم والظواهر السماوية والأرضية وجعلت منها آلهات مؤنثة قبل أن تنتقل إلى مرحلة الإله الذكر وتصنع لها أصناماً زلفى وتقرباً. ومن آلهة القبائل القديمة آلهة الخصب وآلهة الحرب وآلهة السلام وآلهة الجبال والبحار والقوافل، وآلهة الحب وآلهة الموت وغيرها. وكانت معظمها آلهة مؤنثة مثل الزهرة وعشتروت والشِّعرى والثريا وجميعها كواكب، والرّبة الشجرة بنجران والعِزى واللاتَ ومناةَ والشمس وسلمى. وبعد ذلك انتقلت القبائل إلى مرحلة الإله الذكر فكان لها أصنام عديدة منها القمر أو المقه وعم و«سكوت» و«كيوان» أي زحل و«الفلس» الصخرة ودجن ويهو وبعل الذي تحول إلى هبل، وريمان إله المطر والبركان وهرقل (هـ - رقل أي الرجل حرف الهاء كان يستعمل للتعريف والقاف هي طريقة لفظ حرف الجيم في اليمنية القديمة)، ورضا وسلم (اورسلم أي مدينة الآله سلم) ورحمن ورحام وعليم وعين وليل ونسر وود وسواع ويغوث ويعوق وناهي. وكذلك عبدوا النجوم مثل القمر والشمس والزهرة: الثالوث السماوي. وكذلك عبدوا القمر في أطواره الثلاثة: الهلال ثم البدر ثم يتناقص في طوره الثالث. (إنّ هذه التبدلات في شكل القمر هي الأساس في عقيدة التثليث في بعض أديان الشرق وبخاصة المسيحية التي تقول بالأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس. ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة). ثم توصلت تدرّجاً إلى فكرة إله خفي للكون هو خالق قادر، وخفيّ غير مرئي خلق الكون وما عليه. وكانت القبائل اليمنية قد أطلقت كل منها اسماً مختلفاً على ذلك الخالق قبل أن تتوصل إلى اسم موحّد للخالق. ومن أشهر الاسماء التي وصلت إلينا هو «ال» أو «عل» (وهو إله إبراهيم) والذي يعتقد أنّ المقصود به «عال» = العالي. وقد أضيفت فيما بعد أداة التعريف القديمة «حرف الهاء» إلى «ال» فأصبحت «اله».

أما إلَه بني إسرائيل (يهو) فقد حار الكتّاب الغربيون في تفسير معنى تلك اللفظة. وأغلب الظّن أنهم لم يطلقوا على الإله أي اسم واكتفوا بمناداته عند الحاجة ب يا هو. وهو إلَه قَبَلي ينام ويقوم ويأكل ويشرب ويرحل مع القبيلة في حِلّها وترحالها. وقد أسبغوا على ذلك الإله طبائع وأخلاق القبيلة البدوية نفسها، إبنة الصحراء الجافة القاسية. فهو شديد وعنيف وغدار وظالم ويحب سفك الدماء والغزو والسلب. وهو طوع بنان كُهّان القبيلة يماشيهم فيما يريدون ويُحِلّ لهم دم الآخر بدون حق. ويعتقد الإخباريون العرب بأنَّ اليهود هم قوم النبي هود وقد سمّى الذين اتبعوه هوداً ثم اضيفت الياء فاصبحت يهود. ويعتقد معظم الباحثين بأن المرحلة الثانية من اليهودية كدين مكتوب بدأت على يد الكاهن عزرا في بابل. وكل هذه الآراء اجتهادات غير أكيدة. ويعتقد الكاتب فاضل الربيعي أنَّ الاسم جاء من مخلاف (مشيخة) هوذة (يهوذا في التوراة ـ أكبر الأسباط الإسرائيلية) التي كانت قائمة في اليمن قبل السبي البابلي، وهي التي تسميها التوراة مملكة الجنوب. (أميل إلى الإعتقاد بأنَّ اسم هوذة هو اسم يمني قديم وهو أصل يهوذا). أمّا مملكة الشمال أو مملكة إسرائيل فقد كانت شمال مملكة الجنوب أو يهوذا. وقد نشأت عبادة الإلَه الواحد «إيل» في اليمن القديم وكان النبي إبراهيم من أشهر أتباعه، وكذلك قبائل السرايين أو السريان التي اتحدت فيما بعد مع قبائل اليعاقبة نسبة إلى يعقوب بن إسحق بن إبراهيم.

أرجو من القارئ الكريم أنْ ينتبّه إلى أنَّ الديانات القديمة كانت ديانات بسيطة غير معقدة وعلى قدر مدارك أهل ذلك الزمان الذين لم يكونوا قد توصلوا إلى الفلسفة والتعقيد في الديانات. وكان من عادات القبائل اليمنية العربية إقامة مراكز عبادة في أماكن عالية على رؤوس الجبال. وكانت تعتبر في الوقت نفسه كملجأ أو دار سلام «أورشليم» للهارب والمستجير. وكثير منها أطلق عليها اسم «قدشا» أي «قدس».

وكان إلَه قبائل طيء يدعى الفلس واتباعه يدعون الفلسان، وفي التوراة

جاء ذكرهم على شكل فلشت وبالجمع فلشتيم. (التوراة الأصلية كتبت باللغة الكنعانية أو اللغة اليمنية القديمة التي لم يكن فيها حرف السين بل حرف السامك الذي يلفظ بين السين والشين. وعليه فإنّ الاسم فلشتيم يلفظ «فلستيم وفلستين بالعربية العرباء). وكان للإلَه فلس بيت يدعى «بيت الفلس» وهو من أشهر بيوت العبادة قديماً عند العرب، وكان يقع على موضع جبلي قرب جبل أبان (ويلفظ اوبن) القريب من جبلي سلمى ولبنان في اليمن. (أرجو من القارئ ألاَّ يخلط بين جبل لبنان في اليمن ولبنان على البحر الابيض وأن يتذكر دائما بأنَّ اليمن هي الأصل). وقد كانت الحروب المذكورة في التوراة بين الفلستيم وبني إسرائيل تقع في ذلك الجوار وليس في فلسطين سوريا. وقد ظل بيت الإله الفلس قائما إلى زمن فتح مكة عندما أرسل النبي الكريم محمد (ص) علي بن ابي طالب (ك) لهدمه، فذهب وهدمه.

وهناك أيضاً أسماء مثل «جاد» أو «جد» بالجيم اليمنية ومنه جاء اسم الله باللغة الالمانية والانجليزية [God]. وكان قدماء اليمنيون يقدسون الجد وينزلونه منزلة الآله. وكذلك الاسم «دجن» = ذو الجنة والاسم «حَدَدْ» و«بعل» و«بل» ويلفظ أيضاً «هبل». حرف الهاء كانت نظير أداة التعريف؛ وغيرها من الأسماء الحسنى التي كانت بمنزلة صفات للخالق ليس إلاّ.

تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الصراع الديني بين القبائل اليمنية القديمة كان شديداً ومسبباً لحروب وعداوات طويلة بينهم. وقد أدّى ظهور النصرانية ومن ثم المسيحية التي أخذت تنافس اليهودية. وهكذا بدأت اليهودية تتقوقع داخل طائفتها خصوصاً بعد توجيه ضربات قاسية لها على يد الرومان والأحباش في اليمن وعلى يد المسلمين الصاعدين في الحجاز، خصوصاً في المدينة وشمالها.

والجدير بالملاحظة أنَّ اليهودية الأولى كانت منتشرة بين القبائل اليمنية إلى زمن السبي البابلي الأخير سنة 586 ق. م. ثم ظهرت اليهودية المجددة على

يد عزرا في بابل والتي تأثرت كثيراً بديانات بابل وأشور وفارس. ومع اليهودية المجددة أخذت تظهر نزعة تحويل الدين اليهودي إلى انتماء قومي. وقد انتشرت اليهودية في الجزيرة العربية حتى البحر الأبيض عن طريق التبشير وذلك قبل أن يقفل باب التبشير ويقتصر على الانتماء بالولادة خلال العصر الروماني.

أسطورية الأنبياء

يرى بعض الكتَّاب بأنَّ الأسماء؛ إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وإسرائيل تمثل اختصاراً لمسمّى قبيلة كاملة أو شعب كامل وأنَّ سيرة تلك الشخصية هي قصة حراك قبيلة ما أو عدة قبائل في الزمن الغابر حيث كان الرواة والشعراء يعمدون إلى اختصار القبيلة في شخص جدِّها الأعلى أو زعيمها آنذاك تسهيلاً للرواية والحفظ. تورد التوراة شجرة نسب الأجداد في سلسلة طويلة من الأسماء وكذلك فعل الإخباريون العرب. وأعتقد بأن تلك السلسلة من الأسماء ما هي إلاَّ أسماء قبائل عاشت ثم بادت في الزمن السحيق. وقد لجأ الإخباريون إلى اختصار أسماء القبائل باسم الجد الأعلى المؤسس للقبيلة. وهذا الجد ما هو إلاَّ فردٌ متميزٌ من قبيلة ما انفصل عن قبيلته السابقة لسبب ما وأسَّس قبيلة جديدة اكتسبت إسمه. ويبدو أنَّ بعضاً أو معظم القبيلة القديمة التحقت به ممَّا أدّى إلى انفراط أو انقراض القبيلة القديمة ودخولها في عداد القبائل البائدة. وعلى المنوال نفسه يمكن اعتبار موسى وداوود وسليمان زعماء قبائل يمنية قديمة سجلت التوراة ما وصل إليها من أخبارهم عن طريق الرواية المتواترة، جيلاً بعد جيل مع إضافة هالات التقديس عليهم. كما أنَّ كتبة التوراة قاموا بدمج قصص عدة أشخاص عرفوا باسم إبراهيم أو موسى أو داوود أو سليمان في قصة واحدة لكل من تلك الأسماء، وهذا ما يفسر سر الأحداث الكثيرة عن شخصية ما ووجودها في عدة ميادين متباعدة وطول حياتها.

الفصل الثالث

اليهود في التاريخ الصحيح

من هم اليهود؟ ومن أين جاؤا؟ هل هم عرب أم أغرابٌ عن المنطقة؟

إنَّ أصل اليهود لغزٌ احتار ولا يزال يحتار فيه الكتَّاب والمؤرخون في العالم أجمع، بسبب التضليل الذي مارسه اليهود أنفسهم عن منشأهم. ورغم أنَّ الكتَّاب اليهود يدعون بأنَّ بني إسرائيل ومملكتي اليهود كانوا في فلسطين، فإنَّ هذا الادعاء غير كاف لتقديم تفسير تاريخي مقبول لأصل اليهود. إنَّ كتب المؤرخين العرب القدماء حول أصل بني إسرائيل ترده إلى اليمن وإلى بعض القبائل اليمنية البائدة التي عاشت في اليمن منذ أكثر من 6000 سنة ق.م. إنَّ كتب الإخباريين العرب التي تتحدث عن القبائل العربية العاربة والتي بادت، تورد كذلك أخبار بني إسرائيل كقبيلة يمنية أو عبرية صغيرة بائدة.

والأكيد أنَّ الديانة اليهودية الأولى نشأت في اليمن على يد النبي هود[1]

(1) إن قبر النبي هود الحقيقي لا يزال موجوداً إلى اليوم في قريته بالاحقاف بحضرموت اليمن. وإن قبيلة هود ما زالت تقيم في المكان نفسه. وان القبر المقام بالأردن ليس حقيقياً وقد أقيم بتأثير من المستشرقين الصهاينة. كما ان قبر النبي يوسف ليس في نابلس كما يدعي اليهود ويقومون بزيارته بل هو موجود في الحجاز في وادي عرفة حيث ولد وعاش ومات. وأضيف ان اسم جبل «نبو» الذي اطلق على جبل في الطريق الى البحر الميت من عمان مأخوذ عن اسم «جبل نبو» الوارد في التوراة، والجبل اليمني هو الأصل.

الذي أرسل إلى قوم عاد في الأحقاف، شمال شرق حضرموت باليمن. ولقد اعتنق كثير من القبائل اليمنية القديمة تلك الديانة بما فيها بني إسرائيل. ولم تكن الديانة اليهودية في ذلك الزمن تعني كثيراً للقبائل اليمنية، كما لم تكن اليهودية قسراً على بني إسرائيل، بل كانت منتشرة بين قبائل اليمن. ويذكر بعض المؤرخين أنَّ كلمة يهود جاءت من هاد أي تاب وصلح أمره واهتدى. (برأيي أنَّ هذا التخريج ما هو سوى إسقاط معنى لاحق على مفهوم سابق). إذ لا أحد يعرف كيف ابتدأ الأمر. هل اسم النبي هود سبق صفة «يهود» أم العكس؟ ولكن، في هذا الكتاب سنعتبر اسم النبي هود وجد أولاً وأنَّ أتباعه بالدين سَمّوا هودا ويهوداً. ثم جاء النبي موسى بالوصايا العشر. ولا أعتقد بأنَّ موسى كان يهودياً. ويذكر موسى في التوراة بأنه كان عبرياً أي بدوياً، ولكن الأحبار اليهود ضموه إلى تراثهم وكتبوا الأسفار الخمسة ونسبوها إليه.

إنَّ اليهود في التاريخ فرعان: الفرع العربي والفرع الأوروبي. وسوف أورد في الصفحات التالية معلوماتي عن كل منهما. وقد توصلت إلى تلك المعلومات من قراءاتي للعديد من الكتب.

الفرع اليمني العربي: الحقيقة الضائعة

إنَّ معظم المثقفين والقراء العرب يجهلون حقيقة اليهود وبني إسرائيل. فأكثر المعلومات المتداولة بينهم مستقاة من التوراة وكتب الكاتب اليهودي فلافيوس والإسرائيليات؛ لذا فإنَّ معظم العرب يعتقد بأنَّ بني اسرائيل كانوا في فلسطين وأنَّ النبي إبراهيم ولد في العراق وهاجر منها إلى فلسطين وإنّه زار مصر. إنَّ الحقيقة التي يجهلها معظم العرب والمسلمين وكذلك شعوب العالم بمن فيهم اليهود الحاليين هي غير ذلك تماماً. وإليكم الحقيقة الضائعة كما أعاد اكتشافها باحثون عرب مجتهدون ومنهم الكاتب الرائد الأستاذ كمال سليمان الصليبي (لبنان) والباحث فرج الله صالح ديب من لبنان أيضاً والدكتور أحمد

داوود من سوريا والكاتب زياد منى ود. لطيف الياس لطيف (لبنان) والكاتب العراقي فاضل الربيعي، وكتاب «نداء السراة» لجمعية التجديد الثقافية في البحرين وغيرهم، وهي: إنَّ بني إسرائيل كانوا في اليمن القديم وإنَّ الديانة اليهودية نشأت في اليمن واعتنقها بنو إسرائيل وغيرهم من قبائل اليمن؛ وإن التوراة – كتاب اليهود الديني- يروي تجربة بني إسرائيل والقبائل اليمنية الأخرى في اليمن – وليس في فلسطين.

ورغم أنَّ الكاتب كمال الصليبي حقَّق سَبْقاً في طرح الموضوع بشكل واسع؛ إلاَّ أن كتَّابا آخرين مثل فرج الله صالح ديب ود. لطيف الياس لطيف والكاتب فاضل الربيعي ود. أحمد داوود وغيرهم، ساهموا في كشف الحقيقة. وقد استعمل الصليبي المنهج الفيلولوجي أي مطابقة أسماء المواقع والقبائل الواردة في التوراة على أسماء المواقع المتشابهة باليمن وعسير. إلاَّ أنَّ د. لطيف استعمل المنهج الفيلولوجي والمنهج التحليلي لمواد التوراة لإثبات أنَّ المواقع وأسماء القبائل موجودة باليمن وليس في فلسطين حسب شرح التوراة. وقد استعان بكتب الإخباريين العرب القدماء وبخاصة كتب الهمداني. وقد اعتمد الباحث فرج الله صالح ديب على المنهج الفيلولوجي أي مطابقة الأسماء وعلى مرويات وردت في كتب الإخباريين العرب القدماء والمحدثين.

أما الكاتب العراقي فاضل الربيعي فقد استعمل المنهج التحليلي وكذلك اعتمد في مجلديه: «فلسطين المتخيلة» بشكل واسع على كتابي الحسن الهمداني الذي عاش منذ أكثر من ألف سنة: الأول هو «صفة جزيرة العرب» والثاني «الإكليل»، وعلى ترجمة التوراة من نسختها باللغة الحميرية – العبرية؛ وكذلك على الشعر العربي القديم الذي يختزن تاريخ العرب وجغرافية الجزيرة. وقد طابق الربيعي بين وصف التوراة للمواقع والقرى والجبال والوديان وأسماء القبائل والشعوب الواردة فيها ووصف الهمداني لليمن، ووجدها متطابقة مئة

بالمئة بالأسماء والجوار والسكان. لم يعد هناك شك لدى الكاتب بأنَّ أحداث التوراة وقعت في اليمن القديم. وقد لخص الكاتب فاضل الربيعي الوضع بالجملة التالية:

«إنَّ التلاعب بالحقيقة التاريخية والجغرافية لم يكن عملاً بريئاً؛ بل كان مصمماً لتمرير أكبر عملية خداع في التاريخ البشري، وذلك حين جرى تصوير المدن والقرى والمواضع الواردة في أسفار التوراة، على أنّها ذاتها المواضع والقرى والمدن في فلسطين التاريخية».

ورغم أنَّ الكتّاب الآخرين أمثال الصليبي وفرج ديب ود. لطيف استعانوا بكتب الهمداني كمراجع إلاَّ أنَّ تركيز الربيعي على الهمداني كان شاملاً بحيث يزيل أي لَبْس قد ينشأ في ذهن القارئ حول جغرافية أحداث التوراة.

لقد دأب معظم الكتَّاب العرب المعاصرين على الاستعانة بترجمات الكتّاب الغربيين عند الكتابة عن التاريخ القديم للمنطقة العربية دونما دراسة أو تمحيص، مهملين ما كتبه الإخباريون العرب في العصرين الاموي والعباسي وما تلاهما. ويبدو أنَّ سبب ذلك هو انطلاق أولئك الكتَّاب من المدرسة الغربية في كتابة تاريخ المنطقة وانقطاع الصلة مع التراث الفكري والتاريخي العربي القديم.

وقد عمل المستشرقون الاوروبيون على بناء تاريخ جديد لفلسطين مستعينين بالتوراة السبعونية وكتب يوسيفوس فلافيوس وفيلون، والهوى، ومستعملين المكتشفات الآثارية التي جرى تفسيرها بما يخدم أهدافهم الاستعمارية وذلك بربط الحضارة الأوروبية بالتراث اليهودي الملفق والمسروق من شعوب المنطقة تمهيداً لاستعمار المنطقة وزرع وطن لليهود. ولقد استهول المؤرخون الاوروبيون في عصور النهضة الاعتراف بأنَّ أصل الحضارة يعود إلى الجزيرة العربية واليمن بالذات. وما أنْ رُفع الحظر عن التوراة حتى وجد الاوروبيون ضالتهم فيها. فأخذوا يعملون منذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

وبالتعاون مع اليهود لبناء يقين لدى الناس بان مسرح أحداث التوراة وبني إسرائيل ومملكة يهوذا واسرائيل كانوا في فلسطين. وأخذت الأبواق الأوروبية تنفث أكاذيبها وتلفيقاتها في أوروبا وأمريكا فيما بعد، ممَّا أدَّى إلى تثبيت الوهم في عقول الناس وتحويله إلى حقيقة يصعب تغييرها. ولا أستبعد أنْ يكون المستعمرون الصهاينة قد عمدوا إلى اختراع وتزييف بعض الآثار والأحجار ودسّها في فلسطين والإدعاء بعثورهم على ما يثبت وجود مملكتي إسرائيل ويهوذا في فلسطين مثل ما عرف باسم حجر تل دان (في تل القاضي في الجليل) ونقش يهواش الملك التوراتي في القدس والذي ثبت على يد بعض العلماء اليهود والاوروبين النزيهين، بأنهما مزيفان ومدسوسان. وكذلك الأمر بالنسبة لحجر ميشع المؤابي الذي ثبت بأنّه تمَّ إساءة تفسيره[1] لخلق دعم أركيولوجي لدعواهم الضعيفة. وإنّه لمن الصعب احترام الامانة العلمية للكتّاب التوراتيين والآثاريين الغربيين لأنهم انطلقوا في كتاباتهم وبحوثهم من نظرية ثابتة لديهم وهي أنَّ أحداث التوراة وقعت في فلسطين والعراق ومصر وسوريا الطبيعية وأنَّ عليهم أنْ يلووا أعناق الحقائق لإثبات نظرياتهم المزيفة مهما كلف الأمر.

وأود أنْ ألفت انتباه القارئ مرة ثانية، بأنني أنطلق في هذا الكتاب من يقيني بأنَّ أحداث التوراة حتى عام 135 ميلادي وقعت في اليمن والجزيرة العربية وليس في العراق وفلسطين ومصر. وتعني كلمة اليمن الجنوب أو اليمين في العربية الأولى - أي أنَّ جميع المنطقة الواقعة من مكة جنوباً، بما فيها بلاد غامد

(1) بعد إعادة الترجمة من قبل مترجمين عرب متخصصين باللغات القديمة تبين ان النقش يقول بأن الملك ميشع ملك أم الياب في الحجاز دخل في حروب كثيرة مع جاره ملك اسرائيل خسر على أثرها أرضه وأملاكه مما اضطره إلى الهجرة شمالاً بحثاً عن أرض جديدة وقد حطَّ به الرحال في منطقة البلقاء (في الاردن حاليا) وهناك أقام حجره الذي نقش عليه قصته. وقد تلقف النقش الكتاب التوراتيون وعمدوا إلى ترجمته ترجمة مزورة أدَّت إلى تأييد ان مملكة اسرائيل جارة مملكة ميشع ملك مؤآب الاردنية، كانت في فلسطين. والحقيقة التي يقولها النقش ان مملكته الضائعة كانت في الحجاز.

وزهران، كانت يمناً. وكذلك جميع الأراضي الواقعة شمال منطقة مكة حتى البحر الأبيض كانت تعتبر شآماً أي شمالا. وأنا لا أبرر إطلاقا أنْ تطالب اسرائيل باليمن. فقبيلة بني إسرائيل بادت منذ زمن طويل واليهود اليمنيون اعتنق بعضهم النصرانية ثم ما لبثوا أنْ دخلوا الإسلام بمعظمهم. ولا يزال من بقي منهم على اليهودية موجودين في اليمن في مناطق ريدة إلى يومنا هذا ومنهم من هاجر.

والملفت للنظر أنَّ بعض الكتَّاب العرب القدماء الذين كتبوا عن قصص الأنبياء كما جاءت في القرآن الكريم، وعن أحداث التاريخ السالف في الجزيرة العربية، حدّدوا مواقع الأحداث في اليمن والحجاز. وكتبوا عن قيام الحكام البابليين والآشوريين بغزو أوطان القبائل العربية في اليمن تسع مرات على زمن سرجون وشلمانصر وتجلات بلاسر واسرحدّون وسنحاريب ونبوخذنصر؛ ولكن لم يأخذ الكتَّاب الغربيون المتأثرون بالتوراة اليونانية، بمؤلفاتهم تلك واعتبروها مليئة بالأخطاء والأكاذيب. وإنني لعلى يقين بأنَّ القرآن الكريم، عدا عن أنَّه كتاب ديني، يحتوي أيضاً على ذكر كثيرٍ من الأحداث التاريخية التي وقعت في الجزيرة. لقد دخل العرب منذ سقوط الأندلس في سُبات عميق، ما أفسح في المجال للمؤرخين الغربيين والصهاينة أن يسرحوا ويمرحوا في كتابة تاريخ جديد للبلاد العربية يخدم أهدافهم الاستعمارية ويكرّس الشعور بالدونية والتخلف لدى متعلمينا القلة. ولقد عانينا من غياب المعلومات الصحيحة عن تاريخنا وصرنا نلجأ إلى كتب المؤلفين الغربيين حتى بتنا نؤمن بأنَّ تاريخنا هو الموجود في كتب الغربيين. وهكذا خرج الجيل الأول والثاني من المؤرخين العرب في القرن العشرين، يكتب عن تاريخنا مستندين إلى المراجع الغربية التي كتبها لنا المستشرقون والمستعمرون، دونما درس أو تمحيص. وأذكر من مؤرخينا فيليب حتي وجواد علي وأحمد سوسه ومحمد كردعلي وعبد المنعم ماجد وأحمد شلبي وعارف العارف وجبرا إبراهيم جبرا وعبد الحليم محمود واسحق موسى الحسيني وعبد العزيز الدوري وقسطنطين زريق ونقولا زيادة ومحمد عيسى

صالحية ود. فؤاد حسنين علي ومحمد عزه دروزه. ثم جاء بعدهم جيلٌ جديدٌ من الكتَّاب نهج على منوالهم مكرّساً التاريخ الملفق مثل فراس السواح ود/ علي ابو عساف وشاكر مصطفى وساطع الحصري وزكي الارسوزي. وأنا لا ألوم هؤلاء الكتَّاب فقد كانوا ينهلون من كتب التاريخ المتوفرة آنذاك. ومع تراكم التعليم وهول النكبات التي المَّت بالعرب ابتداءاً من ضياع الأوطان ونكبة فلسطين ونكبة 67، بدأت مجموعة من المثقفين العرب الذين تعلموا طرق البحث والتدقيق، تشكك بمؤرخات الغرب وتعيد التفكير والدرس ثم أخذوا يعودون إلى مؤلفات العرب القدماء وإلى الشعر العربي القديم ويستنطقونه وكذلك يعيدون قراءة التوراة بكتابتها الأصلية المخطوطة باليمنية القديمة (الكنعانية الحميرية) التي عرفت خطأ بالعبرية. إننا الآن في بداية انطلاقة فكرية جديدة تستلهم منابع المعرفة من الجذور.

ظهور بني إسرائيل على مسرح الأحداث

يفيد الاخباريون العرب القدماء بأنَّ قبيلة بني إسرائيل العبرانية أي البدوية زامنت قبائل عبرانية أخرى عُرفت بالآرامية وهي من البدو الرحل وكانت تتنقل بين صحارى جنوب الجزيرة العربية عبوراً إلى ساحل تهامة الممتد من اليمن حتى الحجاز في الفترة القحطانية؛ ومنها عاد[1] وثمود وجديس وطسم وجشم وعبيل والعماليق (الصحيح الآماليك من قبيلة الاملوك حسب التوراة) وجُرْهُم

(1) تعتبر قبيلة عاد «قوم النبي هود» من أقدم القبائل العربية المعروفة؛ حتى ان المؤرخين صاروا ينسبون الشيء القديم إلى عاد ويقولون «عادي وعاديات» ودخل هذا المعنى في اللغة. ويعتقد المؤرخون العرب بان عاد هي أم القبائل اليمنية القديمة وان بطونها ـ مثل العماليق ـ هي التي هاجرت إلى الشمال، وإلى العراق وسوريا وإلى شمال أفريقيا وعمرته. ويعتقد بان النبي هود هو أول من بشر بديانة التوحيد الأولى في اليمن القديم، ودعي أتباعه هودا ثم أضيفت لها «ي» على عادة اهل اليمن فاصبحت «يهودا». وكانت عاد تقطن في الاحقاف شمال شرق اليمن على أطراف الربع الخالي. وقد ذكر القرآن الكريم مدينتهم إرم ذات العماد.

وأميم وشعب مضر وبطونها (منها كنانة في الحجاز) وغيرها والتي منها قبيلة النبي إبراهيم. وكانت بعض تلك القبائل تعيش حياة شبه حضرية ؛ فيما كان البعض الآخر يعيش حياة بداوة قاسية متنقلة من مكان إلى آخر سعياً وراء نتاج الطبيعة الشحيح، ومكابدة موجات من القحط والمجاعات الطويلة المتكررة؛ ناهيك عن الصراع الديني وكذلك الصراع فيما بينها من أجل المسكن والطعام والأرض. وقد عرفت بعض القبائل الزراعة وبخاصة في منطقة نجران. (كانت منطقة نجران في نطاق اليمن القديم قبل التقسيم الحديث للجزيرة العربية). وتلك القبائل هي التي أُطلق عليها اسم العامريون أو العموريون عند انتقالها إلى شمال الجزيرة حيث أقامت دولاً وممالك غيَّرت وجه التاريخ.

وحيث أنَّ قبيلة بني اسرائيل كانت في بداية أمرها، قبيلة بدو رُحَّل صغيرة من العبران (دائمة الترحال) ولم تكن تمتلك أية أرض، لذا كانت تتوق إلى امتلاك أرض مثل معظم القبائل بعد فترة القحط، أرض تفيض لباناً وعسلاً. وهكذا نشأت عقيدة أرض الميعاد لدى قبيلة بني إسرائيل.

ويرجّح الكاتب فرج الله صالح ديب أن أصل بني إسرائيل يعود إلى عشيرة عبرانية هي «السرايين». وجدّهم الأكبر إسرايين أو إسرائيل. الجدير بالذكر أنَّ الكهنة كتّاب التوراة الملفقة، عمدوا إلى اختلاق قصة تحوّل اسم يعقوب بن إسحق بن ابراهيم إلى إسرائيل[1] لكي يربطوا النبيين إبراهيم وموسى ببني إسرائيل. ويقول الباحث فرج الله صالح ديب: «لا يزال بنو ساري يقيمون على مقربة من قرى بلاد يريم جنوب صنعاء على مسافة من مدينة حبرون في منطقة الواحدي شمال عدن، قرب مدينة الروضة التي ما زال يسكنها حتى اليوم عشائر بني إسرائيل وآل النجار. «وهذه هي حبرون التوراة التي يُسقَط اسمها اليوم

(1) اسم «اسرائيل» مركب من مقطعين: اسر اي اسير وئيل اي الله. وترجمة الاسم بالعربية الفصحى هو عبد الله.

تعسفاً على مدينة الخليل في فلسطين». ويعتقد بأنَّ بني إسرائيل اكتسبوا صفة «العبريون» من كونهم جاؤوا من «عبري»- التي هي الآن إحدى ولايات سلطنة عمان- نازحين إلى اليمن. يقول الكاتب فرج الله صالح ديب نقلاً عن الباحث اليمني مطهر الأرياني في كتابه «نقوش مسندية»: إنَّ محتوى النقش رقم (32) يفيد عن حملة الملك سعد تالب ملك سبأ وكندة ومذحج إلى عبران شرقي اليمن. وعبران هي «عبري». وأعتقد بأنَّ أصل «عبري» و «عبران» لا يخرج عن هاتين الفرضيتين: (أ) نسبة إلى منطقة عبري في عمان، أو (ب) نسبة إلى عبورهم من الصحراء إلى الأراضي الخضراء. ويصح دمج النسبتين معاً واعتبار بني إسرائيل قبيلة بدوية أي عبرانية، جاءت من منطقة عبري-عمان (بضمة على حرف العين) إلى اليمن الأخضر.

ويبدو أنَّ بني اسرائيل استعملوا كلمة «عابر» كاسمٍ لأول جدّ لهم للتعبير عن أصلهم البدوي. وصفة الشعب البدوي هي دوام العُبور من مكان إلى آخر سعياً وراء الماء والكلأ، تماماً كما استعملت كلمة قحطان من قحط لتدل على القبائل التي جاءت من الأرض القاحلة، فأصبح «قحطان» جداً لهم؛ وكذلك أصبح عدنان بالترادف مع كنعان جداً للقبائل التي عدنت أو كنعت في الأرض أي استقرت. إنَّ أسماء الجدود عابر وقحطان وعدنان وكنعان ما هي إلاَّ توصيفات للحالة الاقتصادية والاجتماعية التي جاءت منها القبائل اليمنية العربية القديمة.

إنَّ أرضَ وجبال ورمال الجزيرة العربية مليئة بالأسرار التى إنْ أُجري التنقيب فيها ستكشف أصول الأشياء والتاريخ.

حقيقة السبي البابلي

لقد عانى اليمن القديم وأطراف الجزيرة من محاولات القوى الكبرى آنذاك، أي البابليين والآشوريين والمصريين ثُمَّ اليونان والرومان وآخرهم

الفرس؛ للسيطرة عليها بسبب موقعها الجغرافي وعوامل السياسة الدولية آنذاك حيال خطوط التجارة العالمية التي كانت تمر حُكماً في أراضي الجزيرة. كما أنَّ قيام القبائل اليمنية بالإغارة على خط التجارة العالمي وأطراف الامبراطوريات القديمة كان سببا قوياً. لقد كان البابليون والآشوريون والمصريون يستنكرون سيطرة القبائل العربية على خطوط التجارة وفرض شروطهم ولذا جرّدوا عدة حملات إلى اليمن وأطراف الجزيرة للسيطرة على تلك القبائل وتأديبها ومن ثم على خطوط التجارة العالمية. ومن هذه الحملات نذكر حملةَ الملك أسرحدّون الذي قام بإجلاء القبائل المشاغبة إلى مواطن جديدة في اليمن القديم. وهذا يفسر وجود الأسماء نفسها في عدّة مناطق، حيث كانت القبائل المهجرة تطلق أسماء ديارها القديمة على ديارها الجديدة. وكذلك نذكر حملة الملك الآكدي صارخون أو سرجون (728 ـ 699 ق م) وخلفه سنحاريب وسَبْيُهُمَا أعداداً كبيرةً من تلك القبائل بغرض تفريغ المنطقة من أهل القيادة وتالياً فرض شروطهما على من بقي. وكان السبي والنفي إلى مناطق أخرى في الجزيرة والعراق يطال معظم القبائل بمن فيها بني اسرائيل، وليس كما تدعي توراة اليهود بأنَّ السبي طال بني إسرائيل فقط. كما أنَّ حملة الملك البابلي نبوخذ نصّر توجهت أيضاً إلى اليمن والحجاز وللغرض نفسه. وقد نال القبائل العربية هناك مثلما نالها على يد البابليين والآشوريين. وقد تعددت الحملات العسكرية البابلية والمجاعات الشديدة، ما أدّى في النهاية إلى تضعضع تلك القبائل وهجرة بعض عشائرها شمالاً وإلى بلاد الشام.

وقد كان السبي الآخير والذي عُرف باسم السبي البابلي، على زمن نبوخذ نصّر(حوالى سنة 586 قبل الميلاد) وتمَّ خلاله تدمير أورشليم اليمن وإحراق هيكل سليمان، قد أدّيا إلى إنهاك المشيخات اليمنية القديمة بما فيها بني اسرائيل ما أدّى إلى تضعضعها وبدء هجرتها شمالاً ومن ثمَّ اضمحلالها. ومن المعتقد أنَّ فلولها اندمجت بالقبائل الجديدة التي ظهرت في اليمن وأنحاء الجزيرة. (من

المعروف أنَّ فلول القبائل القديمة، المرتحلة أو المهجرة عن ديارها كانت تتخذ لها اسماً جديداً هو اسم القبيلة التي تلتجئ إليها أو اسم الديار الجديدة التي تنزل فيها ولا سيما في الشمال). والجدير بالذكر أنَّ السبي الآشوري والبابلي كانا عبارة عن ترحيل الأعيان النافذين من القبائل من منازلهم (أي مكان إقامتهم) إلى أماكن جديدة داخل الجزيرة أو إلى العراق واحلال قبائل أخرى مكانهـــا. أي أنَّ نبوخذ نصر لم يَسْبِ الآلاف إلى بابل كما تدعي التوراة السبعونية. إن السبي إلى بابل كان يطال زعماء القبائل والنخبة فقط.

ويعتقد بأنَّ قبائل بني النضير وقينقاع وقريظة والمصطلق اليهودية التي استوطنت في يثرب وحولها، كانت من مهاجري القبائل اليمنية. والجدير بالذكر أنَّ كثيراً من القبائل اليمنية والشمالية كانت تدين بالحنيفية (دين إبراهيم) واليهودية أي أنَّ الديانة اليهودية لم تكن مقتصرة على بني إسرائيل ومخلاف هوذة فقط. (كلمة مخلاف تعني مشيخة او خلافة).

لقد عاش منفيّو بني إسرائيل وغيرهم من منفيي القبائل الأخرى في الأسر الأول البعيد عن منازلهم زهاء 130 سنة. أمّا السبي الثاني البابلي فقد استمر ما لا يزيد عن الخمسين سنة. ولم يَكُ يُسمح لهم بمغادرة البلاد. لا شكَّ أن أجيالهم الجديدة ذابت في ملجأها واندمجت مع محيطها الجديد. ويبدو أنَّ قِلة من مهجري السبي الثاني كانت تقاوم الذوبان مثلما حدث للسبي الأول؛ فكانت تتناقل قصص ديارها الغابرة من فم إلى فم ومن جيلٍ الى آخر؛ وتمارس طقوسها الدينية القديمة. ويعتقد بأنَّ هذهِ القِلة نظّمت نفسها بشكل سرّي تحت اسم «القوة الخفية» واتخذت سياسة «الغاية تبرر الوسيلة» مبدأ لها. وقد قامت تلك الجمعية على المكر والتمويه والوصولية والنفعية وانعدام الأخلاق واستعمال الجنس مع غير اليهود لتحقيق أغراضها. وأُحيل القارئ إلى قصة استير مع كسرى الفرس. (تعتبر تلك الجمعية النواة الأم للماسونية. وأُلفت القارئ إلى

أسماء أخرى للماسونية في العصر الحديث هي: نوادي الليونز والروتاري والروتراكت والانتراكت). وقد شهدت بابل كتابة التوراة الاولى على يد الكاهن عزرا[1] والكتبة الذين كتبوا التوراة التلمودية الأم للتوراة السبعونية بعد أنْ ضمنوها قصص وأساطير الشعوب الأخرى التي سمعوها في بابل.

والجدير بالذكر بأن عودة بني اسرائيل من بابل لم ترد في أي مستند تاريخي أو أرشيف حكومي سواء كان فارسياً أو خلافه. إن المرجع الوحيد الذي يشير إلى عودة بني اسرائيل من المنفى إلى أورشليم هو سِفْرَي عزرا ونحميا المكتوبين بعد مئة سنة من الميلاد، أي بعد خمسمائة وخمسين سنة من تاريخ العودة المزعومة. منطقياً أنه لمن الصعب أن نصدق بأن اليهود المنفيين في بابل ظلوا ينتظرون العودة مدة 130 عاماً ثم 50 عاماً أخرى. لا شك بأن أجيالهم الجديدة ذابت في المجتمعات البابلية التي كانت أكثر تقدماً من مجتمعات أجدادهم القديمة. ولا شك بأن قصة العودة هي من وضع الأحبار والكتبة اليهود الذين كانوا يبذلون جهدهم لإيهام الناس بأنهم عادوا إلى أورشليم الفلسطينية. ويجدر أن نلاحظ هنا أنه بالإضافة إلى عدم ملاحظة «هيرودت» لأي وجود اسرائيلي سواء على صعيد السكان أو الممالك، فان الفاتحين العرب لم يذكروا شيئاً عن وجود يهود أو بقايا هيكل سليمان في القدس إبان الفتح الإسلامي سنة 636م. كما أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) أعطى وثيقة الأمان لسكانها الذين كانوا من النصارى فقط ولم يكن بينهم يهود.

(1) يعتقد كثير من الكتاب الاوروبيين بأن عزرا شخصية وهمية وأن نحميا والأحبار هم من دونوا التوراة التناخ.

الفصل الرابع

العصر الفارسي

1 ـ الغزو الفارسي وانتهاء السبي

كانت دولة فارس العدوة المتاخمة لبابل تتحين الفرص للإنقضاض عليها. وقد انحازت معظم القبائل المهجرة إلى قورش بتحريض من الكهنة. وعند سقوط بابل سنة 539 ق. م. أمام الغزو الفارسي؛ وإبان حكم قمبيز قام بالسماح للمنفيين إمَّا بالعودة إلى بلادهم أو البقاء حيث هم. وقد كان يعمل في بلاط قورش بعض اليهود الهاربين إلى فارس من أعدائهم البابليين (ومنهم الكاهن نحميا) والذين وضعوا أنفسهم في خدمة قورش ومخططاته. وقد تداخلوا به إلى حدٍ كبير لدرجة أنهم أسبغوا عليه لقب المسيح المنتظر وأن الإلَه مردوخ قد دعاه لإنقاذ الشعوب وإعادة الأمور إلى نصابها. وقد استعمل قورش بعضهم لإنشاء نظام إداري مركزي لامبراطوريته يساعد على حكم المناطق الجديدة وفرض القوانين والشرائع الفارسية فيها.

2 ـ نقل خط القوافل إلى الشمال وانتهاء عصر اليمن الذهبي

يفيد التاريخ بوقوع حدث بعد الغزو الفارسي، غيَّر حركة التاريخ في جنوب الجزيرة. إذ بُعيد سقوط بابل وسيطرة الفرس على شمال الجزيرة العربية، قام الفرس بنقل خط التجارة الدولية من جنوب الجزيرة إلى شمالها.

وهكذا انتهى العصر الذهبي للقبائل في اليمن، ما أدّى إلى تآكل الثروات وصعوبة العيش وإلى دخولها في صراع وحروب فيما بينها. ثم جاءت انهيارات سد العرم/مأرب المتكررة لتؤدي إلى انهيار شبكة الطعام في اليمن، ما دفع بعض القبائل اليمنية إلى الهجرة شمالاً بحثاً عن الطعام في مواطن جديدة سواء في الحجاز والعراق أو بلاد الشام (سوريا وفلسطين). وقد هاجرت القبائل اليمنية إلى تلك البلاد، في موجات ذكرت في كتب التاريخ.

3 ـ ظهورالقومية اليهودية وقصص التوراة المسروقة

حسب التوراة، سمح الفرس للمنفيين اليمنيين بالعودة إلى أوطانهم الأصلية بعد أربعين سنة من سقوط بابل، وقام زربابل بقيادة أول حملة من فلول اليهود الفقراء للرجوع إلى الديار الاولى في اليمن. وتفاصيل ذلك مذكور في سفري عزرا ونحميا. والجدير بالذكر أن عزرا هذا والذي ظهر ببابل بعد خمسين سنة قام بجمع وكتابة النصوص التي عرفت فيما بعد بالتوراة أو الشريعة يعاونه في ذلك فريق من الكتبة اللاويين. وقد وضع تفسيراً جديداً للشريعة (التلمود) يمازج بين ديانات الجزيرة القديمة وديانة بابل وفارس مستبدلا الإله مردوخ (ياهو) الإله القبلي القديم. وبفضل الرواية الشعبية امتلأ الكتاب بالكثير من الأساطير والتقاليد والمرويات. ويعتقد بأنه سطا هو وكَتَبَتُهُ على أسطورة سرجون الآكدي وحوّلوها إلى قصة موسى. وكذلك، على قصة الخلق وقصة الطوفان وغيرهما من القصص والأساطير السومرية والبابلية. بالإضافة إلى قصص وأساطير القبائل الجزرية واليمنية وآلهتها وقصص أنبيائها التي استقاها من مخزون المخيال الشعبي لأحفاد المنفيين اليمنيين متدرجاً بالعودة إلى التاريخ القديم ناسباً أتباعه إلى يعقوب وإسحق وإبراهيم وبني إسرائيل دون الآخرين. وهكذا بدأت تظهر اليهودية كديانة على يد عزرا وأعوانه. ثم بدأ التبشير بالديانة الجديدة مطلقاً عليها اسم الديانة الياهوية (نسبة إلى ياهو)؛ ناسباً إياها إلى ابراهيم، علماً بأنَّ

إبراهيم ظهر في الحجاز قبل الف سنة من تاريخ نشوء اليهودية. وعليه فإنَّ عزرا يُعتبر المؤسس الأول للديانة اليهودية ولجمعية القوة الخفية.

ويُعتقد بأن أساليب سرد قصص الملوك الواردة في التوراة والتلمود مثل قصة داوود وسليمان تكاد تكون منقولة عن قصص ملوك آكاد وآشور. فقصة سرغون أو سرجون الآكادي هي القصة الأم لقصة موسى؛ وقصة صعود الملك آدرمي الآكادي تشبه قصة صعود داوود. كما أن قصة شلمة/سليمان هي إعادة إنتاج لقصة الملك شلمة نصر ونبوخذ نصر الثاني. وأعتقد بأنَّ اسم الملك سليمان (وبالعبرية شلمة) جاء من اسم الملك شلمة نصر. والجدير بالذكر أنَّ قصص الملوك القدماء وقصص غزواتهم كانت تصل إلى الشعوب عن طريق الشعراء والرواة والحكواتية (وسائل الإعلام القديمة) والذين كانوا يروون قصص غزوات الملوك في كل مناسبة وفي كل ليلة تقريباً ممّا يُلهب مخيلات الشعوب ويدفعها لا شعورياً إلى تبني اؤلئك الملوك وأعمالهم المجيدة إلى درجة يضحي اؤلئك الملوك جزءاً من التاريخ القومي لتلك الشعوب. ويعتقد بعض الكتّاب أنَّ كثيراً من القصص الواردة في التوراة والتي لم يتمكن منقبو الآثار من العثور على أي أثرٍ يدل على صحة وقوعها، ما هي إلاّ قصص منحولة ومنقولة بتصرف من تاريخ الشعوب الأخرى في المنطقة.

ومن يريد أنْ يتأكد من ذلك أو يتوسع في الاطلاع يمكنه مقارنة قصص الملوك والغزوات الواردة في التوراة بقصص ملوك آكاد وآشور وبابل ومصر القديمة. وحيث أنَّ ملوك تلك الشعوب ظهروا على مسرح التاريخ قبل ظهور التوراة اليهودية بمئات السنين، فلا شكَّ بأنَّ قصصهم هي الأصل الذي نقل عنه كتبة التوراة.

ويبدو أنَّ دمج قصة أكثر من شخصية تشابهت أسماؤها في قصة واحدة بدأت في التوراة البابلية مثل قصة أبرام وقصة ابراهام. كما أنَّ دمج قصة بني إسرائيل بقصة النبي أبرام - أبراهام وقصة يعقوب مع بني إسرائيل تكرست في

التوراة البابلية. وهذا الخلط أربك الكتّاب بالنسبة لموطن بني إسرائيل ونسل إبراهيم. والصحيح هو أنَّ بني إسرائيل ظهروا في اليمن. أمَّا النبي إبراهيم ونسله فقد ظهروا في الحجاز. ثم جاء كتبة التوراة البابلية ودمجوا القصص المختلفة تحت مسمّى واحد. وهذا يفسّر ورود روايات مختلفة عن ابرام ـ ابراهيم ويعقوب – إسرائيل. فأبرام ليس له علاقة بالنبي إبراهيم. وقد عمدت التوراة المكتوبة إلى الادعاء بأنَّ أبرام الآرامي تحوَّل اسمه إلى أبراهام العبري بعدما ظهر له يهوه وأعطاه «وعد الأرض» المعروف باسم أرض الميعاد له ولنسله من بعده.

وهذا غير صحيح لأنَّ أبراهام العبري من الجنوب أي من اليمن أمَّا ابراهيم الآرامي فقد عاش في الحجاز. وكذلك الأمر بالنسبة ليعقوب وإسرائيل. فإسرائيل كان في الجنوب أي اليمن بينما يعقوب كان حجازياً ولد وعاش ومات في وادي عرفة. كما أنَّ التوراة البابلية هي التي قامت بدمج قصة داوود وسليمان في صلب قصة بني اسرائيل وذلك لكي تشرعن عودة المنفيين إلى سراة عسير بدلاً من اليمن حيث موطنهم القديم الذي فقدوه عقب السبي البابلي. مرة ثانية لا يزال بنو إسرائيل يبحثون عن أرض الميعاد. وقد عادوا إلى تهامة وعسير وشرعوا في توزيع الأرض على الأسباط وتغيير أسماء المواقع والأماكن والجبال والأنهار. وهذا ما يُفسر وجود أكثر من قدس ومروة وحبرون في اليمن والحجاز. وقد فعلوا الشيء نفسه عند استيلائهم على فلسطين البحر المتوسط.

4 ـ عودة اليهود إلى سَراة حِمْيَر[1] باليمن

كما سابق وذكرنا، ان الفرس الذين قوضوا الامبراطورية البابلية وورثوا أراضيها في العراق وسوريا الطبيعية، استولوا أيضاً على اليمن وسمحوا لمن شاء من المنفيين اليمنيين بمن فيهم اليهود بالعودة إلى اليمن ابتداء من 446 ق.م. ينبغي الملاحظة هنا بأنَّ الملك قورش أصدر قراراً (حسب التوراة) بعد احتلال

(1) سرو أو سراة حمير: تعني مرتفعات حمير وتدعى أيضاً بلاد عسير.

بابل عام 539 ق.م بالسماح بعودة اليهود إلى بلادهم؛ ولكن العودة وحسب التوراة لم تبدأ إلاَّ في عام 446 ق.م أي بعد 85 سنة من صدور القرار. وهذا أمر غير منطقي. ولذا فإن كثيراً من الكتّاب الأوروبيين لا يعتقدون بصدور قرار العودة وتالياً يفيدون بأنّه لم تحدث عودة مثل ما هو مذكور في التوراة إطلاقاً. تقول التوراة السبعونية (في سفري عزرا ونحميا) بأن زربابل يرافقه الكاهن يشوع، قاد أول حملة للعودة إلى أورشليم والبدء في إعادة بناء الهيكل. وبعد ذلك بحوالى أربعة عشر عاماً يصل الكاهن نحميا إلى أورشليم بوصفه والياً عليها. وهذه الإدعاءات مذكورة في التوراة السبعونية فقط (سفري عزرا ونحميا). ولا يوجد إطلاقاً أي مستند تاريخي ولم يُعثر على أية بقايا آثارية تؤيد هذه الادعاءات رغم عشرات البعثات التنقيبية التي اجتاحت فلسطين في القرن التاسع عشر بحثاً عن المواقع والآثار التوراتية. أمّا بالنسبة إلى ادعاءات البعثات التنقيبية فقد اعتبرها معظم الباحثين الجادين ملفّقة. إن ذلك الأمر أي العودة، إن وقع، فقد وقع في أورشليم اليمن حسب سفري عزرا ونحميا وليس في القدس الفلسطينية حسب التزوير اليهودي الاستشراقي. لا يوجد أي أثر لهيكل سليمان في فلسطين رغم محاولات حكومة إسرائيل العديدة والمستمرة لإيجاد أي أثر. لقد فشلوا؛ لأن الهيكل كان يوجد في أورشليم اليمن على قمة جبل قدس بالقرب من جبل هنوم. ولا يزال يوجد في اليمن آثار دمار واحتراق أورشليم بيت بوس حتى يومنا هذا.

ويبدو أنَّ سوريا بما فيها فلسطين إبان الحكم الفارسي لم تشهد أي وجود يذكر لبني اسرائيل أو ليهود. وبالرجوع إلى كتاب «مكتبة التاريخ» للمؤلف والرحالة اليوناني «هيرودوت»[1] والذي دوّنه خلال ترحاله في سوريا وبلاد القبط لا نجد أي ذكر لأقوام يهود أو إسرائيليين أو لمنطقة يهودا أو لدولة إسرائيل؛

(1) مؤرخ يوناني عاش في الفترة من 484 إلى 425 ق.م وزار المنطقة ولم يلاحظ وجود يهود أو إسرائيليين فيها.

وإنَّما يُذكر دائماً أقواما من العرب وسوريي فلسطين وفينيقيين. ويقول بأنَّ الساحل السوري الجنوبي حتى حدود مصر يدعى فلسطينا. وهذا يخالف تماماً ادعاءات الكاتب اليهودي يوسيفوس فلافيوس الذي عاش بعد هيرودوت بحوالى 450 سنة وضمنها في كتبه الأربعة «عاديات يهودا» و«حروب يهودا» و«مواجهة ابيون» و«حياة يوسفوس». وينظر معظم المؤلفين المعاصرين بعين الشك إلى مؤلفاته وادعاءاته لأنها لا تتقاطع مع مؤلفين آخرين كتبوا الفترة نفسها[1]. يقول هيرودوت في كتابه المذكور سابقاً والذي دوَّنه بعد حوالى 85 سنة من الاحتلال الفارسي لسوريا الكبرى بأنَّ المنطقة الواقعة من مدينة بوصيدون إلى حدود ايجبت (أي الساحل السوري بأكمله) تعود بضرائب مقدارها 350 تالنت وتتبع مجمل اقليم فينيقيا وفلسطين السورية وقبرص. لم يذكر هيرودوت أي شيء عن وجود مقاطعة يهوذا أو إسرائيل. فإن كانت أي منهما موجودة لكان ذكرها ضمن فلسطين أو الساحل السوري على أقل تقدير.

إنَّ معظم المؤرخين العرب يجمعون على ان موجة كبيرة من الهجرة في حوالى عام 2800 ق.م. اتجهت من اليمن والجزيرة إلى سواحل سوريا الطبيعية. وكانت القبائل المهاجرة تشتمل على الفلستيين والفينيقيين الذين سكنوا سواحل سوريا الطبيعية بالإضافة إلى العموريين (الآموريين) الذين استوطنوا سوريا الداخلية. ولم يكن بين الفلستيين والفينيقيين أي من بني إسرائيل. ومنذ بدء تلك الهجرات وحتى قبل الميلاد بقليل لم يظهر في فلسطين أي من بني إسرائيل. وهذا لا ينفي أنّ بعض القبائل المهاجرة كانت يهودية الديانة. وهذا ما ساعد الكاتب اليهودي فلافيوس بأنْ يدعي بوجود اليهود في فلسطين منذ 3000 سنة ق.م. حسبما جاء في التوراة السبعونية الملفقة، وأنْ يسحب ذلك الادعاء على بني إسرائيل وممالك داوود وسليمان. وقد حاول فلافيوس ثم الكتّاب

(1) يذكر يوسيفوس في كتابه «حياة يوسيفوس» بعضاً من ادعاءاته وهي أنَّ كبار رجالات الطوائف كانوا يستشيرونه في أمور فقهية وهو في سن الرابعة عشرة.

الصهاينة من بعده أن يزوروا تاريخ فلسطين بالادعاء بأنَّ الفلسطينيين جاؤا من جزيرة كريت فيما عرف بغزوات شعوب البحر. وقد كتبت عن رأيي في هذه الفِرْية في الفصل الرابع عشر من هذا الكتاب.

الفصل الخامس

أفول العصر الفارسي وظهور الاسكندر المقدوني

حكم الفرس الشرق حتى عام 332 ق.م حين زال حكمهم على يد الاسكندر المقدوني. وقد تميّزت فترة حكمهم بالحروب الكثيرة للسيطرة على المنطقة وفرض ثقافتهم وديانتهم على شعوبها.

لقد شهدت المنطقة العربية خلال الفترة من 334 ق.م وحتى 323 ق.م (أي على مدى عشر سنوات فقط) سقوط الامبراطوريات الفارسية والمصرية أمام زحف جيوش الاسكندر المقدوني القادمة من قلب أوروبا المتوحشة والمتعطشة لثروات الشرق. وقد احتلت جيوش الاسكندر خلال عشر سنوات بلاد الأناضول وسوريا الطبيعية والعراق وبلاد فارس والهند ومعظم آسيا الغربية بالإضافة إلى أوروبا القديمة. كانت فتوحات الاسكندر أشبه بإعصارٍ هائل اقتلع الامبراطوريات القديمة وأساليب حكمها. وقد تميز حكم الاسكندر بالانفتاح على حضارة الشرق والانبهار بها إلى حد أنّه تأثر بفكرة تأليه الملوك المصرية وفكرة الملك الإله ابن الإله وقام برسم نفسه ملكاً إلهاً واتخذ اسم «ابن آمون رع» وهو اللقب الذي حمله ملوك مصر القديمة؛ وقدم القرابين للآلهة المصرية وصكَّ النقود وعليها رسم الاسكندر بقرني الكبش المقدس الإله آمون. وقام بالمساواة بين آمون المصري وزيوس الإغريقي. وأقام الألعاب الأغريقية في

مصر والندوات الأدبية والفلسفية وشجع الإغريق على الانفتاح على ثقافة الشرق والتتلمذ على أيدي فلاسفة الاسكندرية وبابل وإنطاكية وآفاميا. وقد كان عصر الاسكندر بداية نشوء الفلسفة اليونانية التي تأسست على يد فلاسفة الاسكندرية. وقد برزت في عهد الاسكندر عقيدة ابن الإلّه السماوي الذي أرسله أبوه إلى البشر. وقد تطورت العقائد الدينية من مجرد أفكار روحانية بسيطة إلى عقائد ترتكز على فكر فلسفي معقد. وقد أصبحت المدن السورية والمشرقية نقاط جذبٍ هائلٍ على جميع الاصعدة الفكرية والتجارية والمعيشية.

وقد تنافس خلفاء الاسكندر وأولادهم - فيما بعد- في جذب السكان للعيش في مناطقهم. وقد عرفت تلك الحقبة بالهلنستية (مصطلح يجمع بين الثقافة الهلينية والثقافة المشرقية) حيث عمل الحكام على نشر اللغة اليونانية وثقافتها في المشرق، ما أدّى إلى نشوء الحضارة الهلنستية والتي استمرت إلى حوالى سنة 300 م. وفي تلك الحقبة وفي ظل الجو الفكري المتسامح انتعشت الحرية الفكرية والدينية، ما أدّى إلى نشوء تيارات دينية كبرى هي: المسارية والهرمسية والغنوصية. وهي حركات دينية توحيدية باطنية أعادت صياغة الأديان القديمة والفلسفات الدينية المشرقية في إطار فلسفي هلنستي جديد مهّد الطريق لظهور الديانات السماوية: المسيحية والإسلام واليهودية الجديدة.

وإنّه لمن المدهش أن نعرف الآن أنَّ الفترة الهلنستية كانت الحاضنة لجميع المتغيرات الدينية والفلسفية التي أنتجت المناحي الروحانية التي لا تزال تتحكم في المعتقدات الدينية إلى يومنا هذا. وفي ظل ذلك الجو الفكري العارم تم تحويل اليهودية من مجرد ديانة بسيطة نشأت في اليمن القديم إلى ديانة متطورة تماشي الفكر الديني الفلسفي الهلنستي. وأشعر بأنه من الأفضل أنْ أعطي القارئ ملخصاً عن الحركات الفكرية والفلسفية الدينية التي نشأت في العصر الهلنستي والتي لا تزال تؤثر على حياتنا حتى الآن.

وأورد فيما يلي ملخصاً للحركات الفكرية الهلنستية:

1 ـ **الحركة المسارية** (والكلمة مقتبسة من مستريس اليونانية والمقتبسة بدورهـا من الكلمة العربية ستر ومستور (أي ديانات الأسرار أو المستور). وهي حركة دينية سرية كانت تمارس طقوسها بسرية وغموض وعملت على تجسيد طقوس القربان والذبيحة الإلّهية. وهي في مجملها ديانة خلاص أي انتظار الإلّه المخلص. (لاحظ تأثيرها على الديانة المسيحية التي ظهرت فيما بعد في العصر الهلنستي). وقد انتشرت تلك الديانة في البلدان الزراعية حيث الخصب هو هاجس الناس وبدونه يموت كلّ شيء. فالإنسان يعيش على الزرع والذي يمثِّل نجاحه خلاصه من الموت جوعاً. والفكرة أنَّ الزرع يحتاج إلى المطر لكي ينبت. ولا بـد أن يكون للمطر إله يرسلـه للناس المنتظرين الخلاص. وقد تجسد إله المطر في الإله تموز في بابل وبعل وأدونيس في بلاد الشـام وعزيـر (اوزيريس) في مصـر ومترا في فـارس وهكذا. وعندما يحل الصيف بشمسه الحارقة يموت الزرع ويختفي عن وجه الأرض ويحّل القحط (اي يموت الإله لتخليص الناس من الشقاء وينزل إلى العالم الأسفل، ثمّ لا يلبث أنْ يقوم من جديد في بدء الدورة الزراعية الجديدة ويصعد إلى العالم الأعلى – وينشد الكهنة نشيد: «قام حقاً قام» أي أنَّ الزرع نبت من جديد، وهي العقيدة التي أصبحت جزءاً من المسيحية. إنّها الدورة الزراعية تم تجسيدها فكرياً بحركة الإله. وقد تمَّ توحيد الأسماء المناطقية المختلفة في اسم واحد لجميع البلدان الهلنستية هو الإله ديونسيوس؛ أي ادونيس: السيد. وكإلَه توفيقي أُعطي صفات جميع الآلهة الأخرى، وصار يحتفل بعيد ميلاده في 25 ديسمبر من كل عام. (تبنت المسيحية البولسية هذا التاريخ لميلاد المسيح). وقد ولد الإله ديونسيوس في مزود واعتبر الطفل المقدس تماماً مثلما حدث لمسيح بولس فيما بعد. عُرف ذلك الإله باسم «مترا» في بلاد فارس وقد فرض الفرس عبادته أثناء احتلالهم للبلاد العربية إلى أنْ جاء الاسكندر وطرد الفرس. ونستنتج هنا

بأن الأفكار والعقائد الدينية التي قامت عليها دعوة بولس بدأت مع الحركة المسارية.

2 ـ الهرمسية: تنسب الحركة الهرمسية إلى هرمس الإله والنبي والحكيم مُعلم الإنسان وأول من اخترع الكتابة والخياطة ولبس الملابس واشتغل بالحكمة والكيمياء والفلك والتنجيم والطب. وهي صفات كثيرة يصعب أنْ تجدها في شخص واحد مهما تنوعت معرفته. وقد اعتقد العرب بأنّه النبي ادريس (اخنوخ عند اليهود). وقد اعتبرته الشعوب القديمة منها. فهو مصري عند المصريين والإله «اهورامزدا» عند الفرس. ودعاه الإغريق «هرمز». وهو «بوذا» مثلث العظمة الجامع بين النبوة والحكمة والملوكية في الشرق الهندي والصيني. وهو أحد ملوك بابل قبل الطوفان. ويبدو بأنّ هذه الشخصية الأسطورية كانت منتشرة لدى معظم الشعوب القديمة. (تمثل شخصية هرمس مجموع مسارات الانسان عبر مراحل التاريخ مع التعلم والارتقاء) وقد ظهرت نصوص هرمسية باللغات القديمة في القرون الأولى من العصر الهلينستي نسبت إلى هرمس، وكان من شأنها أنْ حرّكت الحياة الفكرية والروحانية في المشرق الهلينستي. وقد وصفت الهرمسية بأنّها مركب فلسفي ديني علمي قائم على أساس سحري. ويبدو أنّ متن الهرمسية الفلسفي والديني شكل الأساس للحركة الغنوصية فيما بعد. وقد أعطت الهرمسية إلى الأديان عقيدة صعود روح الإنسان الصالح إلى السماء عندما يموت؛ أمّا الإنسان الطالح فيفسد جسده ولا تصعد روحه إلى الأعلى بل يرشقها الشيطان بسهم إلى جهنم.

3 ـ الغنوصية أي العرفانية (يعتقد بأنّ المندائية هي من بقايا الغنوصية).

عُرفت الغنوصية بأنّها طريقة نظر وفهم خاص للعالم والمعرفة والدين. والعرفان هو عدم الإيمان بالعالم الظاهر المحسوس والشعور بالغربة عنه والتعلق بعالمين غير منظورين، أحدهما باطني مليء بالأسرار(المساتير) والخفايا؛ والآخر سماوي حيث الإله الواحد الذي يجب اللحاق به والإتحاد معه (حالة ابن

عربي) وقد ظهرت الغنوصية قبل الميلاد وأثّرت أو مهّدت الطريق لظهور الأديان. وكذلك أثّرت على الفلسفة والعلوم. وتقول الغنوصية بأنَّ العرفان حالة خاصة بصفوة من الناس تُعنى بمعرفة الأسرار الإلهية. وتعني اتصال الشخص الغنوصي بالآلهة والتماهي معها بحيث يستطيع أنْ يلعب دور المخلص للناس من خطاياهم بل أن يتحمل العذاب عنهم بقوة الطاقة المعرفية التي امتلكها عن طريق اتصاله بالآلهة وتماهيه معها وأحياناً صيرورته ابنها. (تماماً مثل مسيح بولس ـ ابن الرب ـ الذي صلب على الصليب ليكفِّر عن خطايا الناس). وتقول الغنوصية بأن المادة شر وان هناك صراع بين النور والظلمة.

تتحدر الأفكار الغنوصية من أصول دينية بابلية وكلدانية قديمة. فالإلّه (دموزي – تموز) كان أحد رموزها الروحية. وهو يمثل أول عقيدة معروفة عن إنسان متأله ينزل إلى العالم السفلي ويصعد إلى العالم الأعلى. وقد انتشرت عبادة الإله تموز في المشرق تحت أسماء أخرى. فهو أدونيس السوري واوزيريس المصري واتيس الفريجي وزيوس الإغريقي وبوذا في الشرق الاقصى وماني في بلاد الفرس. وأول نبي للعرفانية هو الملك البابلي (نبوئيد او نبي عيد 556–539 ق.م) والذي جعل الإله سين (القمر) إلهاً وحيداً لها (يا سين إنك لمن المرسلين). ويرسل الإله القمر ابنه الإله المخلص تموز (المسيح فيما بعد) لينذر البشر ويدعوهم إلى عبادة الإله الأعلى ويقص عليهم قصة الخلق والهبوط والصعود ويخلص أرواحهم الخالدة من أجسادهم الفانية. وقد صاغ عقيدته على مبدأ الخلاص الذي لا يتم إلاّ بتنقية النفس والإيمان العميق بالروح الإلهية وتغلغلها داخل الإنسان وتتبع مسراها حتى العودة بها إلى خالقها الأعلى. وكانت دعوته تقوم على فكرة هبوط وصعود النفس البشرية من أجل الخلاص وعلى عقيدة الثواب والعقاب والحساب والجنة والنار.

وقد ظهر كذلك مذهب الدوسيتية الذي كان يؤمن بأن المسيح الذي ظهر على الأرض لم يكن ذا جسد بشري بل كان جسده مثل جسد الشبح.

والجدير بالذكر أنَّ اليهودية الأولى الصحراوية لم تكن تؤمن بالحساب والآخرة والعقاب. إلاَّ أنَّ اليهودية الجديدة التي تمَّ صياغتها في بابل والاسكندرية في ذلك الزمن تبنّت جميع تلك المبادئ بما فيها عقيدة انتظار المسيح المنتظر.

في ذلك الجو المشحون بالفكر الديني الفلسفي الحيوي في المنطقة العربية وفي ظل التسامح الهلنستي الذي سمح به خلفاء الاسكندر، ظهرت الأفكار الدينية الكبيرة وتبلورت مستفيدة من الحوار الفلسفي المتطور. وهكذا ظهرت الحركات التوفيقية التي أخذت تغربل الأفكار الدينية المختلفة وتبلورها وتجددها ما أدّى إلى ظهور عقائد دينية جديدة أكثر تماسكاً من الأولى تدور حول تفسير الكون والخالق وخلق البشر والخلاص. وهكذا ظهرت الديانة المندائية بالعراق والتي تمحورت حول عقيدة التوحيد وجمعت بين عالمي النور والظلام، ولكنها بقيت سرية؛ وكذلك ولدت الزرادشتية التي تمثل النور والخصب والخلاص في فارس؛ وفي بابل تراجعت عبادة الإله مردوخ بتأثير من الحركة الغنوصية التي شاعت في العراق والرها وحرّان والاسكندرية وتبلورت على أنقاضها حركة توفيقية سريانية ـ إغريقية متأثرة بالفكر الفلسفي الإغريقي إلى جانب الفكر الغنوصي. وقد نتج عن ذلك بروز عقيدة المسيح المخلص في المنطقة، والتي تزعّمها بولس واضع أفكار المسيحية الجديدة. وقد بنى بولس دعوته حول قصة النبي عيسى ابن مريم الذي ولد وعاش في منطقة نجران قبل فترة وحوّلها إلى قصة المسيح الإله المخلص ابن الإله الأعلى الذي أرسل ابنه مخلصاً وفادياً للبشرية والذي يموت على الصليب ويعود في آخر الزمان لكي يخلصها من سجن الجسد ومن ثم الصعود إلى الأعلى للالتحاق بالرب السامي لأنها جزء منه. وتؤكد البولسية بأن يسوع المسيح لا علاقة له بمشيح اليهود المنتظر. ولقد تبلورت المسيحية كثيراً بعد بولس وغادرت الفكر الغنوصي بعد أن دخل عليها الفكر الفلسفي الهلنستي. وبعد 300 سنة من النضال المسيحي في

ظل احتلال الرومان للمنطقة خضعت المسيحية لسيطرة الدولة البيزنطية التي جعلتها دين الدولة الرسمي بعد أن خلّصتها من الأفكار الغنوصية. وفي عام 324م. أعلن الامبراطور قسطنطين قيام المسيحية القويمة الرسمية وشنّ الحروب على المسيحيين الأصليين الغنوصيين معتبرهم مهرطقين بسبب الخلاف حول أصل المسيحية وأصل التوحيد وقضايا أخرى. وقد بقيت فرق كثيرة من المسيحيين الغنوصيين تناضل ضد الكنيسة المسيحية الرسمية إلى زمن ظهور الإسلام حيث أن معظمها رأت فيه ملبياً لعقائدها فانضمت إليه ورفعت لواءه.

وخلاصة القول أنَّ تلك الفترة من تاريخ المنطقة والتي عرفت بالفترة الهلنستية والتي امتدت لمدة 600 سنة من تاريخ سقوط الحكم الفارسي واجتياح الاسكندر، أي من حوالي عام 334 ق.م إلى حوالي عام 300 بعد الميلاد، شهدت فيها المنطقة تغييرات كثيرة على الصعيد السياسي والتجاري والمعيشي والثقافي والفكري والديني أدَّت إلى ظهور دول جديدة وحضارات جديدة وأديان جديدة حددت مسار تاريخ المنطقة في العصور التي تلت. وفي تلك الفترة تمَّ تحديث الديانة اليهودية التي تأثرت بالمعتقدات الهلنستية وكذلك تمّت فيها ترجمة أو إعادة كتابة التوراة باللغة الهلنستية والتي عرفت بالتوراة السبعونية (المزوّرة) أصل البلايا التي حلّت بفلسطين والمنطقة والتي بدأ فيها اختراع وطن جديد لليهود في فلسطين. كما أنَّ تلك الحقبة شهدت ولادة المسيحية البولسية وظهور الأناجيل المسيحية العديدة والتي صُنّفَت إلى أناجيل قانونية وهي الأناجيل الأربعة المعترف بها من الكنيسة الرسمية أي؛ متى ومرقص ولوقا ويوحنا والأناجيل الأخرى التي اعتبرت غير قانونية من قبل الكنيسة في روما وهي الأناجيل الغنوصية مثل إنجيل يهوذا وإنجيل فيليب وإنجيل النزاريين (إنجيل النصارى) وإنجيل الحقيقة وإنجيل جيمس وإنجيل ميلاد مريم وإنجيل يوسف النجار وإنجيل بطرس وإنجيل برنابا وإنجيل توما وانجيل الطفولة العربي وغيرها من الأناجيل، عدا عن الأناجيل التي اعتبرت ضائعة. وجميع تلك الأناجيل

ظهرت في القرون الثلاثة الاولى بعد الزمن المفترض لظهور المسيح على الارض. وقد تأثر كل إنجيل بمعتقدات الكاتب الذي كتبه. فمنهم من انحاز للفكر اليهودي ومنهم من كان متأثرا بالافكار المسارية او المذاهب الغنوصية والدوسيتية، ولذلك جاءت قصة المسيح في اناجيلهم مختلفة وغير متطابقة.

ولمن يريد التوسع في الإطلاع على تفاصيل الحركات الدينية والفكرية في الحقبة الهلنستية أحيله إلى كتاب «كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد» للكاتب العراقي خزعل الماجدي والصادر عن المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء وبيروت) ومؤسسة مؤمنون بلا حدود سنة 2014.

ابتداء العصر الهليني ـ الروماني

بعد وفاة الاسكندر المقدوني وانقسام امبراطوريته بين قواده وأحفادهم، شهدت تلك الفترة بداية صعود روما والرومان على مسرح الأحداث في أوروبا وفي الشرق. وخلال مئة عام (300-200 ق.م.) كانت روما قد سيطرت على الإمبراطورية المقدونية من بلاد القبط (مصر حالياً) إلى سوريا والعراق وخراسان وبدأت تدرك الأهمية الاستراتيجية سياسياً وتجارياً لسواحل البحر الأحمر واليمن ولذا بدأت تصوّب نحو ساحل البحر الأحمر العربي. وكان جزء من شمال اليمن يعرف باسم اليهودية (حسب التوراة). وقد بدأت الحملة الحربية الرومانية على بلاد اليهودية على يد القائد الروماني انطيوخوس بعد استيلائه على مصر. وقد تمكّن انطيوخوس من دخول أورشليم اليمن بعد سنتين. وبعد 32 سنة أصبح يهوذه المكابي عام 166ق.م. ملكاً على بلاد اليهودية في اليمن (وليس في فلسطين حسب تلفيق التوراة السبعونية). ومنذ ذلك الزمن دخلت بلاد اليهودية في حروب كرّ وفرّ متواصلة مع الجيش الروماني في اليمن وليس في فلسطين. وكان عماد تلك الحروب القبائل اليمنية صعبة المراس بقيادة المكابيين والحسيديين ومن ثم الحشمونيين. وقد حاول الرومان باستمرار انتزاع اليمن من

السيطرة الفارسية. أي أنَّ الفترة من عام 166 ق.م. شهدت دورات من الحروب والهدوء. وقد أدّت تلك الحروب المستمرة إلى تضعضع القبائل اليمنية وإنهاكها وإفقارها، ما دفع فلولها إلى البدء بالهجرة إلى شمال الجزيرة العربية أي إلى العراق والشام حيث قامت بإنشاء أوطان جديدة لها مطلقة عليها أسماء أوطانها القديمة. والجدير بالذكر أنّ جميع تلك الحروب المذكور زوراً بالتوراة السبعونية بأنّها وقعت في فلسطين، وقعت في الحقيقة باليمن. وأنّ الحملة العسكرية التي قام بها تيتس [تيطوس] على أورشليم وأخرج اليهود منها سنة 69 ق.م. كانت في أورشليم اليمن وليس في فلسطين. وقد نجح الصهاينة والكتاب التوراتيون في تنزيل تلك الاحداث على تاريخ فلسطين القديم لخلق قناعة تاريخية بوجود إسرائيل فيها.

هل هاجر اليهود إلى فلسطين؟

يعتقد المؤرخون بأنّ أول ظهور لمهاجرين عرب يدينون باليهودية في فلسطين كان في حوالى عام 300 قبل الميلاد أثناء الحكم اليوناني لبلاد الشام. علماً بأنّ فلسطين آنذاك كانت مأهولة بقبائل عربية هاجرت إليها في موجات سابقة على مدى ستة الآف سنة قبل الميلاد، ومنها العموريين وكنان والفلستيم. وقد انتشرت فلول القبائل اليمنية كجماعات صغيرة في العراق والشام وبلاد القبط (مصر فيما بعد) حاملة معها أديانها ومنها اليهودية. وقد عمد اليهود إلى التبشير بين شعوب المنطقة لكسب مؤيدين وإكثار أعدادهم.

يتحدث الكاتب كمال صليبي في كتابه «البحث عن يسوع» عن تصوره لانتقال القبائل العربية إلى فلسطين. تقول الفقرة: «إنّ مرتفعات فلسطين وجوارها ما هي إلاّ امتداد للمرتفعات اليمنية والحجازية المحاذية للبحر الاحمر والتي تنتهي إلى ساحل البحر المتوسط. وقد كانت المسالك البرية للتجارة بين حوض المحيط الهندي وحوض البحر المتوسط تمر عبر هذه المرتفعات أو

بمحاذاتها منذ أقدم العصور. وهي المسالك نفسها التي سهّلت ما يسمى بالعربية «التشاؤم» إشارة إلى النزوح البشري المشهود، منذ أقدم العصور، من اليمن والحجاز وغيرها من مناطق الجزيرة العربية إلى الشام أي إلى بلاد الشمال. والأرجح أنّه كان عن طريق هذه المسالك بالذات أن انتقلت أعداد كبيرة من اليمنيين من يهود وغير يهود، وأكثر ما يكون ابتداءً بالقرن الرابع ق م».

إذن لقد وصلت أعداد من اليمنيين الذين يدينون باليهودية إلى فلسطين قبل الميلاد بـ 300 سنة مثلهم مثل مهاجرين يمنيين آخرين لا يدينون باليهودية. وقد كانوا فقراء معدمين وليس لهم أية قدرة على التأثير في الوضع السياسي في فلسطين كما تدعي كتابات اليهود والمستشرقين الملفقة. وعندما وصلوا كانت القدس الفلسطينية موجودة. وقد سكن أولئك اليهود خارج القدس في مغاور منطقة البحر الميت ومنها خربة قمران وشكلوا عصابات سلب ونهب كانت تسطو على مدينة القدس، ما دفع بالقائد الروماني الى محاربتهم. ولا تزال المنطقة مأهولة بمضارب قبائل بدوية. ويبدو أنّ كهنة المهاجرين اليهود جلبوا معهم مخطوطات عن ديانتهم وتعاليم أحبارهم وتلمودهم وما يعتقد بتوراة اليهود والوصايا العشر وجميعها مكتوبة باللغة الحميرية الكنعانية والتي يقال لها تزويراً «عبرية» وهي ما يعرف حاليا بـ «مخطوطات البحر الميت». وقد تلقف الكتّاب اليهود والصهاينة تلك المخطوطات وأوسعوها ترجمة وتفسيراً محاولين أنْ يثبتوا الصِلة بين اليهودية والمسيحية الأولى. وقد وضعوا تفسيراً مؤداه بأنّ جماعة يشوع (معلم البر) كانوا في كهوف قمران وقد خلّفوا وراءهم مخطوطات تفيد بأنهم كانوا يحاولون تنقية الموسوية مما علق بها من خرافات وخزعبلات على أيدي الأحبار والكهنة اليهود، وتالياً لم يكن قصد يشوع وأخيه يعقوب من بعده الدعوة إلى ديانة جديدة. ويبدو أنّ بولس أخذ عنهم قصة يشوع (يسوع بالعربية) وبنى عليها قصة يسوع المسيح الإله ابن الإله مستغلاً العقائد الدينية التي كانت منتشرة في الشرق حول الملك الإله الذي يموت ويحيا لافتداء شعبه وتخليصه من العذاب. ويبدو واضحاً أنّ بولس هو الذي انتصر وأسّس الديانة المسيحية

التي تختلف عن ما عرف عند العرب القدماء بالنصرانية بشارة النبي عيسى بن مريم في نجران.

ولقد قامت اسرائيل الحالية بالاستيلاء على مخطوطات البحر الميت وإخفائها ولم يسمحوا بالاطلاع عليها ودراستها إلاّ للباحثين الذين يؤيدون فكرة ولادة المسيحية من رحم اليهودية. ولكن يبدو بأنّ بعض الكتّاب الصادقين انقلبوا وفضحوا خديعة إسرائيل وكشفوا حقيقة المخطوطات. ولا تزال المعركة قائمة بين المؤيدين لأهداف إسرائيل والكتّاب المؤيدين للحقيقة.

هل دخل الرومان اليمن؟

نعم دخل الرومان اليمن. وقد سبق أنْ ذكرنا بأنّ الرومان بعد أنْ أكملوا احتلال المشرق واستتب لهم الأمر في بلاد الشام وفلسطين (بدءاً من 330 ق.م.) صوّبوا أنظارهم نحو الساحل الغربي للجزيرة العربية أي سواحل البحر الاحمر واليمن بهدف إكمال سعيهم للسيطرة على طريق القوافل التجاري حول الجزيرة العربية وقطع الطريق على عدوهم اللدود الفرس. لذا جرّدوا عدة حملات عسكرية واشتبكوا في معارك طاحنة مع الحاميات الفارسية هناك ومع القبائل اليمنية التي كانت تدين باليهودية الموالية لفارس وترفض أنْ تخضع للرومان. وتذكر كتب التاريخ بأن اليوس جالوس حاكم بلاد القبط الروماني قاد حملة على الحجاز واليمن بغرض تأمين خط تجارة روما الشرقية ووصل إلى مأرب، لكن الحملة فشلت عسكرياً ثم جرّد حملة أخرى انتهت بالنجاح. وحين تمكّن الرومان من احتلال أورشليم اليمن (في اليهودية حسب التوراة) قبل عام 135 ق.م. قاموا بطرد اليهود منها بسبب مناوشاتهم للحكم الروماني. إنّ جميع الاشتباكات والحروب التي تذكر التوراة السبعونية بأنّها وقعت في قدس فلسطين بين الرومان واليهود إنّما وقعت في أورشليم اليهودية باليمن وليس في القدس الفلسطينية. والجدير بالذكر أن القدس الفلسطينية لم تكن موجودة قبل عام 300

ق.م. كما أنّ الأوضاع في فلسطين جنوب سوريا والتي كانت تدعى إيلياء حسب التقسيم الإداري الروماني، كانت هادئة تماماً في تلك الفترة. ففي عام 160 ق.م. كان يوجد حاكم روماني يدعى ابلونيوس، على بلاد السمرا باليمامة (السامرة حسب تحريف التوراة) وكذلك ولاة من ضباط الجيش الروماني على عدد من المناطق اليمنية الممتدة إلى وادي حورون باليمامة. وحسب التوراة كان يوجد ملكٌ يُدعى يهوذا المكابي في اليهوذية من سنة 166 الى 160 ق.م. وهو الملك الذي قاد المعارك ضد الرومان في اليهوذية باليمن. فإذا كان ذلك الملك في شمال فلسطين كما تدعي الكتابات اليهودية، فلماذا لا يَرِدُ ذكره في كتب المؤرخين اليونان والرومان وكذلك الأرشيف الروماني عن فلسطين؟

إنّ سفرَ المكابيين (من الأسفار المستبعدة من التوراة لأنه يكشف كذب اليهود) يروي قصة الاحتلال الروماني لمنطقة يهوذا السمرا في شمال اليمن (عسير حاليا) حيث كانت مشيخة اليهوذية التي تدعوها التوراة «مملكة يهوذا» وهي الأحداث، التي وجَدَ مترجمو التوراة السبعونية والكتّاب اليهود والمستشرقون فيما بعد، بأنّها لا تتطابق مع جغرافية فلسطين البحر المتوسط فرفضوا السِّفْر واعتبروه مزوراً. ولكن جميع الأسماء والمواضع الواردة في السفر تتطابق بشكل كامل مع جغرافية شمال اليمن إلى يومنا هذا. عدا عن ذلك، إنّ أرشيف الحكم الروماني لا يذكر شيئاً عن وقوع أحداث سفر المكابيين في فلسطين الشام. ومع ذلك استمر الكتّاب اليهود والمستشرقون الأوروبيون في الادعاء بأنّ تلك الأحداث وقعت في فلسطين وأنّ الزمن قد دثر المواضع المذكورة في السِفْر. تلفيق وكذب. لماذا لم تندثر المواضع والأماكن عينها من المواقع الحقيقية في شمال اليمن أو تهامة عسير؟ إنّ كلمة المكابي في اسم يهوذا المكابي هي صفة. ويعود هذا اللقب إلى منطقة مكاب التي جاء منها يهوذا وإخوته وهي موجودة اليوم في عسير التي كانت في الماضي جزءاً من اليمن. إنّ المكابيين لم يطأوا فلسطين اطلاقاً. ويمكن أنْ نعثر اليوم على مكاب في صورة

كاب في منطقة اليمامة وهي من مرتفعات اليمن. وعلى مقربة منها توجد «مدان» التي يقول النص التوراتي إنّ يهوذا ولد فيها. وأوضح أنّه لا يوجد في شمال فلسطين أي أثر لمثل هذا الإسم. وتقول التوراة بأنّ يهوذا المكابي كان ملكاً على اليهودية بين 166 ـ 160 ق.م. وليس له أي ذكر في كتب المؤرخين اليونان والرومان ضمن تاريخ فلسطين لتلك الحقبة. وأود أن أنقل الفقرة التالية من كتاب «فلسطين المتخيلة» للكاتب فاضل الربيعي وبالإذن منه:

«لقد اعتمد الكتّاب المعاصرون في روايتهم للحقبة الرومانية من التاريخ الفلسطيني، على هذا السفر بشكل شبه تام والذي هيمنت فيه السردية التوراتية على السرد التاريخي؛ ولا يكاد يوجد في حوزة الرواة المعاصرين، وثيقة موازية أكثر دقةً أو موضوعية يمكن الاعتماد عليها لتصحيح المسار الغامض للأحداث، والذي ظل مساراً مستعصياً على الفهم؛ ذلك أنّ قراءة السفر على أنّه يسرد احداثاً تخص فلسطين التاريخية، يرتطم بتداخل غير معقول في أسماء أماكن ومواضع لا وجود لها هناك (أي في فلسطين). والمثير للاهتمام أن هيرودوتس (نحو 450 ق.م.) لا يذكر في تاريخه أي شيء عن بلاد اليهودية هذه في فلسطين. إذا كانت مملكة اليهودية قائمة قبل المرحلة السلوقية، فإنه لمن الصعب حقاً، فهم السبب الذي دفع المؤرخين والجغرافيين القدماء إلى إغفال الإشارة إليها، مع أنّهم كتبوا بالتفصيل عن تلك المرحلة؟»

لقد استمرّت الحملات العسكرية الرومانية على اليمن لانتزاعها من يد الفرس حتى مطالع الدعوة الإسلامية؛ وكان الرومان قد أوكلوا إلى حليفتهم ووكيلتهم الحبشة أن تقوم باحتلال اليمن عام 524 م. نيابة عنهم. أما فلسطين البحر المتوسط (فلسطينا حسب التسمية الرومانية) فقد كانت بين الأعوام 160 ـ 134 ق.م هادئة وتخضع كلياً للسيطرة الرومانية خلافاً لما يدّعيه اليهود والكتّاب الأوروبيون.

ثمة جماعة أخرى تحالفت مع يهوذا المكابي في الحرب ضد الرومان هم

الحسيديون «حسيديم حسب التوراة» سكان وادي الحسيد في اليمن وكانوا يقيمون في السراة الممتدة حتى جبل قدس إلى الجنوب من تعز. وتعز هذه هي تعز ذاتها الموجودة إلى يومنا هذا. وهذا دليل آخر على أنَّ المناوشات مع الرومان كانت في اليمن وليس في فلسطين.

وبعد تلك الأحداث منع الرومان اليهود من التبشير وهكذا بدأت أعدادهم بالتناقص. ولكن جاءهم الفرج فيما بعد، من مملكة الخزر التي اعتنقت اليهودية في القرن الثامن الميلادي. وهذا ما سيرد ذكره في الفصل التاسع عن الفرع اليهودي الأوروبي.

أرجو من القارئ أن ينتبه إلى أنَّ التوراة السبعونية طمست وحذفت أي ذكر للصدامات بين القبائل اليمنية التي كانت تدين باليهودية وبين الرومان في سرو حمير باليمن وركّزت على الاشتباكات التي كانت تحصل في قدس فلسطين بين الرومان والسكان العرب وهي طفيفة وادعت وقوعها مع اليهود. وهكذا اختلط الأمر على الإنسان العربي وأعتقد بأنَّ الأحداث التي وقعت في أورشلم اليمن إنّما وقعت في قدس فلسطين.

الفصل السادس

القدس الفلسطينية ليست أورشليم اليمنية

بدايةً، أود أنْ أكرر توضيح مسألة أورشليم؛ إنّ أورشليم التوراة كانت في مشيخة يهوذا بسراة حمير. وتقول التوراة بإنّه كان للفلستيم (أي بني طي الذين كانوا يتعبدون للإلَه «فلس») قرية تدعى «بيت بوس» فوق جبل قدس الشاهق (حسب وصف التوراة العبرية) والذي يرتفع بين 3200 إلى 3500م فوق سطح البحر وهو بجانب جبل صهيون باليمن. وكانت تلك القرية «بيت أمان» أي أورشليم بسبب موقعها الحصين فوق جبل وعر يصعب الوصول إليه. وقد استولى داوود عليها في حروبه ضد الفلستيم حوالى سنة 960 ق.م. بحسب التوراة، وأصبحت عاصمته وفيها بنى سليمان الهيكل. وعندما هاجر بعض الفلستيم إلى جنوب الشام انشأوا في حوالى عام 400 ق.م. بلدة جديدة عُرفت بالقدس اي مكان التقديس تيمناً بمدينتهم الأولى في اليمن وهي التي ظهرت إلى الوجود في فلسطين وعرفت باسم القدس العربية فيما بعد. أرجو من القارئ أنْ يلاحظ بأنَّ أورشليم اليمن تقع على جبل قدس ـ قدشا؛ أي أن إسمها ليس قدشا. بينما القدس الفلسطينية أُطلق عليها اسم «القدس» منذ نشأتها. ثم جاء المهاجرون من يهود اليمن القديم وسكنوا في جوارها وأطلقوا عليها اسم **بنت أورشليم وأورشليم الجديدة** تيمناً بأورشليم اليمن التي ضاعت بعد تدميرها من قِبَل نبوخذ نصر قبل 700 سنة من الميلاد. وبعد ظهور التوراة السبعونية ساد

الاعتقاد لدى اليهود بأنَّ قدس فلسطين هي أورشليم مدينة داود. وهكذا تم الخلط بين الإسمين.

إنَّ كثيرين من المؤرخين العرب يحار في تفسير موضوع أورشليم القدس، ويحارون كيف يفسّرون الوضع وينجرّون وراء آراء غربية عن أصل القدس وبيت يبوس وخلافه. حبذا لو يتنبّه الكتّاب والمؤرخون العرب إلى أنَّ أغلب كتاباتهم عن القدس وفلسطين مأخوذة عن مؤلفات الكتّاب المستشرقين والصهاينة. لقد قام هؤلاء بتغيير تاريخ القدس وفلسطين بما يتناسب مع التوراة الملفقة. فقد قاموا بتغيير أسماء جبال أو هضاب القدس وأوديتها وقراها كافةً بأسماء من التوراة السبعونية، وقد ساعدهم في ذلك الرومان والصليبيون وحكم الانتداب البريطاني.

إنَّ اليهود العرب يعرفون جيداً أنّ هذا الكلام هو الحقيقة ولكنهم ينكرون ذلك علانية. والدليل على ذلك أن آلاف اليهود الأميركان والأوروبيين من أصول يمنية يزورون اليمن كل سنة. لماذا يذهبون إلى اليمن إن كانوا يجهلون حقيقة الأمر؟ وتأكيدا لهذا الكلام، فإنّ التوراة تنفي أي علاقةٍ لليهود بقدس اليمن. وقد جاء في الإصحاح 19 من سفر القُضاة عن رجل من بني إسرائيل اقترب ومعه غلامه وحماره من بيت يبوس. يقول الإصحاح: «وفيما هم عند يبوس (في اليمن) والنهار قد انحدر جداً، قال الغلام لسيده هيّا نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها. فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة، ليس فيها أحد من بني إسرائيل»[1].

هذه هي يبوس التي تحوّلت تزويراً إلى القدس فأورشلم: مدينة غريبة عن بني إسرائيل وليس فيها أحد من بني إسرائيل. أي أنَّ بني إسرائيل لم يُنشئوها.

(1) هذه الواقعة حدثت قبل أن يحتلها داود ويجعلها مدينته.

إنها مدينة اليبوسيين إحدى عشائر بني طي أو الفلستيم، كما تسميهم التوراة وموقعها في اليمن.

وأود أن أكرّر بأنّه كان من عادات وتقاليد القبائل العربية تخصيص موقع في أعالي الجبال يصعب الوصول إليه بسهولة وذلك لإقامة الناسك المتعبد المنقطع عن الدنيا وكذلك لإجارة الهارب والمباح دمه واللاجئ. وكان يدعى ذلك المكان «اورشلم» أي دار سلام. وكان يوجد في اليمن القديم أكثر من «قدس» ذكر منها المؤرخون العرب القدماء ثلاثة، وجميعها في أعالي الجبال الوعرة. لا شك أن بعض القراء سيقول الآن إن الاسم ورد في القرآن الكريم. الحقيقة إن الاسم الذي ورد في القرآن الكريم هو المسجد الاقصى. ولمن يريد التوسع في موضوع الخلط بين أسماء «بيت المقدس» والمسجد الاقصى، أحيله إلى كتاب «حقيقة السبي البابلي» لفاضل الربيعي.

يذكر كتاب «نداء السراة» لجمعية التجديد في البحرين بأن «قدس أو قادش» هو من الأسماء القديمة لمكة المكرمة وأن معظم ما ورد في التوراة عن القدس هو عن مكة التي هي قدس النبي إبراهيم.

والجدير بالذكر أنَّ اورشليم أو بيت يبوس اليمن تقع جنوبي صنعاء وتعز على جبل قدس الشاهق الوعر وعلوّه حوالى 3000م (حسب كلام التوراة). أمّا القدس العربية في فلسطين فليست على جبل شاهق وإنّما أقيمت على أرض هضاب عالية دُعيت جبالاً وأعلاها لا يتجاوز علوه 750 متراً؛ ولا يوجد بقربها جبال شاهقة يصعب الوصول إليها. كما لا يوجد في فلسطين وبجوار القدس بالذات جبل عرف باسم جبل صهيون إلاّ بعد الاستعمار البريطاني وادعاءات إسرائيل. وبسبب تلك الاسماء والصفات المتعددة التي أسبغت على «أورشلم» اليمن وبسبب «الإسرائيليات» التي تسرّبت إلى تفسيرات الكتّاب المسلمين، اختلط الأمر على بعض المؤرخين العرب واعتقدوا خطأ بأنَّ قدس فلسطين هي

أيضاً أورشليم التوراة والمسجد الأقصى. إنّ قدس فلسطين هي «قبة الصخرة»، إن الخلط بين اسم قدس فلسطين وأورشليم اليمن بدأ بعد ظهور التوراة السبعونية اليونانية وإبان هجرة بعض اليهود من اليمن وبابل بعد انتهاء السبي وبشكل قوي إبان الحروب الصليبية. لقد اعتقد مسيحيو أوروبا أن مدينة القدس في فلسطين هي مدينة المسيح المقدسة وأن مسلمي فلسطين استولوا عليها وأن واجبهم الديني تحريرها. ولا يخفى على القارئ التحريض اليهودي وراء ذلك الاعتقاد الخاطيء.

وقد قام د/ محمد بهجت قبيسي بالتحقق من ادعاء اليهود بأنّ اسم أورشليم ورد في نصوص اللعن القبطية في القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وقد خلص إلى أن النصوص تورد اسم «اوشام م» وليس اورشليم؛ ويعتقد بأن المقصود هو «الشام». ويقول بان ال (أو) هي سابقة لغوية مثل وجودها في اسم «اوغاريت»، ثم اين حرف الراء وحرف اللام؟ لا راءَ ولا لامَ في كلمة اوشام م. إذن لا يمكن اعتبارها أورشليم. هذا تزوير صريح. ويقول الدكتور قبيسي إنهم قالوا بإن إسم «إسرائيل» مذكور في نقش مرنبتاح. وعند العودة إلى النقش ودراسته لم يجد اسم «اسرائيل» إطلاقاً، وإنّما أسماء الكنعانيين والحطين ويازير. لقد قام «اسرائيل ولفنسون»[1] باعتبار أن مجرد ورود اسم الكنعانيين واسم يازير (التي قد تعني يازور) يكفي للقول بأن النصوص تعني إسرائيل. منطق أعوج وتزوير صريح. إن اسرائيل ولفنسون قام بشكل مكشوف بسرقة الخط الكنعاني الذي كان يستعمله الفلسطيون وسماه في مؤلفاته بالقلم العبري القديم. علماً بأنه لا يوجد ولم يُعثر على أية مخطوطات مكتوبة بلغة عبرية قديمة لأنها لم توجد أصلاً. أمّا الحرف العبري المستعمل الآن فيما يسمى باللغة

(1) كاتب مصري يهودي عاش في مصر في النصف الأول من القرن العشرين وكان يلقب بابو ذؤيب. وقد عمل مدرساً للغات السامية في كلية دار العلوم بالقاهرة وكتب عدة كتب بالعربية عن اليهود. وهو أول من نشر كتاب موسى بن ميمون «دلالة الحائرين».

العبرية والتي تمّ اختراعها في أوروبا، فهو مأخوذ عن الخط المُسنَد اليمني القديم.

وأود أن أشير إلى مسألة بيت إيل التي يدَّعي اليهود بأنّها هي قرية بيتين الواقعة شمال شرق رام الله. إنَّ بيتين ليست إطلاقا بيت إيل التوراة لأنَّ بيت إيل التي أقامها النبي إبراهيم حسب التوراة هي نفسها بيت الله التي أقامها النبي إبراهيم حسبما جاء في القرآن الكريم وهي اليوم موقع المسجد الحرام في مكة المكرمة. ولا يجب أن نغفل أبداً عن هذا الموضوع الدقيق. فبيتين ورام الله فلسطين لم تكونا موجودتين زمن النبي ابراهيم (ع). وهناك مئات قصص التزوير والتلفيق التي حاول الكتّاب الصهاينة من خلالها نقل مسرح أحداث التوراة من اليمن والحجاز إلى فلسطين. كما أشير إلى ادعاء إسرائيل بأن تل بلاطة في نابلس هي «شكيم»؛ وأبيِّن بأنَّ نابلس واسمها الأصلي «نيابوليس» أي المدينة الجديدة بُدِئ في إقامتها في الفترة من 12-9 ق.م. في زمن حرد (هيرودس) وحرد اسم عربي قديم لا يزال يستعمل وبخاصة في العراق تحت شكل حردان. كما أن أسماء الجبال والأودية في محيط القدس تمّ تغييرها في الحقبات الرومانية والصليبية والاستعمارية والاسرائيلية. عدا عن أنه لا يوجد جبل اسمه جبل صهيون في فلسطين كلها، كذلك لا يوجد جبل موريا أو وادي هنوم إلاّ حديثاً. وأنقل هنا عن موقع المسلوب www.almasloob.com عن جغرافية القدس في فلسطين:

«أقيمت القدس على أربعة جبال هي الموريا وصهيون وأكرا وبزيتا وهي ليست إلاّ آكام مستديرة على هضبة عظيمة بينها أودية جافة مثل وادي الأهنوم. وتحيط بالآكام الاربعة جبال أخرى أهمها جبل الزيتون وجبل رأس المشارف وجبل السناسية وجبل المنظار وجبل صموئيل (وهو اسم حديث) وجبل أبو عمار والمكبر وجبل بطن الهوا». ويبدو واضحاً أن الكاتب ينقل عن كتب الجغرافيين اليهود والمستشرقين الأوروبيين.

وسأحاول الآن أن أبيّن الأسماء الأصلية للآكام الجبلية الأربعة التي تقوم القدس عليها:

1 ـ جبل الموريا ويعني المختار بالعبرية: الإسم الأصلي هو جبل/هضبة القدس منذ إنشائها ثمّ قام الصهاينة بتغيير الإسم إلى «الموريا» لأن أورشليم اليمن تقوم على جبل قدس وبجانبه وادي مور(سيل الماء الأعظم في اليمن) وجبل هنوم. لاحظ كيف عمد الصهاينة إلى استعمال اسمي جبل موريا ووادي الأهنوم في محيط الهضبة التي تقوم عليها القدس للإيحاء بأنها الأسماء نفسها المذكورة بالتوراة والتي تقول بأنها تقع بجوار أورشليم.

2 ـ جبل صهيون/ صيون: هذا الاسم جديد على فلسطين ولم يظهر إلى الوجود إلاّ بعد الحروب الصليبية. ويوجد في اليمن بجانب جبل قدس جبل صيون ولا يزال موجوداً إلى الآن بالاسم نفسه. وهو الجبل الذي تقصده التوراة. والإسم يكتب بالحميرية/ العبرية القديمة صهيون وحرف الهاء أداة تعريف قديمة في اليمن كانت تضاف إمّا قبل الاسم مثل «هاأرتس» وإمّا بعد الحرف الأول مثل «صهيون» أو « يهرعش» أي «الرائش أو الراعش» أي المنعم أو الغني، ويطلق عليه اليهود أيضاً اسم «جبل داود». لم يرد اسم هذا الجبل في كتب الجغرافيين العرب القدماء. وأطلب من الباحثين أن يبحثوا عن ذلك في كتب الإخباريين والجغرافيين العرب القدماء. واعتقد ان الإسم الأصلي هو جبل الخليل.

3 ـ جبل أكرا أو أكر: لا أعرف أصل هذا الاسم، ولكن يوجد بجوار جبل قدس باليمن وادي الكور (اللفظة بالعربية). وكتابة الكور باليمنية القديمة هي أكر حيث كان حرف «ا» يستعمل كحرف تعريف في أحد مراحل تطور اللغة. وحرف «و» هو تعبير عن حركة الضمة بعد حرف الكاف. المهم أنّ وادي الكور- أكر هو في اليمن، فكيف انتقل الاسم إلى

فلسطين؟! لاحظ أن الأسماء التي اطلقت حديثاً على جبال وأودية القدس مأخوذة من التوراة التي تصف أورشليم اليمن. وحيث أن كنيسة القيامة تقوم على جبل أكر، فلا بد أن في المخطوطات المحفوظة في مكتبة الكنيسة الخبر اليقين.

4 ـ جبل الزيتون واسمه الأصلي جبل الطور، وقد تغيّر اسمه في فترة الحكم الروماني حيث كان الرومان يعتقدون أنّ المسيح مُسِح بالزيت على هذا الجبل. وجبل سيناء الذي هو طور سيني في اليمن. والجدير بالذكر أنّ الإسمين يردان في التوراة «طور زيتون» و «طور سينا». ويذكر المؤرخون العرب أنهما في بلاد غامد بالجزيرة إلى الآن.

يرد بين أسماء الجبال أو الهضاب التي تحيط بالقدس الفلسطينية اسم جبل صموئيل وقرية النبي صموئيل. إن إطلاق هذا الإسم على هذا الجبل هو تزوير واضح إذ إن قرية النبي صموئيل أو السموأل (بالعربية) لا تزال موجودة في اليمن وكانت تدعى مصفاه أو رامه ولا تزال موجودة باليمن إلى يومنا هذا. والجدير بالذكر أن ما يُطلق عليه الآن اسم جبل صموئيل كان يدعى جبل شيلو أو جبل المسرة في أيام الصليبيين.

يرد في كتاب للدكتور سهيل زكار الذي قام بتحقيق كتاب «التوراة ترجمة عربية عمرها اكثر من الف عام» نشر دار قتيبة في دمشق 2007 النص التالي:

«تقع القدس على هضبة القدس والخليل وفوق القمم الجبلية التي تمثل خط تقسيم المياه بين وادي الأردن والبحر المتوسط غرباً. وكانت نشأة النواة الاولى للبلدة على تلال الضهور المطلة على قرية سلوان الى الجنوب الشرقي من المسجد الاقصى. وساعدت مياه عين ام الدرج في الجانب الشرقي من الضهور على توفير المياه للسكان. وأحاط بالموقع وادي قدرون (جهنم) من

الناحية الشرقية وأحاط وادي الربابة (هنوم) من الجهة الجنوبية ووادي الزبل من الجهة الغربية. وقد هجرت النواة الاولى للمدينة مع مرور الزمن وحلت محلها نواة رئيسية تقوم على تلال أخرى مثل مرتفع ساحة الحرم في الشرق».

تذكر الباحثة الآثارية «كاتلين كينون» في كتابها «الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة» بأن انشاآت سليمان في حصور ومجدو وجازر المذكورة في التوراة في سفر الملوك الأول هي تل المتسلم وتل القدح وتل الجزري. هكذا بكل بساطة عمدت هذه الكاتبة المتجنية إلى إسقاط أسماء توراتية على مواقع التلال الثلاث في القدس العربية مدعية بأن قصور سليمان كانت تقوم عليها. وقد عمد عالم الآثار الاسرائيلي «ايجال يدين» بالتنقيب في المواقع الثلاث بحثاً عن دليل يطابق رواية التوراة وادعى بأن تاريخ إقامة تلك الإنشاآت يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد وهو التاريخ المفترض لوجود سليمان. ثم جاء بعده منقبون آخرون آملين باكتشاف ما يعيد الفضل إليهم. ولكن خرج الجميع من التنقيب بُخفَّيْ حنين. فهذا المنقب «أمنون بن تور» وغيره من المنقبين في موقع تل المتسلم (مجدو زورا) يرفضون استنتاجات كينون ويدين ويؤكدون بأنّ تلك الانشاآت لا تعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد ويوجد مثيلاتها في مواقع أخرى لا تقع ضمن أرض إسرائيل حسب التوراة. وهكذا انهار هذا الادعاء المتعسف.

يذكر الكاتب لورنس دافيدسن في كتابه «الآثاريات الكتابية والصحافة – صياغة التصورات الأمريكية لفلسطين في العقد الاول من الانتداب» ترجمة صادرة عن دراسات قدمس في دمشق: «إن علم الآثار في فلسطين ركّز على مواقع العهد القديم. إن العهد القديم وبالتالي التاريخ اليهودي القديم في فلسطين (كما هو مصور في التوراة) هو الذي سعى اللاهوتيون إلى إثبات صحته. وحتى أولئك المسيحيون الذين اعتبروا فلسطين وطناً ليسوع، كانوا سيجدون أنفسهم جراء اتباعهم علم الآثار الامريكي في فلسطين، وقد تمّ إعادة

توجيههم نحو فلسطين المَلِكَيْن: داوود وسليمان وخلفائهم قبل المسيحية. ففيما سعى الصهاينة مادياً إلى تحويل فلسطين إلى وطن قومي يهودي ساهم عمل علماء الآثار، في تحويل فلسطين على الصعيد النفسي إلى أرض يهودية».

لقد حاولت أن أجد التاريخ الحقيقي لقدس فلسطين من خلال تصفح مواقع تاريخ فلسطين والقدس على الشبكة؛ ولكن للأسف وجدتُ أن جميع المواقع وعلى رأسها «ويكيبيديا» مكتوبة من قبل كتّاب يهود وكتّاب توراتيين صهاينة. كما وجدت أن معظم المواقع العربية تنقل عن ويكيبيديا وتترجم من الكتابات باللغة الانكليزية. لم أجد كاتباً أو باحثاً عربياً واحداً حاول البحث الصحيح عن القدس وفلسطين. الكل ينقل عن الكتّاب الأوروبيين واليهود. فالجميع يرجع تاريخ بناء القدس إلى 5000 سنة مع أنّ علماء الحفريات فشلوا في العثور على أي دليل آثاري يثبت أن أورشليم أو هيكل سليمان كانا تحت القدس العربية.

وقد شهد شاهد من أهلها: صرَّح العالم الاركيولوجي الإسرائيلي «زائيف هرتزوغ» الاستاذ في جامعة تل أبيب والمولج بالحفريات الآثارية في فلسطين؛ صرّح لصحيفة «هآرتس» الإسرائيلية بتاريخ 28/ 11/ 1999م بأنّ الحفريات العديدة في أرض «إسرائيل» خلال القرن العشرين ـ أي خلال مئة سنة ـ أوصلتنا إلى نتائج محبطة. فكل شيء مختلف ولم نعثر على أي شيء يتفق مع الرواية التوراتية، وأن قصص الآباء في سفر التكوين هي مجرد أساطير فنحن لم نهبط إلى مصر ولم نخرج منها ولم نتهْ في صحراء سيناء ولم ندخل فلسطين في غزوة صاعقة احتلت الأرض ووزعتها على الأسباط كما يقول سفر يشوع. وأصعب الأمور أن المملكة الموحّدة لداوود وسليمان التي تصفها التوراة بأنها دولة عظيمة ما هي إلاّ دويلة صغيرة. لقد سقط القناع وبانَ الحق وزُهِقَ الباطلُ. هذا إثبات واعتراف من أكبر عالم حفريات آثارية في إسرائيل بأن أحداث التوراة لا يوجد لها أي أثر في فلسطين. فمثلاً إن الحفريات التي قاموا بها في منطقة المسجد

الأقصى وقبة الصخرة وتحتهما لم تسفر عن أي أثر أو بقايا من هيكل سليمان المزعوم وذلك لأن هيكل سليمان بني في أورشليم اليمن وتمَّ إحراقه على يد نبوخذ نصّر في حالي 586 ق.م..

تقول الآثارية إتيان مارغريت شتاينر التي خلفت الباحثة كاتلين كينون في التنقيب في فلسطين بأنّ كاتلين كينون توصلت إلى استنتاج بأنه لا وجود للقدس في فلسطين قبل القرن السابع ق. م. وأن القدس نمت ببطء حتى أصبحت مدينة في القرون التالية. كما أنّ اسم أورشليم بدلاً عن اسم القدس ظهر لأول مرة في القرن الأول الميلادي لدى الكاتب اليهودي الكذّاب فلافيوس يوسيفوس. علماً بان المؤرخ هيرودت الذي زار المنطقة حوالى سنة 450 قبل الميلاد، ذكر اسم «قاديتوس» أي «قدس» في كتابه ولم يقل أورشليم إطلاقاً واوضح بأنها بلدة سورية تقع على مقربة من «ماجدولوس» اي مرج ابن عامر/ تل المتسلم، ما يعني أن المدينة كانت ومنذ تأسيسها تعرف باسم القدس.

إنّ المشكلة التي نعاني منها هي أنّ تاريخ فلسطين المكتوب أُخذ من روايات التوراة السبعونية وكتابات المؤرخ اليهودي الدِّعي يوسيفوس وتكهنات الكتّاب التوراتيين في القرن التاسع عشر. لقد قام الكتّاب اليهود منذ نشر التوراة السبعونية المزورة في حوالى عام 286 ق.م. بإسقاط قصص التوراة التي وقعت في اليمن والحجاز على فلسطين حتى أصبح في يقين الناس أن هذا هو تاريخ فلسطين وأن اليهودية نشأت في فلسطين وأنّ جميع الأنبياء كانوا في فلسطين وأن الديانات اليهودية والنصرانية هبطت في القدس.

إنّها معضلة كبيرة. كيف ننزع من عقول الناس ومعارفهم هذا التزوير اليهودي الذي دخل في كتب المؤلفين العرب والمسلمين منذ ألف وخمسمائة سنة؟ هذا هو السؤال الكبير! كيف تقنع الناس بأنّ تاريخ فلسطين والقدس الذي يعرفونه ليس صحيحاً وأن اليهود قاموا بتحريفه وتزويره لكي يطابق ادعاءاتهم المكتوبة في التوراة السبعونية؟ إن هذا التاريخ المزور والمسكوت عنه والمعمول

به منذ الفي عام أصبح حقيقة لدى العالم كله ومن الصعب أنْ تجد فرصة لإقناعه بالحقيقة الحقيقية. لقد ساهم مؤرخونا وكتّابنا في تكريس هذا التزوير عندما كتبوا واعترفوا خطأً بوجود اليهود في القدس ونشأة الأنبياء من إبراهيم إلى يعقوب إلى موسى وداوود وسليمان في قدس فلسطين. كيف جازت تلفيقات وأكاذيب اليهود عليهم؟! بعد الفتح الإسلامي وانتشار العرب في البلاد خارج الجزيرة بدأت مرحلة تدوين السيرة والأحاديث النبوية وتدوين تفسير القرآن. وهنا وقع المفسرون والمدونون في مشكلة تفسير القصص الواردة في القرآن الكريم (قصص الأنبياء خاصة). ولم يكن بين أيديهم أية مراجع مكتوبة. ولذا لجأوا إلى كتب اليهود بحثاً عن تفسير لتلك القصص. ومن هنا دخلت في التأريخ الإسلامي ما عرف بالإسرائيليات والتي كرّست الرواية اليهودية لتاريخ فلسطين وجغرافيا أحداث التوراة.

تُفيد المصادر القليلة المتوفرة بأنّه لم يكن في القدس أي وجودٍ يُذكر ليهودَ ناهيك عن بني إسرائيل. والقلّة اليهودية التي كانت في القدس وجوارها تنصّرت ثمّ لم تلبث أن أسلمت بعد الفتح الإسلامي. ويذكر الكاتب شلومو صاند في كتابه «اختراع أرض إسرائيل» بأن اليهود لم يكونوا يحجّوا إلى القدس إلاّ بعد احتلال القدس من قبل الصليبيين في عام 1099م. وأولئك الحجّاج القلائل كانوا متهودين حسب التوراة السبعونية. ويورد الكاتب شلومو صاند أيضاً بأن كاتبين يهوديين زارا فلسطين في منتصف القرن الثاني عشر ووجدا بأن القدس كانت لا تزال مدينة صغيرة وأن أعداد اليهود فيها أقل بكثير من أعدادهم في دمشق أو بابل وأن عددَ اليهود المقيمين في فلسطين آنذاك لا يتعدى ثلاثمائة عائلة. ويورد الكاتب في موقع آخر عن زائر آخر: «عندما وصل مشولام من فولتيرا (إيطاليا) إلى القدس، تعجب من جمال أبنيتها وتعجب من أسلوب حياة المحليين (العرب) الذين يسميهم الاسماعيليين (تأثراً بنصوص التوراة السبعونية) واليهود الثلاثة والعشرين المقيمين معهم». ونفهم من المصدر نفسه أيضاً بأن عدد اليهود

في القدس في عام 1734م كان الفا نسمة من بين عدد السكان الشامل والذي كان خمسين الفا حسبما نقله عن يوميات سفر موشيه حاييم كابسوتو الذي سافر من فلورنسا إلى القدس. هذه الأعداد المتواضعة لليهود في فلسطين أمام الأعداد الكبيرة للعرب سكان البلاد الأصليين تبرهن بلا جدل بأنّ فلسطين كانت مأهولة بالسكان غير اليهود منذ بدأت موجة هجرات قبائل عربية يمنية إلى بلاد الشام إبّان سقوط الفرس واحتلال الاسكندر المقدوني للمنطقة بأكملها.

قصة السامرة

تدعي التوراة السبعونية والكتّاب التوراتيون بأنَّ جبل جرزيم في نابلس والمذكور في التوراة يقع في فلسطين في منطقة السامرة ـ السمرا (أي الضفة الغربية حسب زعمهم). وهذا زعم غريب حيث أنَّه لم يرد هذا الاسم في أي من الكتابات القديمة عدا التوراة. إنَّ الاسم الأصلي للجبل هو جبل الطور أو البركة وتم تغييره في الخرائط من قبل الصهاينة إلى جبل جرزيم. وتسكن الطائفة السامرية المعروفة باسم «ناطوري كارتا» على قمة تل الراس وهم يؤمنون بالنبي موسى والأسفار الخمسة الأولى من التوراة. والغريب في الأمر أنَّ تاريخ منطقة السمرا يرد في مؤلفين فقط هما سفر المكابيين الأول والثاني وكتب المؤرخ الدّعِيّ يوسيفوس. علماً بأنَّ اليهود يرفضون الإعتراف بأسفار المكابيين ويعتبرونها أبوكريفا أي كاذبة. إن أسفار المكابيين تروي تاريخ الفترة من198 ـ 60 قبل الميلاد. لقد قام الكتّاب التوراتيون بإسقاط تاريخ تلك الفترة على فلسطين اعتماداً على سفري المكابيين وعلى التاريخ المزور في كتب يوسيفوس. إن أحداث فترة المكابيين وقعت في اليمن في منطقة عرفت باسم اليهودية/ بلاد السمرا. والجدير بالذكر أنَّ اليهود استنكروا سفري المكابيين واعتبروهما منحولين لأن التاريخ الوارد فيهما لا ينطبق إطلاقاً على فلسطين وإنّما ينطبق على مقاطعة اليهودية الواقعة في تهامة اليمن وأنَّ أسماء جميع الأماكن والجبال

والأنهار والقرى والقبائل لا وجود لها في فلسطين ولكنها موجودة إلى يومنا هذا في اليمن. إن التاريخ المكتوب في سفري المكابيين يثبت بلا مجال للشك بأنَّ الرومان احتلوا بلاد اليهودية في اليمن وأنَّ الصدامات والحروب مع اليهود وقعت في اليمن وليس في فلسطين.

الفصل السابع

فلسطين في بداية الحكم الروماني وظهور المسيح

إن الفترة من 135 ق م. إلى بداية التأريخ الميلادي من تاريخ فلسطين تعرضت للتشويه على يد مترجمي ومفسري التوراة السبعونية وكتابات المؤرخ اليهودي الدعي يوسيفوس، بحيث عمدوا إلى اعتبار الأحداث التي يرويها سفر المكابيين كتاريخ لأحداث وقعت في فلسطين بينما هي وقعت في اليمن. وقد ارتكز معظم المؤرّخين على المصادر السابق ذكرها. لم يكن لبني إسرائيل وجود يذكر في فلسطين وإنما كان يوجد مهاجرون يهود بعضهم من اليمن والبعض الآخر من الذين رحل عن بابل بعد سقوطها في يد الفرس وإلغاء أسرهم. وقد اختاروا اللجوء إلى جوار مدينة القدس الناشئة حيث سكنوا المغاور والكهوف.

قصة مسيح بولس

تروي رسائل بولس والأناجيل الأربعة قصصاً عن ظهور شخص اسمه يشوع ادّعى بإنّه من سلالة داوود وإنه صاحب الحق في عرش داوود. لقد حاول الكاتب كمال الصليبي في كتابه «البحث عن يسوع» أنْ يلقي الضوء على حقيقة ذلك اليسوع وعلاقته بالمسيح وقد طرح نظرية تستحق مزيداً من البحث. يقول كمال الصليبي بإنّ يشوع ابن يوسف النجار كان اميراً في بيت داوود باليمن وقد اقتدى بجد له يدعى زربابل طالب بعرش داوود، محاولاً الوصول إلى عرش

إسرائيل باليمن. وقد كان بعض الاسرائيليين في زمانه لا يزال ينتظر ظهور «مشيح» من بيت داوود يعيد إنشاء مملكة إسرائيل المنافسة لمملكة يهوذا (اليهودية). ولما فشل في مسعاه في اليمن انتقل هو وأتباعه إلى فلسطين على اعتبار وجود جالية يهودية فيها. وقصة هذا الرجل لا تزال غامضة. وثمة روايات عن معلم السلام وأتباعه خارج القدس الفلسطينية جاء ذكرها في لفائف قمران. علماً بأنَّ تلك اللفائف لم تذكر شيئاً عن المسيح وصلبه؛ كما أنَّ الأرشيف الروماني لم يذكر شيئاً عنه، ما يؤدي إلى الشّك في ظهور المسيح في فلسطين أو القدس. وعلى كل فإنَّ الأناجيل التي كتبت بعد حوالى 60 ـ 100 سنة من التاريخ المفترض لظهور المسيح تروي قصة المسيح وتبشيره في فلسطين. وتشير الكتابات العديدة التي ظهرت في فلسطين في الفترة الهلنستية، إلى قصة المسيح «ابن الرب» وصلبه وقيامته. وهي قصة دينية تنتمي إلى الأديان القديمة التي كانت سائدة في البلاد العربية من اليمن حتى البحر الأبيض وأوروبا. (يرجى مراجعة الملخص عن الحركات الفكرية الهلنستية في الفصل السادس).

تذكر بعض القصص القديمة بإنَّ عيسى بن مريم بنت عمران (مدينة عمران لا تزال موجودة في شمال اليمن) بشّر بدعوته المناهضة لتصرفات الكهنة اليهود بسبب ابتعادهم عن أصول الدين في منطقة نجران في اليمن القديم[1]. ثم جاء بولس الإنطاكي (من سوريا) بعد ذلك واطلع على قصة عيسى بن مريم من أتباعه الذين هربوا من نجران إلى فلسطين وقام بدمج قصة عيسى بن مريم النجراني مع قصة يشوع بالإضافة إلى كثير من المعتقدات الدينية التي كانت سائدة في سوريا ومصر آنذاك، مثل طقوس عبادة الإله مثرا والإله زحل وقصة اوزيريس، حتى يجذب الناس إلى ديانته، إلى أنْ توصل إلى ديانة جديدة عرفت بالبولُسية أولاً ثم

(1) أذكّر بقصة زيارة وفد نصارى نجران للرسول محمد (ص)؛ وقد جاءوا من نجران المكان الذي ولد فيه عيسى المسيح حسب اعتقاد الكاتب كمال الصليبي وهي الحقيقة التي يشير إليها القرآن ضمناً.

ما لبث أن تغير اسمها إلى المسيحية. إنَّ انجيل متى الأساس للديانة البولُسية ما هو إلاً خليط لقصة النبي عيسى بن مريم التي وقعت في منطقة نجران وقصة النصارى الأوائل ومعلمهم يشوع[1]. والجدير بالذكر أنَّ بولُس عاصر التاريخ المفترض للمسيح حسب إنجيل متى ولكنه لم يلتقِه إطلاقاً (وهنا علامة استفهام كبيرة لانه التقى بطرس ويعقوب وغيره من التلاميذ). ولكي يغطي على هذا النقص استنبط فكرة إطلالة المسيح عليه من السماء أثناء نومه بالطريق خلال سفره إلى دمشق. وقد قام بولس بتحويل المسيح من إنسان مبشِّر إلى إلَه ابن إلَه جاء إلى الأرض لتخليص البشر؛ علماً بأن موطن بولس هو طرسوس شمال سوريا.

ثمَّة نقطة مهمة وردت في إنجيل متى عن وجود اليهود في الهيكل في أورشلم. ولقد مرَّ عليها الجميع مروراً عابراً دونما تمحيص. وإنني أعتقد أنَّ المقصود هنا أورشلم اليمن وليس القدس العربية. وتفسير ذلك أنَّ النبي عيسى بن مريم الذي جاء ذكره في القرآن الكريم وكما قلت سابقاً، هو غير يشوع الذي يقال بإنَّه ظهر في فلسطين. وإنّ بولس، وبعد سفره إلى الحجاز والمكوث فيها حوالى ثلاث سنوات، أحضر معه مخطوطة كان يقرأ فيها ويبشّر منها. وأغلب الظن أنها تحتوي على إنجيل عيسى بن مريم. وهي الأساس الذي ارتكز عليه في صياغة ديانته: الديانة البولُسية التي عرفت فيما بعد بالمسيحية. وقد قام بولس بالمزج بين حياة عيسى بن مريم النجراني وحياة يشوع، وكذلك قام بدمج

(1) اعتقد بأن اسم يشوع مأخوذ من كلمة يثع ـ يشع ثم يشوع (باليمنية القديمة). والذي يشع هو كوكب الزهرة. لاحظ أنه يوجد في الأيقونات المسيحية على رأس الطفل يسوع وهو في حضن أمه هالة نجم الزهرة التي برأيي ترمز إلى وضعه كابن الإله القمر. والمعروف أن الإلٰه سين هو إله ثالوثي يمني قديم: القمر وقرينته الشمس وابنهما الزهرة في إله واحد. وقد عثر في اليمن على تمثال عبارة عن ثلاثة آلهه ملصوقين ظَهراً بشكل ثلاثي. (والتمثال موجود الآن في الفاتيكان). والإلٰه سين هو أصل عقيدة التثليث التي دخلت في البولُسية المسيحية. وهذا ما يؤكد على أن اليمن هي الأصل.

مفاهيم وطقوس الديانات المحلية التي كانت سائدة في سوريا الطبيعية في صلب تعاليمه. فقد تبنى مفهوم الإله الثالوث الذي كان معروفاً باليمن باسم «سين» أي القمر والشمس والزهرة. وكذلك مفهوم السيدة العذراء «أي عشتار» التي تلد بلا دنس والإله ابن الإله ومفهوم المخلّص الفادي الذي قدّم حياته فداءاً للبشر لتخليصهم من العذابات «عقيدة الصلب». وكذلك تبنى جميع الأعياد التي كانت موجودة في سوريا الطبيعية والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياة الناس في المجتمع الزراعي. وقد ظهر إنجيل مرقص[1] حوالى سنة 100 ب.م وأصبح مرجعاً للديانة الناشئة.

باختصار؛ قام بولُس (الروماني الجنسية) بتجديد المعتقدات الدينية القديمة التي كانت سائدة في الجزيرة العربية من جنوب اليمن حتى البحر الأبيض المتوسط ووضعها في قالب جديد يناسب انتشارها في العصر القائم وتمهيداً لدخول الامبراطورية البيزنطية الأوروبية في المسيحية. وما لبثت الامبراطورية البيزنطية أن تبنّت هذه الديانة الجديدة وجعلتها دين الدولة الرسمي وذلك على يد الامبراطور قسطنطين. وبعدئذ، ومن أجل كسب الوثنيين في أراضي الامبراطورية الرومانية إلى جانب الدين الناشئ قام آباء وقساوسة الكنيسة في روما بتبني معظم مواقيت أعياد الناس مثل عيد ميلاد المسيح في 25 ديسمبر بدلاً من 6 يناير حسب معظم الباحثين. وقد كان القصد من ذلك التقرب من الوثنيين في الامبراطورية الرومانية الذين كانوا يحتفلون بعيد الإله زحل (ساترناليا) في ذلك اليوم: أي الاحتفاظ بالتاريخ ولكن تغيير اسم الإله إلى يسوع المسيح. وقد تبنّت الكنيسة في روما كذلك عقيدة الصلب التي كان يمارسها وثنيّو أوروبا في

(1) يعتقد بعض الكتّاب التوراتيين أن الإنجيل الأول هو إنجيل مرقص الذي ظهر في حوالى سنة 60 م. ولم يذكر قصة الصلب والقيامة. ثم ظهر إنجيل متى على المنوال نفسه، إلاّ أنه تعرض للإخفاء من قبل الكنيسة ثم ظهر مجدداً سنة 80م بعد أن طرأ عليه تعديلات كثيرة تتماشى مع تعاليم الكنيسة البوليسية.

عيد ساترناليا بعد الاحتفال وكذلك سائر الأعياد والمظاهر التي كانت تجري في روما وأوروبا. وتدرُّجاً أصبحت المسيحية ديانة أوروبية بفلسفة أوروبية تتبنى معظم المعتقدات الدينية الأوروبية. وعندما حاولت الامبراطورية الرومانية أن تفرض مسيحيتها على الشرق ـ فلسطين وسوريا ومصر ـ رفضها مسيحيو الشرق لأنها غريبة عمّا يعرفونه. وقد قامت حروب بين الرومان ومسيحيي الشرق الذين اتهموا بالهرطقة. وقد انتهت الأمور بغلبة إرادة الامبراطور قسطنطين بعد مجمع نيقيا حيث أعلن قانون الإيمان الذي نص على الإيمان بإله واحد هو الله وأنَّ الله له ابن واحد وحيد هو الرب يسوع الذي أرسله ليخلص الناس من عذاباتهم.

الفصل الثامن

الفرع اليهودي الأوروبي

إنّ اليهود الذين اغتصبوا فلسطين واستعمروها في العصر الحديث ليسوا من بني إسرائيل وليسوا من العرق اليمني بل هم من أصول تتارية وتركية وقوقازية. وتفصيل ذلك أنّه في القرن الثامن ب.م. كانت المنطقة الممتدة من سواحل بحر قزوين الشمالية إلى سواحل البحر الأسود الشمالية أي بين الامبراطورية العثمانية وروسيا مأهولة بقبائل الخزر الوثنية. وكان بحر قزوين يسمى باسمها «بحر الخزر». وكانت كل من الدولتين تحاول أن تجذب قبائل الخزر إلى ديانتها لما في ذلك من منفعة عسكرية لها. ويفيد التاريخ بأنّ بعض المستشارين أشاروا على زعيم الخزر بأنْ يعتنق هو وشعبه ديانة أخرى، غير الإسلام أو المسيحية، بحيث تصبح بلاده على الحياد بين الدولتين وتقوم كلتاهما بخطب وده. وفعلاً قام زعيم الخزر هو وشعبه باعتناق اليهودية في حدود عام 786م. وقد أسس اليهود الخزر مملكة قوية امتدت إلى المجر ورومانيا. وفي عام 968م زالت الدولة على يد الروس. وما لبثت قبائل الخزر اليهودية أن هاجرت إلى البلاد الأوروبية المجاورة مثل روسيا وبولندا وبروسيا وغرب أوروبا كمحطة أولى؛ ثم إلى أميركا فيما بعد. وقد نشأ أولئك الخزر اليهود على التوراة السبعونية المضللة. فهم يجهلون الحقائق ويعتقدون بأن فلسطين هي الأرض التي وقعت أحداث التوراة عليها، ومنهم كل زعماء إسرئيل

المؤسسين أمثال هرتزل وبن غوريون وبيجن ومائير وأشكول وروتشلد والحاليين أمثال بيريز ونتنياهو وليبرمان وغيرهم. نادراً ما تجد بينهم يهودياً من أصل عربي. إن كونهم يهوداً لا يعطيهم الحق لا بفلسطين ولا باليمن. فاليهودية ديانة وليست قومية. ومنذ أن جاؤا إلى فلسطين والمنطقة في فوضى وحروب دائمة. وقد مارست الحكومات اليهودية خداعاً وتسلطاً مستمراً، تساعدها في ذلك الحكومات الأميركية والأوروبية.

إنَّ ما حدث على أرض فلسطين هو استعمار سافر من جماعة أوروبية غريبة ليس لها جذور بالمنطقة، وقد ساندها وساعدها الغرب بأكمله (أوروبا الغربية والولايات المتحدة) إمّا انتقاماً من العرب وإما استكمالاً لمشروعه الاستعماري القاضي بالسيطرة على المنطقة وتفتيتها لاستغلال ثرواتها ومنعها من النهوض أو خضوعاً لضغوطات الجماعات البروتستانتية والبيوريتانية في اميركا. إنها سياسة فرّق تسدْ نفسها ولكن بأدوات ووجوه جديدة.

وتأكيداً لكلامي أنقل عن جريدة «الخليج» الإماراتية في عددها رقم 12297 الصادر في الشارقة بتاريخ 18 يناير 2013: «أظهرت دراسة في العلوم الوراثية نشرت أمس بأنّ يهود أوروبا تعود أصولهم إلى خليط من الشعوب أهمها قبائل من القوقاز اعتنقت اليهودية. ويرى واضع الدراسة بأنها ستحل الجدل القائم منذ أكثر من قرنين حول هذه المسألة. وهي تنفي ادعاءات الصهاينة بأن جميع اليهود طردوا من فلسطين وأن جذورهم من منطقة الشرق الأوسط. ويمثّل اليهود الأشكيناز، أي اليهود ذوي الأصول الأوروبية حوالى 80٪ من مجموع اليهود في العالم والبالغ عددهم أكثر من 13 مليون نسمة». وفي محاولة لإلقاء مزيد من الضوء على هذه القضية، نشرت مجلة «جينوم بيولوجي اند ايفوليوشن» البريطانية دراسة قارنت بين مجينات (مجموع جينات) 1287 يهودياً لا تربطهم صلات قربى ويتحدّرون من ثماني مجموعات يهودية، و74 شخصاً من غير اليهود. وقد عمل أران الهايك الباحث في معهد «جون هوبكنز» في بالتيمور في

الولايات المتحدة، على فرز هذه المجينات والبحث عن التحولات في خريطة الحمض النووي المرتبطة بالأصول الجغرافية للمجموعات البشرية. وقد عثر الباحث على مؤشرات في مجينات اليهود الأوروبيين تدل بوضوح على أنَّ أصلهم الأساسي هو القوقاز بنسبة كبيرة والشرق الأوسط بنسبة قليلة».

أمّا الإنسان الأوروبي فقد تلقى منذ البداية معلومات محرّفة. إن مصالح الأوروبيين المسيحيين ومصالح يهود أوروبا التقت في العداء للعرب والمسلمين والحضارة العربية، فاتفقوا على نسيان الماضي والتعاون معاً ضد عدوهم المشترك. ولذا عمل الأوروبيون على تعويم اليهود ودفعهم للوقوف في وجه العرب.

الصلح بين اليهودية والمسيحية الأوروبية

كانت أوروبا الكاثوليكية في القرون الوسطى ترفض اليهود وتكرههم وتضطهدهم بوصفهم قتلة المسيح، وكانت تعتبرهم خونة وملاعين وليسوا شعب الله المختار. وكانت بعض الدول الأوروبية مثل انكلترا وإسبانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا لا تسمح لهم بالإقامة فيها وتطردهم، والبعض الآخر كان يفرض عليهم العيش في أحياء منبوذة دعيت «الغيتو» بعيداً عن أحياء السكان المسيحيين. وكان الفاتيكان يقود حملات الكراهية والاضطهاد ضدهم مما دفعهم للهرب من أوروبا إلى المغرب العربي في شمال أفريقيا. ثم وقعت أحداث في أوروبا غيّرت نظرة الأوروبيين إلى اليهود. وهذه الأحداث هي:

1 - ظهور حركة الإصلاح الديني البروتستانتية عام 1517م على يد القس الالماني مارتن لوثر الذي نادى بإصلاحات دينية أدّت إلى تخفيف الضغط عن اليهود.

2 - ظهور حركة اوليفر كرومويل في انكلترا (1599-1658) الذي ألغى الملكية وأعلن الجمهورية. كان كرومويل ميّالاً إلى البروتستانت وقد اعتنق

المذهب البيوريتاني الذي كان مؤيداً بشدة لليهود تعجيلاً لنبوءة عودة المسيح . وقد عمد إلى رفع الحظر عن التوراة واعتبرها تروي قصة الفترة التي مهّدت لظهور المسيحية . وسمح بعودة اليهود إلى انكلترا .

3 ـ بدء ظهور الطبقة البرجوازية في أوروبا الغربية . وهي الطبقة التي كانت تدين بالولاء إلى المال . وحيث أنَّ اليهود كانوا أسياد المال فقد تلاقت مصالح البرجوازية مع اليهود . وقد عمد اليهود إلى التغلغل في معظم الحركات البرجوازية والتأثير عليها .

4 ـ اندلاع الثورة الفرنسية عام (1789) التي نادت بالحرية والمساواة بين فئات الشعب دونما تمييز عرقي أو ديني . وقد أدّت الثورة إلى إحداث إصلاحات اجتماعية واسعة في أوروبا مهّدت الطريق إلى إزالة المضايقات ضد اليهود وإلغاء جميع أشكال التمييز والتفرقة .

5 ـ بدء الثورة الصناعية في أوروبا وظهور طبقة العمال الأمر الذي أدّى إلى تغيير أولويات الشعوب وتراجع التعصب الديني في أوروبا ونشوء النظرية الشيوعية وقيام أحزاب عمالية ساهم اليهود في دعمها .

6 ـ انبلاج الحركة القومية في أوروبا وألمانيا بالذات، وظهور جماعات من المثقفين اليهود الذين تأثروا بالحماس المتقد للقومية الألمانية وأخذوا على عاتقهم اختراع «قومية يهودية» وتكوين شعب يهودي ممهدين الطريق لظهور الحركة الصهيونية .

7 ـ إكتشاف القارة الأميركية وبدء الحركة الاستعمارية الأوروبية وحمى احتلال البلدان في أميركا وآسيا سعياً إلى استغلال ثرواتها الطبيعية .

وقد جاء اكتشاف القارة الأميركية فرجاً لاقتصاد أوروبا وللطوائف الدينية التي كانت على خلاف مع الطوائف الكبرى المسيطرة على الدولة . ففي انكلترا آثرت الطائفة البيوريتانية المنشقة عن المذهب الانجليكاني الهجرة إلى القارة

الجديدة هرباً من قبضة الكنيسة الإنجيلية . (سيظهر تأثير الطائفة البيوريتانية على المعتقدات الدينية في الولايات المتحدة فيما بعد حيث تساهم الجماعات البروتستانتية والبيوريتانية بدفع الحكومات الاميركية إلى تبني إقامة دولة إسرائيل تعجيلاً لنبوءة «عودة المسيح» بعد عودة اليهود إلى أورشليم) .

وقد كان الأوروبيون يطمحون دوماً للعودة إلى الشرق والسيطرة عليه، لما فيه من ثروات ولموقعه، وهم لم ينسوا إطلاقاً هزيمتهم على يد صلاح الدين ثم خروج الصليبيين النهائي من فلسطين والشام على يد المماليك . لقد بقيت مصر والشام كامنة في تفكيرهم . وقد درسوا أسباب هزيمتهم وكيف نجح صلاح الدين بتوحيد العرب في حربهم ودحرهم . واستنتجوا بأنَّ وحدة العرب كانت العامل الحاسم في قوتهم وقدرتهم على طرد الصليبيين . واقتنعوا بضرورة تحطيم وحدة العرب ومنعهم بعد ذلك من إنشاء أية دولة موحدة حتى يتمكنوا من التغلب عليهم . وأخذوا يراقبون الأوضاع ويتحينون الظروف المناسبة لعودتهم لاستعمار مصر وبلاد الشام بحجة تخليص الأراضي المقدسة من العرب البرابرة . ولكن النية الكامنة كانت استرجاع الأراضي التي تفيض لباناً وعسلاً . وقد تفتق ذهن بعض المفكرين والساسة الأوروبيين عن استعمال اليهود في مسعاهم هذا . إذ إن التوراة كانت تبشر بعودة اليهود إلى أرض الميعاد تمهيداً لظهور المسيح مجدداً . فِلِمَ لا تكون أرض الميعاد في فلسطين؟

ولكن هذا الأمر كان يستدعي رفع الحظر عن اليهود ومصالحتهم . وقد تمّ ذلك بحجة التسامح الديني الذي ساد أوروبا في القرنين السابع والثامن عشر . وقد أدّى اطلاع الكتّاب والمفكرين الأوروبيين على التوراة إلى شحن نفوسهم ومخيلاتهم بهوس اكتشاف أرض الأنبياء ومعاينة المواقع التي ترد في قصص التوراة . لقد عمل هذا الأمر إلى جانب نيّات وجهود الساسة الأوروبيين سنة بعد سنة على تهيئة الجو العام الأوروبي بإحياء فكرة الغزو لاستخلاص الأراضي المقدسة من العرب ولأجل تهيئة الأراضي المقدسة لعودة المسيح . وأخذوا

يتصلون بالجمعيات اليهودية في أوروبا ويطلبون تأييدها. إلاّ أنهم فوجئوا برفض اليهود الشرقيين العودة إلى فلسطين بالقوة البشرية، مدعين بأن عودتهم ستتم بإرادة الله وفي الوقت الذي يعينه. إلاّ أنّ الساسة الأوروبيين، لم ييأسوا وعمدوا إلى الإتصال باليهود في أوروبا الشرقية التي لم تطبق مصالحة اليهود ولم تسامحهم أو تبرّئهم من صلب المسيح. وقد نجحوا في إقناع قادة اليهود في تلك الدول الذين كانوا يحلمون بتغيير أوضاعهم المزرية. وبدأت الآلة الأوروبية الجبارة تدور لتهيئة الظروف والأوضاع لاستعمار الشام ومصر وإحلال اليهود في فلسطين بحجة أنها أرض إسرائيل وأرض الميعاد التي أعطاها (يهو) للنبي إبراهيم ولكي يشكلوا خنجراً في صدر العرب. وبالتالي يتمكنوا من الإستيلاء على بلاد الشام ومصر سياسياً واقتصادياً ويحولون دون نهضة العرب من جديد. وقد أخذ اليهود والمستشرقون الأوروبيون في أواخر القرن الثامن عشر بالدعوة لبناء قومية لهم كشعب وليس كطائفة دينية. ولذا قاموا بتشكيل الحركة الصهيونية لتقوم بالترويج لفكرة شعب ووطن إسرائيل وتأسيس وطن إسرائيل وأنَّ نصوصهم الأدبية (أي التوراة السبعونية وتفسيراتها وكتب اليهود الأخرى) تعنيهم وحدهم كشعب يهودي ولا يحق لغيرهم من الطوائف الدينية الأخرى الخوض فيها. أي أنّهم أعلنوا قدسية كتبهم الدينية. كما قاموا باختراع لغة عبرية في المانيا قابلة للاستعمال ولكن تنقصها الروح فمعظم معانيها خاطئة وطريقة لفظها يغلب عليها الغربة [تُعرف بـ«اليديش»]. والمعروف أنَّ ما يدعى مجازاً اللغة العبرية القديمة ما هي في أحسن الأحوال إلاّ إحدى لهجات اللغة الحميرية اليمنية القديمة التي كانت في اليمن القديم قبل أن تختفي من الاستعمال قبل الاسلام.

خلاصة القول أنَّ بني إسرائيل انتهوا في التاريخ بعد السبي البابلي الأخير واختفت سيرتهم من المرويات العربية القديمة. أمَّا اليهود الذين تسللوا إلى فلسطين مع هجرات القبائل اليمنية واستمروا إلى بعض الوقت في زمن

الاستعمار الإغريقي ثم الروماني، ليس لهم علاقة جغراقية أو تاريخية بأي شكل بفلسطين. إن المنطقة التي عرفت باسم فلسطين فيما بعد، كانت مأهولة بقبائل عربية من طيء وكنانة وبني سليم هاجرت إليها واستوطنتها على مدى 3000 سنة ق.م. ولما جاء اليهود إلى فلسطين جاءوا كأفراد وجماعات صغيرة ضمن هجرات عربية سلمية قبل الميلاد بحوالى 300 سنة. أي أنَّ اليهود لم يغزوا أراضي الفلسطينيين تحت اسم بني إسرائيل كما تقول التوراة السبعونية الملفقة. وأود أن أوضح بأنَّ المستشرقين الأوروبيين والصهاينة الذين كانوا يحضّرون العقول لمرحلة استعمارية جديدة في القرنين الثامن والتاسع عشر أعادوا كتابة تاريخنا لأجل خلق المسوغ التاريخي والقانوني لاختلاق شعب إسرائيل واغتصاب فلسطين. وقد انساق وراءهم معظم كتّابنا ومؤرخينا الذين تلقوا علومهم في جامعات أوروبا. ولذا حفلت الكتب المدرسية بتاريخ مزور لمنطقتنا حتى بات القراء يستنكرون التاريخ الحقيقي ولا يستطيعون تصديق الحقائق التي تكشفها الآن كتب المؤلفين العرب الذين عرفوا الحقيقة وتخلصوا من هيمنة المؤرخين الأوروبيين.

وأودّ أن أوضح بأنني عندما أقول بإن اليمن هي مسرح أحداث التوراة، فإنني لا أدعو إطلاقاً بأي حق لليهود الحاليين في أي شبر من اليمن والحجاز. ففلول بني إسرائيل والقبائل اليمنية التي كانت تدين باليهودية، انتهى بها الأمر إلى الذوبان في القبائل الأخرى بعد تنصّرها أو اعتناقها الإسلام. ولم يبق منها على الديانة اليهودية سوى أقلية انتهى حقها بالأرض عندما هجرت اليمن وتاهت في مشارق الأرض ومغاربها.

لقد جرت مياه كثيرة في الجزيرة العربية منذ ظهور الإنسان فيها. فمن المعروف لدى علماء التاريخ والجغرافيا أن جنوب الجزيرة أي اليمن هي الأرض التي هاجر إليها الإنسان العاقل الأول من أفريقيا ومن القرن الأفريقي بالذات منذ ما يقارب 100 ألف سنة، أي قبل الذوبان الكبير. إنَّ المسافة إلى ساحل اليمن

قريبة ويمكن أن تقطع على الأقدام حيث أن الوادي الكبير بين القرن الافريقي وساحل اليمن كان ضحلاً أو جافاً. المهم أنَّ اليمن كانت مهد الحضارة الأول وفيها جرت تجارب الإنسان العاقل الأول في التعرف على الطبيعة، وفي اللغة واستنباط الحضارة. فالأصل كان في اليمن، ثم انتشرت المعرفة واللغة مع الإنسان شمالاً وشرقاً وغرباً في الكرة الأرضية. فالشعوذة والدين والفلسفة والعلوم كلها بدأت في اليمن. فأول دين سماوي أي اليهودية نشأ في اليمن على يد النبي هود الذي كان في الأحقاف (وليس في الأردن حسب التحريف الصهيوني). وقد بدأ كدين بسيط وقد آمن به كثير من القبائل اليمنية بما فيها بني إسرائيل. وقد مرَّ الدين اليهودي في مراحل عدة وتطور على أيدي عدة أنبياء منهم النبي موسى الذي ولد وعاش في اليمن.

الفصل التاسع

قصص الأنبياء

ارجو الانتباه بأن هذا الفصل لا يروي قصص الانبياء بحذافيرها بل يستعين ببعض قصص الانبياء لتبيان التزييف الذي لحق بها في التوراة السبعونية.

1 ـ تصحيح قصة النبي ابراهيم

يعتقد الإخباريون العرب القدماء بأنَّ النبي ابراهيم هو أول موحِّد وأبو الأنبياء وابو الشعوب جميعاً. ويعتقدون بأنَّ أصل الاسم هو «ابرام» أي اب رام أو أب أعلى. ثم أضيف حرف الهاء في وسط الكلمة (لغة قديمة عند عرب اليمن) فأصبح ابرهام. وما لبث الاسم أن تعرب إلى إبراهيم. ونظراً إلى أنَّهم يعتقدون بأنَّ المفردة عرب هي إحدى تصاريف الفعل «عبر» فهم يعتقدون بأنه جد العبران والعرب كذلك. وحيث أنَّ عبر وعرب تعنيان المعنى نفسه، فيعتقد بأن القبائل العربية القديمة عرفت بالعابرة أو العبرانية ثم قلب الاسم إلى العربية. وقد شاع لدى العرب التقديم والتأخير في أحرف الثلاثي حسب اللهجات المختلفة ويبقى المعنى ذاته. ويقول أحد الباحثين أن لفظة عرب ترادف لفظة بدو أو بادية. ولفظة «غبرة» تساوي لفظة «عربة» أي صحراء. ومن هذه الألفاظ استمدت القبائل صفتها «العبرية» التي تحوّلت إلى «العربية». والآراء في أصل

ومعنى لفظة «عرب» كثيرة ومتشعبة. ويعتقد أحد الكتّاب بأن اللفظة قديمة جداً وتعود إلى مرحلة البداوة عندما كانت بعض القبائل تسرح في الصحراء شرق جبال السراة؛ وفي مرحلة ما عانت من القحط الشديد، ما دفعها إلى اجتياز السراة نزولاً إلى سواحل تهامة وعسير والحجاز حيث الأرض خصبة. وقد دعيت تلك القبائل بالعبران بسبب عبورها حاجز جبال السراة إلى الارض التي تفيض لُباناً وعسلاً. وترد قصة ابراهيم في سفر التكوين في التوراة تحت اسم أبرام مع تفاصيل رحيله عن عشيرته ولجوئه إلى الأرض التي يريها (إيل) له. فيذهب الى ارض كنعان حسب التوراة (والصحيح ارض كنان) وينزل في مكان يعرف باسم بلوطات مورة التي هي جزء من أرض شكيم وبنى فيها مذبحا للرب ثم تقدم من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل حيث أقام خيمته بين شرق إيل وغرب عاي. وهي كلها أماكن تقع في جوار مكة. وقد تمكن الباحث اللامع د. عصام شكيب في كتابه «التوراة تتحدث عن بيت الله الحرام» نشر المركز الثقافي العربي، من كشف حقيقة أن جميع مناسك وطقوس ومشاعر الحج مذكورة في التوراة ولكن جرى تمويهها بشكل لا يتنبّه لها إلا الباحث القدير. وحيث ان سيرة الحج إلى مكة ترد في جميع الاسفار فقد عمد الأحبار الذين كتبوا أو زوّروا التوراة إلى تحوير أسماء مناسك وأماكن الحج إلى أسماء أشخاص وتمويه شعائر الحج بصورة معارك حربية تقع بين بني إسرائيل والفلسطينيين او الحجاج. واذا ما استبعدتَ الكلمات الدالة على الحرب تجد أمامك نصاً يدل على أداء مناسك الحج ليس إلا. وكذلك اذا أمعنت التفكير في أسماء الأشخاص تجد أنها أسماء الأماكن والمشاعر والمناسك. لقد تعمد كتبة التوراة السبعونية تحوير الاسماء والمناسك بذلك الشكل لإخفاء وقوع تلك الأحداث في الأراضي المقدسة في مكة وجوارها والإيحاء بأنها حدثت في فلسطين. والقصة الواردة في اسفار التوراة تتطابق بشكل كبير مع الرواية الاسلامية. فابراهيم بأمر الرب إيل هو الذي أقام بيتا لإيل ومذبحاً في مكة بجوار خيمته (المقام) ثم جاء يعقوب وأدى

مناسك الحج حسب وصية النبي إبراهيم التي تدعو إلى زيارة الأماكن المقدسة وإقامة عيد الرب السنوي والتطهر وتغيير الملابس والتجرد من الحلي والزينة والطواف حول البيت ثم الصلاة والدعاء والبكاء والصيام. ويلي ذلك تقديم القرابين (الأضاحي) والهدايا والوفاء بالنذور والمبيت في مِنى ثم الصعود الى عرفة لأداء الحج والعودة ثم النفرة الى المزدلفة لجمع الحجارة والتوجه الى جلعيد (مكان الرجم) لرمي الحجارة اقتداءا بسيدنا ابراهيم.

2 ـ من هو النبي إبراهيم؟

تقول الرواية العربية والإسلامية الحديثة بإن إبراهيم كان من قرية إرم في أور الكساد بنجد اليمنية (أور الكلدان حسب التزوير السبعوني بغرض ربطها بالكلدانيين الذين أنشاوا دولة في العراق بين العام 626 ـ 539 ق.م. أي بعد عصر إبراهيم بحوالى 1400 سنة). ولا يزال يوجد إلى اليوم جبل إبراهيم بجوار ارم أو أرام في بلاد زهران في الجزيرة. ومن هنا جاء لقبه إبراهيم الآرامي. أي أن النبي إبراهيم ليس من بني إسرائيل ومع هذا تجرأ كتّاب التوراة وجعلوه «أبو الأمة». وتكمل القصة بأنه اختلف مع عشيرته بسبب عبادتهم للأصنام ودعوته للإله الواحد؛ فارتحل عنهم تائهاً في السراة. وقد أمضى فترة من الزمن متنقلاً من أرض إلى أخرى شمالاً حتى استقر به الأمر إلى عبور نهر الفراة في السراة نزولاً إلى وادي عرفة فدعي العبراني. (نهر الفراة الذي كان يجري في جبال السراة هو النهر الأصل ثم أطلقت القبائل المهاجرة إلى العراق اسمه على نهر هناك تيمناً. وقد اندثر الفراة في السراة وبقي الفرات في العراق) وهناك حطَّ به الرحال في وادي عرفة (أربه في التوراة اليونانية ثم ترجمت إلى أربع في الترجمة إلى العربية) بجوار بلوطات نمرا (ممرا او مورة في التوراة) بأرض الكنانيين المحاذية لوادي مكة (وليس الكنعانيين كما حرف في التوراة الملفقة). وقد ورد اسم المنطقة في التوراة: حاران. والمقابل لها بالعربية: الحرم والحرام وهو

اسمها الى يومنا هذا. عرفت مكة[1] باسم لوز وجبالها باسم برية فاران وجبال فاران. وهناك اشترى ابراهيم أرضاً من عفرون بن صوحر(حُرِّف الاسم إلى حبرون في التوراة) ونصب خيمته (هو نفس مقام ابراهيم) وبعد أن استقر به المقام ذهب إلى «مصر» التي كانت المحطة التجارية في أرض المضريين الكنانيين وليس «المصريين أو الكنعانيين كما في التوراة المحرفة». وهناك اشترى جارية مضرية (ليست مصرية) تدعى هاجر لتخدم زوجته ساره. وحيث أنَّ ساره طعنت في السن ولم تحمل، سمحت له بأن يدخل على هاجر التي ولدت له اسماعيل (جد العرب). ثم طلبت منه ساره بعد ان أنجبت إسحق أن يُبعد هاجر وابنها، فارتحل إبراهيم بهما إلى منطقة قريبة هي وادي مكة (ميكه أو ميخه حسب التوراة) حيث تركهما في واد غير ذي زرع. وإنَّ قصة سعي هاجر بين تلة الصفا وتلة المروة ثم عودتها إلى المكان الذي تركت فيه ابنها اسماعيل معروفة. وهناك حفر إبراهيم بئر شبعة أي بئر القسم (زمزم فيما بعد) عند موقع قدمي الطفل إسماعيل. وقام إبراهيم فيما بعد بمساعدة إسماعيل ببناء البيت المعروف باسم بيت إيل أو بيت الله (أي الكعبة) وهو «بيت إيل» نفسه المذكور في التوراة. وهناك عَلّم الناس التوحيد وعبادة الإله الواحد «إيل» وعلّمهم الصلاة وأقام مشاعر الحج. وعندما ماتت ساره في «قرية اربع» التي هي حبرون اشترى مغارة المقفلة من عفرون وبني حوث (المسفلة في الرواية العربية) وكذلك كل النجد قبالة ممرا (نمرا بالرواية العربية نظرا لتتابع الحرفيين م و ن وتبادلهما. الجدير بالذكر أنَّ المسلمين بنوا مسجداً على الموضع عرف باسم مسجد نمرا). وحسب الرواية العربية أمر الله إبراهيم بأنْ يذبح ابنه اسماعيل فأخذه إلى جبل

(1) يرد اسم بكة بدلا من مكة في سورة آل عمران بالقرآن الكريم. وقد اجتهد بعض الكتاب بتفسير الاسم فقالوا بأن له علاقة بفعل البكاء الذي كان ينتاب الحجاج في العصور القديمة بسبب حالة الخشوع الشديد أثناء طوافهم حول الكعبة. فدعي المكان «وادي بكة» أي وادي البكاء ثم تحور الاسم الى مكة. واجتهد آخرون بأن بكة من بك أي بقّ أي شرب الماء(من البئر).

المروى (المورية في التوراة). وفي الطريق، ظهر له الشيطان ثلاث مرات في ثلاثة مواقع في منى محاولاً أن يحرّضه على ربه إلاّ أن إبراهيم أبى، وكان في كل مرة يرجمه بحجر. ومن هنا نشأت مواقع رمي الجمرات الثلاث. وبعد ذلك ظهرت رأفة الله بإبراهيم ورحمته باسماعيل فافتداه بكبش من عنده. إنَّ كلمة «رأفة» تكتب في التوراة «أرأفت» لأن حرف «أ» كان يستعمل كأداة تعريف في اليمنية القديمة، وقد تحول حرف «أ» في اللهجة العربية إلى «ع» وأصبحت تلفظ «عرفة» أو «عرفات»[1] حيث يوجد جبل الرحمة وحيث أظهر الله رأفته بإبراهيم ورحمته بإسماعيل. أمَّا قصة الحجر الأسود فتذكر التوراة بأنَّ يعقوب نام على حجر غامض وغريب الشكل. وأثناء نومه رأى ملائكة نازلين من السماء على درج. ومنذ ذلك الحدث صار أهل مكة وجوارها يقدّسون الحجر الأسود. وقد استّمر العرب في تقديس الحجر الأسود قبل الإسلام وبعده لاعتقادهم أنّه من أحجار الجنة. وهو الحجر نفسه الموضوع فوق الكعبة بمكة المكرمة. وتأكيداً لهذا فإنَّ كتب الإخباريين العرب القدماء تذكر بأنَّ يهود اليمن ثابروا على الحج إلى مكة إلى أن منع الخليفة عمر دخول غير المسلمين إليها. وقد عاش إبراهيم ومات ودُفن هو وأولاده إسماعيل وإسحاق ويعقوب في أرض الحجاز ولم يخرجوا منها اطلاقاً خلافاً للرواية اليهودية التي تذكر بأنَّ إبراهيم ولد في أور حاران بالعراق وهاجر إلى فلسطين وذهب إلى مصر. تلك هي قصة إبراهيم الذي يرد ذكره بالقرآن (سورة البقرة).

أما ابرام العبري الذي يرد ذكره في التوراة، وتذكر إنه وُجد وعاش في كنعان (أي في اليمن القديم) وتغرب في جرار بمنطقة أب؛ فقد تمَّ دَمج قصته

(1) ثمة رأي آخر لجمعية التجديد في البحرين حول إسم عرفة. يقول كتاب نداء السراة بإن الاسم ورد في التوراة بشكل «اربه» ثم حُرِّف في التوراة السبعونية اليونانية إلى «اربع» حيث دفنت ساره، وبالتدقيق في الاسم «اربه» يتبين انه «عربه» وليس «اربع» والأصح «عرفه» وذلك لسهولة التبادل في اللفظ بين الحرفين «ب» و«ف». وقد ورد الاسم في التوراة الماسورتية « أفراته».

مع قصة إبراهام الذي ولد في ارم وهاجر إلى وادي عرفة. وحسب الرواية العربية القديمة هاجر إبراهيم إلى وادي عرفة وعاش بقية حياته بين عرفة ومكة. وإبراهيم هو الذي أقام بيت الله أي المسجد الحرام ومصر إبراهيم، أي السوق الذي كان يتردد عليها، هي سوق عكاظ جنوب مكة وهي المكان الذي ورد ذكره تحت اسم «مصر» في قصة يوسف.

وكذلك تمّ تغيير اسم حفيد إبراهيم يعقوب إلى اسم جديد هو إسرائيل لكي يربطوا تزويراً بني اسرائيل بإبراهيم ويكرّسوه أباً لبني إسرائيل. وبني إسرائيل حسب كتاب حمزة علي لقمان - «تاريخ القبائل اليمنية» - كانوا ولا يزالون في مدينة الروضة بمنطقة الواحدي باليمن. وهذا يفسّر اختلاق قصة لقاء يعقوب بـ«يهو» في مفازة وصراعه معه ولم يخلِ سبيله إلاّ بعد أن باركه وغيَّر اسمه من يعقوب إلى إسرائيل. قصة ملفقة ومع ذلك جازت على معظم الناس. إن يعقوب حفيد إبراهيم ولد وعاش ومات في وادي عرفة بالحجاز؛ وأما بني إسرائيل فكانوا قبيلة صغيرة في اليمن القديم.

ولقد تأكد لاحقاً لبعض الكتّاب العرب بأنَّ هذه الرواية ملفقة. وسبب ذلك أن كهنة اليهود قاموا في عام 283 ق.م وبطلب من بطليموس في الإسكندرية بترجمة التوراة إلى اليونانية. وقد قام بهذه المهمة 70 كاهناً ولذا سميت التوراة السبعونية. وكانت تلك التوراة مكتوبة بالخط المسند اليمني بشفة كنعان. ويعتقد بأنَّ ما كان مكتوباً من الأسفار الخمسة كان بلغة حمير الكنعانية. وقد مضى زمن تطورت فيه اللغة وتغيرت بحيث لم يعد بالإمكان معرفة قديمها. وقد أدَّى عدم قدرة اليهود العائدين من سبي بابل على استعادة أراضيهم بسبب التغيير الذي أحدثته السِّنون؛ واكتشاف شيوخهم بأنَّ زمن سيطرتهم في اليمن قد ولّى بسبب نشوء قبائل جديدة في أراضيهم السابقة؛ وأن الثقل الإقتصادي والسياسي قد انتقل إلى بلاد الشام إلى اقتناع شيوخهم بأنَّ من حق اليهود الاستيطان في فلسطين مثلما فعل كثير من القبائل المهاجرة بعد انهيار الزراعة

والتجارة والأمن في بلادهم القديمة. ولذا قام الكهنة المترجمون بتغيير أرضية وجود أجدادهم من اليمن والجزيرة الى فلسطين عن طريق تزوير وتلفيق مواقع أحداث التوراة ونقلها من الجزيرة إلى العراق وفلسطين ومصر تمهيداً لاختلاق قصة الوعد الالهي بـ «أرض الميعاد». وقد انتشرت هذه المعلومات الفِرْية في مفاهيم الشعوب التي اطلعت على التوراة السبعونية وأصبح من الصعب نزع المعلومات الخاطئة من عقول الناس حول العالم. وقد ساهم المستشرقون منذ القرن الثامن عشر في تثبيت هذه المغالطات وترسيخها في عقول مسيحيي أوروبا. إلاّ أن كثيراً من المؤرخين والآثاريين الغربيين الذين قاموا بأبحاث كثيرة لتطبيق قصص التوراة على أرض فلسطين، توصلوا إلى قناعة بأنَّهم لم يجدوا أي دليل مادي على وقوع أحداث التوراة في فلسطين. الأمر الذي دفعهم إلى الاعتقاد بأن معظم قصص وأحداث التوراة ملفقة. مع الاسف إنَّ أولئك الكتّاب والآثاريين لم يحاولوا أن يتجهوا بأبحاثهم إلى الجزيرة رغم قيام العديد من الكتّاب العرب وعلى رأسهم كمال الصليبي بلفت نظرهم إلى تلك النظرية. ومن أولئك الكتّاب والباحثين: توماس تومسن وكيث وايتلام والمنقبة البريطانية كاتلين كانون. وقد نشرت مجلة جيروسالم ريبورت تقريراً على لسان الباحث إسرائيل فلنكشتاين في 5-8-2011 يقول فيه بإنَّ علماء الآثار اليهود وبعد عشرات السنين من البحث والحفريات لم يعثروا في فلسطين على أية شواهد تاريخية أو أثرية تدعم بعض القصص الواردة في التوراة بما في ذلك قصص الخروج والتيه في سيناء وانتصار يوشع بن نون على كنعان.

والجدير بالذكر أنَّ جميع أسماء الأماكن والجبال والأنهار والتلال والوديان في سوريا وفلسطين ولبنان الواقعة على البحر الأبيض المتوسط أطلقها المهاجرون العرب الاوائل تيمناً بأسماء أوطانهم السابقة في اليمن والحجاز.

ومع الأسف الشديد إن بعض الكتّاب العرب انساقوا وراء مزاعم التوراة السبعونية حول مكان ولادة النبي إبراهيم وأراد أن يوفق بين هذه المزاعم وبين

كتابات المؤرخين العرب القدماء فكتب يقول بإنَّ النبي إبراهيم ولد في أور الكلدان بالعراق ثم وبعد خلافه مع عشيرته هاجر إلى داخل الجزيرة وسكن في عرفة بجوار مكة.

ألخِّص بأنَّ النبي إبراهيم (إسلامياً) هو أبو الشعوب جميعاً وأول من بشّر بديانة التوحيد الأولى في الجزيرة العربية والتي عرفت باسم الحنيفية أو «الدين الحنيف» أي المغاير عن معتقدات الآخرين. وقد مرّت تلك الديانة بفترات انتشار قوية ثم انحسار مع بعد الزمن عن عهد النبي إبراهيم. وآخر عهد بالحنيفية كان في بدايات الدعوة الإسلامية. كما أنَّ الديانتين الموسوية واليهودية ظهرتا بعد الحنيفية بفترة. ويقدر زمن ظهور النبي ابراهيم بـ 1700 سنة ق.م. وقد أقام النبي إبراهيم في مكة وهناك بنى، حسب أمر الله، بيتاً لله عرف باسم «بيت الله الحرام» ثم علم الناس طقوس العبادة والصلاة واقام مشاعر ومناسك الحج إلى بيت الله ودعى الناس وكل الشعوب للاحتفال بعيد الله سنوياً. لم يكن إبراهيم يهودياً أو إسرائيلياً بل كان آراميا عربياً.

وقد قام الأحبار اليهود بتحريف قصة النبي إبراهيم وروايتها في توراتهم بما يخدم ديانتهم وأهدافهم. وقد عمد الكتبة اليهود إلى سلخ قصة النبي إبراهيم من سياقها وجغرافيتها في الجزيرة العربية ونقلها إلى العراق ومصر وفلسطين لإكساب دعوتهم الصهيونية وادعاءاتهم الإغتصابية شرعية تاريخية. وأعتقد أن قصة النبي إبراهيم المذكورة في التوراة السبعونية مزورة إلى أبعد الحدود خدمة لهدفهم في استعمار فلسطين. وأرجو من القراء العرب أن يتنبّهوا جيداً إلى ذلك وأن يصححوا معلوماتهم حول مكان ولادة وحياة النبي إبراهيم. إن قصة النبي إبراهيم مروية في القرآن الكريم وإن التفسير الصحيح غير المبني على الإسرائيليات سوف يقود القارئ إلى اكتشاف مواطن النبي إبراهيم. فإذا كنت أيها المسلم تؤدي مناسك الحج اقتداءً بإبراهيم في منطقة مكة ووادي عرفة أفلا يلفت نظرك أنَّ النبي إبراهيم عاش في الجوار؟

3 ـ الجانب الأسطوري في القصة

وثمة رأي للكاتب زياد منى في كتابه «بنو إسرائيل جغرافية الجذور» يفيد بأن الأسفار الأولى من التوراة أطلقت على إبراهيم اسم «أبرام العبري» ويضيف: «تفيد المعاجم العربية بأنَّ: «العُبْر من الناس» بضم العين ـ هم القُلْف بضم القاف، أي الذين لم يختنوا.

وإذا أخذنا بالاعتبار بأنَّ التوراة تربط العهد بين الوهيم وابرام بشرط ختن الذكور، فيمكن اعتبار صفة العبري تعني القلف أي غير المختتن أي العقيم. ويؤيد هذا التفسير أنه ساد اعتقاد قديم بين الأعراب «بأنَّ ختان الذكور ضروري لجعلهم قادرين على الإنجاب».

كما أنَّ الكاتب كمال الصليبي يورد في كتابه «خفايا التوراة» عدة آراء حول أبرام الذي تحول إلى أبراهام وفي العربية «إبراهيم». ويقول بإنَّ «أبرام» في التوراة يطلق عليه أيضاً اسم أبراهام ويتحدث عن عدة أماكن لوجوده وكذلك تغير أصله من عبري إلى آرامي. ويلاحظ الكاتب بأنَّ في التوراة أكثر من شخصية اسمها أبرام: أبرام العبري وأبرام الآرامي. والاسم «أبرام» سواء في العبرية أو الآرامية أو العربية هو نحت من لفظتي «أب» و «رام» بمعنى الأب أو الجد الأعلى. ويعني بأنَّ الاسم أبرام العبري ربما كان يرمز إلى الأب الأعلى لأحد القبائل العبرية، وأن اسم «أبرام الآرامي» يرمز إلى الأب الأعلى لقبيلة أخرى آرامية لا علاقة لها بالقبيلة العبرية. ثم يورد الكاتب آراءه عن أبرام ثالث باسم «أبرام الشبّاعة» المعروف بالعربية تحت اسم ابراهيم بئر سبع. وهو الاسم القديم لبئر زمزم ويعتقد بأن إبراهيم الشباعة هو الذي بنى الكعبة في مكة. كما يورد مرويةً عن ابراهيم رابع تحت اسطورة «أبو رهم» أحد آلهة الخصوبة في الجزيرة العربية والذي كان في الأصل إلهاً للعقم (يتقاطع مع رأي الاستاذ زياد منى عن القلف) حتى جاءه الإله شداي (العلي القدير) فغيّر حاله من العقم إلى الخصوبة. والرهم هو المطر الخفيف المفيد للزرع. أي أن أبورهم تعني أبو

المطر أي «إله المطر». وأبورهم هذا هو زوج ساره ووالد اسحق. ويقابل الكاتب كلمة «ساراه» حسبما ترد في التوراة بكلمة «السراة» بالعربية الذي يطلق على المرتفعات الممتدة غرباً من جنوب الطائف إلى حدود اليمن. ويرد اسم «يصحق» مقابل اسحاق بالعبرية، والجذر منه صحق يقابله بالعربية الجذر ضحك. والمعنى الأول في القواميس العربية هو «فيضان ماء البئر» فيقال ضحك النهر أي فاض. وتقول الاسطورة إن سارة إلٰهة السراة حبلت من إبراهيم «ابورهم» إله المطر فانجبت اسحاق «الفيض». والذي يفيض في الصحراء هو البئر، واسحق كان إلهاً للآبار. ومن يريد التوسع في هذا الموضوع يمكن أن يرجع إلى كتاب «خفايا التوراة» لكمال سليمان الصليبي ـ دار الساقي بيروت.

يعتقد المؤرخون القدماء بأنَّ القبائل البدوية التي كانت تجوب الصحراء قديماً أُطلق عليها صفة العابرة أو العبران. ثم ظهر لفظ العربية إبَّان ظهور شكل جديد من التنظيم القبلي في الصحراء بعيد انفصال بعض الأقوام عن القبائل القديمة وتأسيس قبائل جديدة تنتسب إلى الجد إسماعيل بن إبراهيم واتخاذها اسم القبائل العربية تمييزاً لها عن الأسباط العبرانية المتحدرة من إسحق. وقد أطلق الاسم الجديد على جميع السكان وعلى المنطقة، من باب إطلاق اسم الجزء على الكل. وأرى أن اسم العبرية ليس حكراً على أسباط بني إسرائيل وإنّما هو صفة أُطلقت على جميع القبائل البدوية التي كانت تجوب الصحراء في الماضي السحيق وتعبر من منطقة إلى أخرى. كأن تعبر مثلاً من قلب الصحراء القاحلة إلى السواحل الوارفة عن طريق أحد الجبال (السراة) أو أحد الأنهار (الفراة). وأن حساسيتنا اتجاه اللفظ ناتجة عن قيام اليهود الحاليين بتخصيص ذلك اللفظ لبني إسرائيل فقط ومحاولة إسقاطه على إسرائيل الحالية. المهم أن القبائل التي انفصلت عن القبائل القديمة وأسّست شكلاً جديداً من التنظيم القبلي، عمدت ذلك بِقَلْبِ الصفة عبرانية إلى الصفة عربية واطلاق اسم العربية على لسانها لإكمال انفصالها عن القديم. وقد تمّ ذلك إبّان انتقالها من حياة

البداوة الشديدة ورعاية الإبل إلى نوع من حياة الاستقرار والتحضُّر والتمدن وتربية الماشية مما استوجب التغيير في أسمائها وتنظيمها القبلي.

ويبدو أنَّ الرواة القدماء لجأوا إلى استعمال أسلوب السرد الأسطوري مختصرين قصص القبائل في قصص شيقة لأقوام وآلهة وأحداث وقعت في الماضي السحيق. وهذا الأسلوب كان ضرورياً لجعل ذاكرة الشعوب تختزن مثل هذه القصص وتتناقلها من جيل إلى جيل. فالشعوب أو القبائل القديمة لم يكن لديها أي طريقة لتدوين أخبارها سوى الشعر والمرويات الشعبية المُبالغ في أحداثها والتي تعتمد على الرمز والترميز ممزوجاً بالخرافة. وقد نجح الشعراء والرواة القدماء في حفظ الجغرافيا والتاريخ القديم في ثنايا الشعر والمرويات الأسطورية. وقد استمر الشعر الجاهلي والمرويات والأساطير في الإنتقال من جيل إلى آخر عن طريق الرواية حتى العصر الإسلامي عندما بدأ بعض الكتَّاب بتدوين الشعر القديم والمرويات والقصص في قالب سردي شيق يختزن تاريخ تطور الحياة والعادات والتقاليد والأديان والشرائع.

ويبقى أن يأخذ الكتّاب العرب اليوم تلك المرويات والشعر العربي القديم على محمل الجد ويقوموا بقراءتها وتمحيصها وتفكيكها وإخراج أسرار التاريخ العربي القديم من ثناياها بدلاً من الإنجرار وراء الكتّاب الأوروبيين الذين رفضوا أخذها بالاعتبار وعدّوها خرافات مليئة بالمبالغات والأكاذيب لغرض في نفس يعقوب. إنَّ الشعر والمرويات والأساطير التي كانت مختزنة في الراسب الثقافي العربي والتي تركها لنا الرواة العرب كانت الأسلوب الوحيد المتاح لهم لكي يحفظوا تاريخهم وينقلوه إلى الأجيال القادمة. إنَّ نزعة التخليد ونقل أخبار الجدود إلى الأحفاد صفة حميدة لدى كل الشعوب. وقد فعل ذلك المصريون القدماء والبابليون والآشوريون إمّا بالتدوين على أوراق البردي وألواح الطين أو على المسلات وجدران المقابر الفرعونية والتماثيل والنصب التي أقاموها في كل مكان. أما القبائل الرعوية في الصحراء الجرداء فلم يكن أمامها أيٌّ من وسائل

التخليد سوى المرويات والشعر. وقد استعملوها بطريقة جميلة دفعت الذاكرة الشعبية إلى حفظها وتناقلها جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلينا.

القصد من عرض هذه الآراء هو محاولة توضيح الرابط بين أبرام العبري وأبرهام الآرامي وابراهيم العربي. وباعتقادي أنها صفات متقاربة المعنى. لقد وصلت المرويات والاساطير المختلفة عن أبرام وأبرهام وأبورهم إلى الكاهن عزرا وكَتَبَتِهِ في بابل، وعمدوا إمّا عن قصد أو عن جهل إلى دمج تلك الأساطير والمرويات في قصة واحدة. وهذا ما يفسّر ورود اسم إبراهيم بأشكال مختلفة وكذلك يفسّر سر وجوده في أماكن وأزمان مختلفة في التوراة. وقد كان هَمُّ كاتبي التوراة دمجها في قصة واحدة لكي يربطوا بين أتباع اليهودية وبني إسرائيل ويؤسسوا لعلاقة انتماء اليهود للمنطقة منذ آجال قديمة. وقد غاب عن وعيهم بأنَّ القارئ المطلع والفاحص سرعان ما سيكتشف ذلك التلفيق.

وقد وردت قصص عند المؤرخين العرب عن إبراهيم العبري في اليمن (راجع تاريخ القبائل العربية لحمزة علي لقمان) وإبراهيم الآرامي الذي عاش ومات في وادي عرفة وقام ببناء الكعبة، ما يؤيد الرأي القائل بوجود أكثر من إبراهيم.

خلاصة الآراء أنَّ المسمى إبراهيم قد لا يكون إسماً لشخصية واحدة، وإنما مسمى يمثل أساطير قديمة وتاريخ عدة قبائل قديمة كانت تجوب الصحراء في الماضي السحيق، وكذلك يمثل أسماء مواقع وأسماء آلهة وردت في أساطير قديمة في الجزيرة بعد الذوبان الكبير المعروف بالطوفان. إن الأصل البعيد لهذا المسمى نُسي ولم يبق منه سوى إشارات غامضة. وقد قام كتّاب التوراة بتخصيص قصص القبائل القديمة ببني إسرائيل وربط أصل اليهود بتلك المسميات تزويراً لأن تلك المسميات (إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وعيسو) وجدت قبل ألف عام من ظهور الديانة اليهودية والتوراة الشفهية. علماً بأنَّ تلك المسميات لم تردْ في أي من أرشيفات أو محفوظات الممالك القديمة

البابلية أو الآشورية أو المصرية. وحيث أنَّ هذه الأسماء وردت في مرويات وأساطير وأشعار العرب القديمة وكذلك في القرآن الكريم، ما يدل على أن هذه الأسماء كانت متداولة داخل جزيرة العرب فقط ولم تخرج منها. ثم قام الكهنة اليهود في الترجمة اليونانية للتوراة بنقل ميادين الأحداث التي ارتبطت بتلك الشخصيات أو القبائل إلى مواقع جديدة في العراق وفلسطين ومصر بغرض التأسيس لوجود بني إسرائيل في العراق ومصر ومن ثم اليهود في فلسطين منذ زمن سحيق. والجدير بالذكر أنّ معظم القبائل التي هاجرت شمالاً من الجزيرة بحثاً عن الطعام والاستقرار عرفت بالقبائل العامرية نسبة إلى بني عامر وليس العمورية أو الآمورية كما يطلق عليها المستشرقون، ومنها القبائل التي استوطنت العراق وبلاد الشام. أمّا القبائل التي استوطنت سواحل البحر الابيض الشرقية فقد عرفت باسم الكنانيين. وليس لبني إسرائيل أي ذكر في تاريخ تلك القبائل. والكنانيون هم بطن من شعب مضر الذي كان يقطن ساحل الحجاز. وكنان تكتب بالعبرية: كنأن وقد ترجمت إلى العربية بـ كنعان. إذن الأصل هو كنان؛ وقبائل كنانة معروفة في تاريخ العرب القديم. ومنها قبائل طي ويعتقد بأنَّ أحد بطون طي الذين كانوا يتعبّدون للإله فلس هاجروا إلى ساحل سوريا الجنوبي على البحر الابيض وأطلقوا اسمهم على البلاد المحاذية للساحل: أي فلسطين والاسم يتألف من فلس طي + ن. والنون هي نون التعريف الكلاعية.

إذن هناك يهود عرب من فلول القبائل العربية التي كانت تقطن اليمن والحجاز والتي اندثرت بعد انهيار سد العَرِم وانتقال خط التجارة العالمي من الجنوب إلى الشمال على يد الفرس، وبعد تضعضع تلك القبائل جرّاء الحروب الكثيرة مع الرومان والأحباش هاجرت إلى بلاد الشام مع غيرها من القبائل اليمنية التي هاجرت أيضاً إلى الشمال بحثاً عن وطن جديد. أمّا من بقي من العرب اليهود فقد تحوّلوا إلى النصرانية ثم إلى الإسلام فيما بعد؛ أو ظلوا على دينهم وما زالوا يقطنون باليمن في منطقة ريدة الى اليوم، وهم قلة.

السؤال: من أين أتى اليهود ذوي البشرة البيضاء والشعر الاشقر والسحنة القوقازية والذين أنشأوا إسرائيل في فلسطين؟

الجواب: كان يوجد في القرن الثامن الميلادي مملكة صغيرة تقع بين السلطنة العثمانية وبلاد الروس، تدعى مملكة الخزر وكانت تلك المملكة الصغيرة لا تدين بأية ديانة مما جعل كلاً من السلطنة وروسيا تطمعان لضمّها إليها. وكان ملك الخزر يخاف على استقلاله من الدولتين العظميين آنذاك. وكان يخشىٰ إنْ هو قرّر اعتناق الإسلام أن تضمه السلطنة إلى أراضيها، وإن اعتنق المسيحية أن تبتلع روسيا بلاده. وأخيراً اهتدى إلى فكرة بأنْ يعتنق ديانة ثالثة غير الإسلام أو المسيحية فيصير كل منهما يطلب ودّه وبذا يأمن على بلاده من خطر الذوبان. فاختار أن يعتنق هو وشعبه اليهودية. وهكذا انتشرت التوراة الملفقة بين اليهود الأوروبيين الذين لا يعرفون شيئاً عن أصل إبراهيم سوى المكتوب فيها. وهذا هو تفسير وجود هذا العدد الكبير من اليهود الروس والذين هاجر كثير منهم إلى أوروبا ثم أميركا حيث أصبحوا يقبضون على عصب المال في أميركا والعالم. إنَّ اللوبي في أميركا وأوروبا هو من هؤلاء اليهود. أي إنَّ اغتصاب فلسطين هو عملية استعمارية محضة وليس لها أية علاقة بالديانة اليهودية الأصلية التي نشأت في الجزيرة العربية. إن عملية إنشاء إسرائيل بنيت على عاملين: (1) المعلومات في التوراة اليونانية الملفقة أي السبعونية و(2) تخطيط أوروبا الغربية لإعادة استعمار بلاد العرب وتفتيتها لمنع قيامها الذي برأيهم يشكل خطراً على أوروبا الغربية.

4 ـ قصة النبي يوسف بن يعقوب

قصة النبي يوسف من القصص الدينية الشيقة وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة يونس. ولن أسرد القصة هنا حيث إنَّ ذلك خارج اختصاص هذا الكتاب؛ ولكنني سأركز على إثبات أنَّ النبي يوسف ولد وعاش في الحجاز القديم وليس في بلاد القبط (مصر حالياً) كما تذكر التوراة الملفقة.

وأنا استوحي معلوماتي من الكتب التي سبق ذكرها ومن قناعتي. وألخص القصة كما يلي:

1 ـ قام أخوة يوسف برميه في بئر على طريق القوافل السيارة أي التجارية. وهذا يوحي بأنَّ المنطقة كانت صحراوية.

2 ـ عادوا إلى أبيهم يعقوب في مساء ذلك اليوم مما يوحي بأنَّ المسافة بين مكان إقامة يعقوب والبئر ليست بعيدة.

3 ـ مرَّت قافلة سيارة التقطت يوسف من البئر ثم أخذته معها وباعته في أول محطة وصلتها. هنا نلاحظ أنَّ المحطة حسب التوراة العبرية هي «مصر» وحسب التوراة السبعونية هي «ايجبت». تقول التوراة إنَّ تجّار القافلة سارعوا إلى بيعه حتى لا يطالب به. نفهم من هذا الكلام أنَّ المسافة بين البئر ومحطة البيع ليست طويلة بل قريبة. أي أنها ليست المسافة بين فلسطين وبلاد القبط التي تستغرق أسابيع كثيرة لقطعها.

4 ـ تقول الآية الكريمة: «وقال الذي اشتراه من مصر» إذن إنَّ محطة البيع كان اسمها «مصر». ثم أخذه المشتري إلى قريته القريبة. وهذا يعني أنَّ يوسف أقام في قرية قريبة من أحد الأمصار. يقول القرآن الكريم: «واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنَّا لصادقون». يثبت تفسير يوسف للمنام عن السبع بقرات عجاف تأكلهنّ سبع بقرات سمان وسبع سنبلات خضر وأُخَرَ يابسات» بأنَّ القرية التي كان فيها كانت زراعية تعتمد على مياه الأمطار ويصيبها القحط في حال انقطاع المطر لفترة طويلة. ولو كانت القرية في بلاد القبط، كما تدعي التوراة السبعونية، فلن يصيبها الجفاف بسبب انقطاع المطر لأنها تروى من مياه نهر النيل. وهذا يدعم قولي بأنَّ القرية كانت في الجزيرة العربية حيث السقي يعتمد على مياه الأمطار وإذا انقطع المطر لمدة طويلة يصيب الأرض الجفاف القاسي. ومعروف أن الأمطار الموسمية تنقطع عن الأراضي الزراعية في الجزيرة

لسنوات. ولقد ذكر القرآن الكريم بأنَّ «مصر» هي التي عانت من انقطاع المطر والجفاف ولم يذكر اسم بلاد القبط إطلاقاً. علماً بأنَّ مصر الحالية لم تكن تعرف باسم مصر وإنما باسم بلاد القبط. وقد بدأ إطلاق اسم مصر على بلاد القبط بعد الفتح الإسلامي.

والجدير بالذكر أنَّ الرسول (ص) عنون رسالته بـ: «إلى كبير القبط» عندما دعاه إلى الإسلام. أي أنَّ الرسول (ص) استعمل الاسم الذي كان معروفاً في زمنه. وهذا دليل دامغ على أنَّ مصر المذكورة في القرآن وفي التوراة العبرية كانت في الجزيرة العربية ولم تكن في «ايجبت» أو بلاد القبط.

5 - تورد التوراة قصة دخول يعقوب وأولاده إلى قرية مصر زمن وجود ابنه يوسف كقيّم على مخازن الحبوب عند فرعون مصر. وقد بين الكتّاب القدماء بأنَّ مصر المذكورة في قصة النبي يوسف كانت مدينة أو مركزاً مهماً في الحجاز القديم وكان يحكمها آل فرعه- فرعون العماليق؛ وهي ليست مصر وادي النيل ولا تمت لها بصلة. والجدير بالذكر أنَّ تسمية بلاد القبط بمصر جرت على زمن الفتح الإسلامي أي بعد أكثر من ألف عام.

6 - إنَّ قصة وفاة يعقوب المذكورة ضمن قصة يوسف تكشف عند فحصها أنها وقعت في الحجاز. فعندما حضرت الوفاة يعقوب استدعى أبناءه بحضور يوسف وقال لهم (حسب التلمود): «هكذا تحملونني بعد موتي إلى مرقدي في مغارة مكفيلاه. . فليحمل يهوداه ويساكر وزبولون الزاوية الشرقية من نعشي، أمّا رؤبين وشمعون وجاد فيحملون الزاوية الجنوبية، وافرايم ومنشيه وبنيامين الزاوية الغربية، ودان وأشير ونفتالي الزاوية الشمالية». حسب التوراة السبعونية تقع مغارة مكفيلاه (المقفيلة بالعربية) في أرض كنعان التي هي فلسطين. لاحظ أنَّ يعقوب مات في مصر.

فكيف يمكن لأبنائه أن يحملوا النعش من الزوايا الأربعة مئات الكيلومترات مشياً على الأقدام حتى يبلغوا المغارة في كنعان؟ والأنكى من ذلك يقول التلمود بإن فرعون أصدر أمراً لأبناء مصر جميعاً بالمشاركة في جنازة يعقوب فتبعت جيوش مصر جثمان يعقوب مشاة وخيالة. ولمَّا بلغ موكب الجنازة بيدر آطاد الذي في عبر نهر الاردن، توقفوا عنده وأقاموا مناحة وندبوا ندباً عظيماً. فلما سمع ملوك كنعان باقتراب موكب الجنازة انضموا إليها. الملاحظة الأولى هي أنَّ الجنازة كانت في منطقة محدودة وأنها تستغرق بضع ساعات فقط. وثانياً بأنَّ الكاتب استرسل في إنشاء رواية طويلة من مخيلته.

يوجد في القصة سواء في نص القرآن الكريم أو في التوراة العبرية أدلةً كثيرة غير التي ذكرتها سابقاً، على أنَّ أحداث القصة لم تقع في بلاد القبط بل في الحجاز بالجزيرة. وعلى من يريد الاستزادة الرجوع إلى كتاب «نداء السراة» الذي اصدرته جمعية التجديد الثقافية في البحرين.

5 ـ قصة النبي موسى

تروي التوراة كذلك قصة النبي موسى وخروج بني إسرائيل (الأسباط) من مصر وقصة التيه. ويدحضُ الكتّاب العرب المعاصرون كذبة التوراة السبعونية وادعاء المستشرقين في أنَّ الخروج كان من مصر وادي النيل ويبينون كيف أنَّ الخروج كان من مصر اليمن وأنَّ التيه كان في صحراء يم سوف في اليمن أيضاً.

يُعتبر النبي موسى بالنسبة للمسلمين من الأنبياء الكبار وصاحب الوصايا العشر وهو مؤسّس الديانة الموسوية. وقد ظهر بعد النبي إبراهيم. وهو ليس من بني إسرائيل وقد تمَّ تهويده في التوراة لكي يخدم أهداف بني إسرائيل؛ تلك القبيلة الصغيرة التي كانت تحتاج إلى أن تصبح في مصاف القبائل الكبيرة؛ وقد وجد أحبارها أنَّ أسهل طريقة لبلوغ ذلك الهدف هو بسرقة قصص الأنبياء

وضمّها إلى توراتهم. وقد دخلت الوصايا العشر في صلب الأديان الثلاثة الكبرى اليهودية والنصرانية والإسلام. ويعتقد المؤرخون الغربيون بأنَّ الوصايا العشر مأخوذة عن شرائع حمورابي البابلي أول مشرّع في التاريخ، وأن قصة موسى منقولة عن قصة سرجون الآكدي (سرجون تلفظ سرجان بالسريانية الغربية تماماً مثل شمعون وسمعان).

إن النبي موسى لم يكن يهودياً أو عبرانياً كما تحاول أن توحي بذلك التوراة السبعونية. لا شكّ بأن شجرة نسب موسى التي تذكرها التوراة مشكوك فيها. فكثير من المؤرخين الغربيين يعتقدون بأن قصة موسى هي قصة أسطورية (علماً بأنَّ معظم التاريخ القديم جاء من الأساطير). ويعتقدون كذلك بأنَّ قصص موسى وعبودية بني إسرائيل في مصر وهروبهم وعبور موسى ومن معه البحر والتيه في سينا، ما هي إلاَّ قصص سُرقت من قصص الشعوب الأخرى أثناء الأسر في بابل وضمت إلى التوراة. وهي ظاهرة معروفة في التاريخ حيث تقوم جماعة ما بتبني قصص الأبطال أو الأحداث التي تبهرها وتتمنى أن تكون لها. ومع مرور الوقت يضيع أصل تلك القصص وتُعامل من قبل الأجيال الجديدة على أنها قصص أسلافها. ويظهر أن كهنة اليهود اليمنيين في المنفى تبنوا تلك القصص لكي يخلقوا واقعاً تاريخياً يلتّف حوله الشعب.

ومن ناحية أخرى فإنَّ بعض المؤرخين والآثاريين الغربيين الذين أعياهم البحث والتنقيب في أرض فلسطين علّهم يجدون ما يؤيد الأحداث والأماكن المذكورة بالتوراة ثم أدركهم اليأس، قرروا بأنَّ قصص تلك الأحداث والأماكن غير صحيحة وأن قصص إبراهيم وموسى وغيرهما هي اختلاق من قبل كتبة الأسفار. وقد تكون القصص صحيحة ولكن ميدان البحث خطأ. إن المؤرخين وعلماء الآثار الغربيين واليهود عمدوا إلى اعتبار قصص التوراة نوعاً من الأساطير الوهمية ورفضوا بأي شكل من الأشكال أن يدركوا بأن فلسطين ليست الميدان الجغرافي الصحيح. وقد حاول بعض الباحثين العرب مثل كمال الصليبي وزياد

منى أن يلفتوا نظرهم إلى إمكانية أن تكون الجزيرة العربية هي مسرح أحداث التوراة؛ إلاّ أنهم رفضوا الالتفات الى تلك الفرضية. إنه انحياز أعمى إلى فرضية «فلسطين هي أرض الميعاد». أمّا عدم العثور على آثار أو مخلفات في فلسطين تدعم هذه الفرضية، فلا يؤثر على مسعاهم لإثبات ذلك.

5 ـ الموطن الحقيقي للنبي موسى؟

يقول كتاب «نداء السراة» لجمعية التجديد الثقافية الإجتماعية بالبحرين بأنَّ موطن النبي موسى هو قرية تقع في جوار «مصر اليمن». وكان حكّام ذلك المصر يلقّبون بفرعه (بالحميرية) أي فرعان ـ وفرعون بالعربية. وهذا يشير الى أن المؤرخين العرب القدماء كانوا يعتبرون ان موطن النبي موسى في اليمن.

يذكر الباحث فرج الله صالح ديب في كتابه الأخير «اليمن وأنبياء التوراة» الذي صدر في بيروت عام 2012 بأن النبي موسى كان آرامياً (أي من إرمَ ذات العماد) ثم تغرّب في مصر اليمن. وكلمة مصر كلمة حميرية سريانية تعني السوق أو القلعة أو المدينة. وغالباً القلعة تكون داخل سور. فإذن مصر تعني المدينة المسوَّرة. ومصر اليمن كما يقول المؤرخ اليمني محمد بن علي الأكوع هي المحافظة المعروفة بالإقليم الأخضر. وقديماً عرف باسم مخلاف السحول أو مخلاف الكلاع. وهو الذي يسمى «سرة اليمن» او «مصر اليمن»، ويقع جنوب صنعاء بين مدينتي أبّ ويريم حتى تعز. ويذكر الباحث فرج الله نقلا عن كتاب «تاريخ اليمن القديم» لمحمد عبد القادر بافقيه: «أن هناك نقشاً مَعينياً (دولة مَعين 500-350 ق.م.) أثار ضجة بين الدارسين، يذكر حرباً كانت دائرة وقتئذ بين مذي ومصر في وسط مصر» أي أن تلك الحرب كانت في مصر اليمن.» إن أرشيف تاريخ مصر القديم لا يذكر أبداً أنَّ «مشيخة مذي» اليمنية غزت مصر وادي النيل وأن المعارك دارت داخل أرض بلاد القبط.

أمّا الأسفار الخمسة الأولى من التوراة والمنسوبة كتابتها إلى موسى،

فنجد في سفري الخروج والتثنية قصة موسى ورواية لخروج اليهود من مصر بقيادة موسى الذي مات أثناء التيه ولم يصل ابداً إلى أرض الميعاد. وقصة موته في التوراة قصة مبهمة حيث يعتقد بأنَّ كهنة بني إسرائيل تآمروا عليه وقتلوه لأنه كان يفرض عليهم عبادة الإله «إيل» بينما هم يريدون الإله «يهو»، ولم يعرف مكان قبره إطلاقاً. ومن المشكوك فيه أنَّ نسب موسى يتصل بيعقوب. وقد عمد كَتبةُ عزرا إلى اختلاق نسب له ووصله إلى ليوي بن يعقوب.

يدعي الاسرائيليون بأن النبي موسى دفن في جبل (نبو) الموجود على الطريق بين عمان والبحر الميت وقد جعلوا منه مزاراً. وهذا غير صحيح لأن جبل نبو استخدم من قبل السكان كمقبرة منذ الألَف الرابع قبل الميلاد وقد اتسم بالقداسة بسبب ارتفاعه وقد ادعى اليهود بأن النبي موسى دفن فيه.

6 ـ فرعون موسى؟

لا تذكر التوراة اسم فرعون موسى أبداً. كما لا تذكر أسماء فراعنة إبراهيم ويوسف. ألهذا الحد لم يكن من المهم ذكر اسم أولئك الفراعنة العظام! أم أن كتبة التوراة لم يعرفوا إطلاقاً عن بلاد القبط وملوكها! وهذا هو الصحيح. فالتوراة كانت تتحدث عن أحداث وقعت في محيط وجود بني إسرائيل أي في اليمن والحجاز. وأشكّ بأنهم كانوا يعرفون أي شيء عن ملوك بلاد القبط. ولكن من أين أتت كلمة «الفرعون»؟

يقول الباحث فرج الله: الفرعه كلمة سريانية (يمنية قديمة) عربيتها الفرعان أي طويل القامة. (وزن فرعون في السريانية يقابله فرعان في العربية تماماً مثل شمعون وسمعان) وكان العماليق طوال القامة وهم من قوم عاد. وحسب التاريخ اليمني القديم قاموا بغزو مصر اليمن وليس مصر وادي النيل كما يحاول كتّاب ومفسرو التوراة أن يوحوا ويلفقوا تحت قصة «الهكسوس». وقد جاء الأنبياء إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى إلى مصر تلك في فترة احتلالها من قبل العماليق. وترد في معظم كتب الإخباريين العرب أسماء بعض الفراعنة

كالتالي: الريان بن الوليد (فرعون يوسف) والوليد بن مصعب (فرعون موسى) وسنان بن علوان وغيرهم. ولا يزال إلى اليوم يوجد في اليمن مواضع تحمل اسم الفراعنة مثل حصن جبا المعروف بحصن الفراعنة وحصن دورم في أرض مصر اليمن ووادي السر في الجند المسمى بوادي فرعون. أمّا تيه بني إسرائيل في صحراء سينا فلي عليه الملاحظات التالية:

تقول التوراة في سفر الخروج بأن بني إسرائيل جاءوا إلى برية سين التي بين ايليم وسينا. والحقيقة انه لا يوجد في بلاد القبط في الطريق إلى فلسطين برية سين (سين اسم اله يمني قديم). ولكن يوجد في اليمن برية سيون (سين بعد التشكيل) جنوب شرق اليمن؛ ويلاي في أبين حضرموت (يلاي هي ايليم بعد التشكيل وحذف م الجمع السريانية). كما يوجد إلى اليوم خرائب معبد الإلٰه سين في حريضة في حضرموت. أمَّا صحراء سيناء فهي صحراء سنا في اليمن الموجودة الى يومنا هذا. علماً بأن الصحراء القائمة حالياً بين مصر وفلسطين لم يكن اسمها «سيناء» بل تم تسميتها هكذا من قبل كتّاب ومفسري التوراة كما فعلوا الشيء نفسه مع أسماء نهر الشريعة (الاردن) وجبل الشيخ (حرمون) وجبل لبنان وسموا فلسطين باليهودية وتل بلاطة في نابلس بشكيم وتل القدح بحاصور وتل المتسلم بمجدو وغيرها من الأسماء التي تمَّ إطلاقها على معالم فلسطين ومحيطها لكي تنسجم مع التوراة السبعونية. وأعتقد بأن اسم صحراء سيناء الاصلي هو صحراء النقب.

وقد انتقلت التسميات الجديدة الملفقة إلى الكتب المدرسية والوثائق السياسية بدون أي تمحيص من جانب أهل البلاد وحكوماتها.

إذن، إنَّ قصة النبي موسى وقعت في مصر الجزيرة وليس في بلاد القبط وإنَّ الخروج والتيه حصلا في محيط اليمن والحجاز. وإلى من يريد الرجوع إلى القرآن الكريم للتأكد من أنَّ مصر موسى في اليمن أحيله إلى السور التالية: يونس والزخرف والأعراف والبقرة والمائدة. فهنا سيجد أنَّ مصر المذكورة هي:

«مصرا من الأمصار» وأن كلمة «فرعون» تشير إلى عشيرة فرعون التي تنتمي إلى العمالقة. ولا يزال اسم آل فرعون منتشراً في معظم البلاد العربية مثل آل شمعون. فهو اسم عشيرة وليس لقب كما تحاول أن توحي بذلك التوراة السبعونية. وتجدر الإشارة بأنَّ التوراة السبعونية عمدت إلى استبدال كلمة مصر بكلمة القبط حيثما وردت في التوراة الحميرية العبرية. وما لبث المترجمون اليهود بعد الفتح الإسلامي لبلاد القبط وتحوّل اسمها إلى مصر أن عمدوا إلى إعادة اسم مصر في الترجمات العربية والشرقية وإبقاء اسم «إيجبت» في الترجمات باللغات الأوروبية.

وقد حاول كتّاب الاستشراق وخدّام التوراة السبعونية أنْ يوحوا بأنَّ العماليق هم الهكسوس الذين غزوا دلتا النيل حوالى سنة 1800 ق.م. وحيث إنَّ الأنبياء إبراهيم ويوسف وموسى ذهبوا أو كانوا في مصر زمن فراعنة العماليق الذين زعم بأنهم هم الهكسوس: إذن هذا يعني أنَّ الأنبياء السابق ذكرهم كانوا أيضاً في مصر وادي النيل أثناء حكم الهكسوس. ولكن مصر المذكورة في التوراة ليست مصر وادي النيل بل مصر الجزيرة؛ وأن الفراعنة العماليق حكّام مصر الجزيرة ليسوا الهكسوس إطلاقاً. إنَّ الفراعنة العماليق والذين جاء ذكرهم في كتب الإخباريين العرب القدماء هم الذين كانوا موجودين في زمن وجود الأنبياء الثلاثة في مصر الجزيرة. أمّا الهكسوس، وتفسيرها حق سوس؛ لأن كلمة هق وصحيحها حق، تعني صاحب أو مالك، وكلمة سوس هو الاسم القديم للحصان. ومجمل المصطلح يعني «أصحاب الخيل» وليس الملوك الرعاة. ولكن من أين جاءت هذه الأقوام؟ هذا ما يتحدث عنه الفصل الحادي عشر.

في المجمل، إنَّ قصة النبي موسى الواردة في التوراة مركبة من عدة قصص يعوزها المنطق. فقصة التوراة تقول بإن موسى تربّى منذ طفولته في قصر ابنة الملك، إذن تربّى على أنه مصري ولم يعرف شيئاً عن أصله. ثم تعود

التوراة فتذكر أن موسى نزل إلى السوق فرأى مصرياً يضرب عبرانياً فقام موسى بالانحياز إلى ابن ملته وقتل المصري. وهي قصة يعوزها المنطق. كيف تحول موسى الذي تربّى في قصر الملك على أنه مصري فجأة إلى عبري وحشد لجانب ابن ملته؟

كيف صار لموسى أخٌ عبريٌّ هو هارون وقد تربَّى وحيداً في قصر الملك؟ ثم كيف يقول بإنه لا يتكلم بلسان فرعون وطلب أنْ يرافقه هارون لدى مقابلته لفرعون ليترجم له؟ يبدو لي بأن قصة التوراة عن النبي موسى مركبة من عدة قصص. ثم تروي التوراة قصة يشوع وحربه البربرية والذي تولى القيادة بعد وفاة موسى وكيف أنه استولى على الأراضي الكنعانية.

7 ـ قصة داوود

لقد خلق اليهود من النبي داوود أسطورة سوبرمان، واتخذوه حديثاً ونجمَتَه السداسية شعاراً لدولة إسرائيل. إنَّ النبي داوود براء منهم ومن دولتهم. فهو نبي يمني قديم من أصل عربي جاء ذكره في القرآن الكريم. إلاَّ أن التوراة تجعل منه بطل أسطورة استطاع أنْ يتغلب على الفلسطينيين وبطلهم جالوت. (تستبدل التوراة المترجمة كلمة ها-فلشتيم بكلمة الفلسطينيين) للإيحاء بأن داوود كان في فلسطين. وهذا تزوير وتلفيق. فداوود وسليمان وجدا في اليمن القديم ولم يطأا أرض فلسطين إطلاقاً حسب المراجع العربية والإسلامية.

8 ـ رواية التوراة عن داوود وسليمان

بعد أن تروي التوراة قصة طفولة داوود وتغلبه على جوليات الفلستي تنتقل إلى قصة صراعه مع شاول ثم مقتل شاول على يد الفلستيم وتنصيب داوود ملكاً على بيت يهوذه بمعاونة النبي صموئيل (سموأل بالعربية) في حبرون اليمن؛ ثم وقوع الحرب بين يهوذه وإسرائيل وانتصار داوود وتوحيد المملكتين يهوذه وإسرائيل بزعامته ثم قتاله اليبوسيين وانتزاع حصن صيُون (صهيون) منهم وجعله

عاصمته باسم مدينة داوود التي أصبحت أورشليم. وهناك أعلن ما تدعوه التوراة بمملكة كل إسرائيل في اليمن وساحل تهامة. ويذكر التاريخ القديم (الطبري) عن وجود قبيلة يهوذة إلى جانب قبيلة بني إسرائيل في اليمن بين حضرموت وعدن.

ولكن من هو داوود عند اليهود؟ إنه شخصية توراتية تمَّ تقديسها من قبل اليهود لأنه (في التوراة) تمَّ مسحه ملكاً (الصحيح شيخاً) على بيت يهوذه؛ وبعدها جمع زعماء أسباط بني إسرائيل لتنصيبه ملكاً على كل إسرائيل. ثم قام بمهاجمة الفلشتيم أصحاب حصن صهيون (صيون) الذي كان يعتبر موقعاً متقدماً لمدينتهم يروشليم، ما مكّنه من الاستيلاء عليها وجعلها عاصمة لمملكته حوالى سنة 960 ق.م. . أرجو من القارئ أن يلاحظ بأنَّ حصن صهيون - صيون ويروشليم التوراة كانا موجودين في اليمن (جنوبي أزال - صنعاء الآن) قبل 1000 سنة قبل الميلاد. وقد استمرت الحروب والمناوشات بينه وبين الفلشتيم (الفلستيم أي عبدة الإله الفلس) التي سرعان ما انخرطت فيها قبائل أخرى من المنطقة (الكنعانيون) شعرت بالتهديد من صعود داوود المفاجيء آنذاك. وكان استيلاء داوود على يروشليم يوازي إعلان حرب خطير على الفلستيم والكنعانيين ما فتح باب حروب طويلة بين الفريقين. وكل ذلك وقع في اليمن وليس في فلسطين.

وبعد وفاة داوود انتقل الحكم إلى سليمان. تقول التوراة إنَّ سليمان تزوج ابنة فرعون مصر، وهكذا بقدرة قادر أصبح سليمان صهراً لملك مصر الذي كان يسيطر على نصف العالم القديم آنذاك. والمهزلة ادعاء التوراة السبعونية أنَّ سليمان أتى بالأميرة المصرية وأسكنها معه في يروشليم. إن الأرشيف المصري المشهور عنه تسجيل كل كبيرة وصغيرة من شؤون الدولة لا يذكر شيئاً عن زواج أميرة قبطية من سليمان. ولكن إذا نقلنا الحدث إلى أرض اليمن فيصبح من الممكن أنَّ سليمان تزوج من ابنة فرعون حاكم مدينة مصر اليمن. لاحظ أن

التوراة لا تسميها بالأميرة ولكن تسميها ابنة؛ ويبدو أن كاتب النص يعرف أنها ابنة فرعون حاكم مصر اليمن وليس الأميرة ابنة ملك بلاد القبط العظيم. علماً بأنه لم يحدث في تاريخ بلاد القبط أن زوّج أحد الملوك ابنته من ملك أو أمير غير قبطي. تفيد رسائل تل العمارنة أنَّ الملك اخناتون رفض تزويج ابنته لأحد ملوك بابل كما أنَّ الملك القبطي أناسي رفض طلب ملك الفرس قمبيز للزواج من ابنته. فكيف يزوج ابنته من ملك صغير مثل سليمان!؟

تذكر التوراة أنَّ سليمان بنى الهيكل الذي عرف باسم «هيكل سليمان» في يروشليم وطوله 60 ذراعاً وعرضه 20 ذراعاً وارتفاعه 30 ذراعاً أي أنَّ طوله 31,5 متراً وعرضه 10,5م وارتفاعه 15,5م. إنه بناء متواضع مبني من الأخشاب، حتى بمقاييس ذلك الزمن لا يتماشى مع العظمة التي تضفيها التوراة على سليمان وملكه. ومجددا ألفت النظر إلى أن الهيكل بني في أورشلم اليمن وليس في قدس فلسطين التي لم تكن قائمة آنذاك. ولقد حاول الباحثون والآثاريون الغربيون وكذلك العلماء اليهود طيلة مئة وخمسين سنة من التنقيب في القدس وحول وتحت المسجد الأقصى في قدس فلسطين أنْ يجدوا قطعة آثارية واحدة تشير إلى زعمهم بأنَّ الأقصى أقيم على أرض الهيكل فلم يجدوا. وأخيراً يئسوا وصرّحوا بأنه يبدو أنَّ قصة الهيكل المذكورة في التوراة قصة خرافية غير واقعية. ولمن أراد التوسع في معرفة تفاصيل أكثر عن هذا الموضوع، يمكنه الرجوع إلى كتاب أحمد الدبش «كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب» وكذلك كتب كل من المؤرخين الغربيين واليهود توماس طومسون ويسرائيل فنكلشتاين ونيل سلبرمان وكيث وايتلام.

وتذكر التوراة أيضاً قصة زيارة ملكة سبأ لسليمان. وحسب إجماع الإخباريين العرب والمؤرخين الأوروبيين فإنَّ مملكة سبأ كانت في اليمن القديم. تشير التوراة إلى أن ملكة سبأ سافرت إلى مملكة سليمان في أورشلم بحاشيتها وقضِّها وقضيضها ووصلتها في ثلاثة أيام فقط. فلو فرضنا جدلاً أنَّ

مملكة سليمان كانت في فلسطين ـ حسب التوراة الملفقة ـ فإن الرحلة من سبأ في اليمن إلى فلسطين على ساحل المتوسط تستغرق شهراً ذهاباً ومثله إياباً. اذن لا بدّ أنَّ مكان وجود سليمان كان قريباً من مملكة سبأ بحيث يحتاج إلى ثلاثة أيام فقط للوصول. أي أنَّ مكان مملكة سليمان كان في اليمن أيضاً وليس في فلسطين. يذكر القرآن الكريم في الآية 21 من سورة النمل: "فمكث غير بعيد فقال أحطتُ بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين». أي أنَّ الهدهد عندما استفقده النبي سليمان قال إنه غاب قليلاً ثم عاد. أي أنَّ المكان الذي قصده كان قريباً.

ومما يؤكد أنَّ النبي سليمان كان في اليمن هو كتابات المؤرخين اليمنين القدماء. يقول الحسن الهمداني في «الإكليل»: من المواضع التي يستشفى بها «حمَّام سليمان عليه السلام في أسى والواعرة بالجوف». ويعلق القاضي الأكوع الذي حقَّق ونشر كتاب «الإكليل» بأنَّ أسى هو ما يسمى اليوم «اللَسي» شرق مدينة ذمار، والحمَّام ما زال موجوداً إلى اليوم. ويذكر ابن المجاور الدمشقي الذي جال في الجزيرة عام ألف للهجرة وكتب في كتابه: «تاريخ المستبصر لصفة مكة واليمن والحجاز» بأنَّه وجد أكمة سليمان باليمن وبئر النخر وأنه وجد في قرب الجبل حصناً يسمى «أكمة سليمان».

ثمّة ملاحظة أخرى وهي أنَّ اسم ملك إسرائيل حسب التوراة هو يرب عم واسم ملك يهودا هو رحب عم. إن كلمة عم تعود إلى الإله «عم» إله القتبانيين في اليمن. وكان اليمنيون ينسبون أنفسهم إلى إلههم أي هم «أولاد الإله عم» تماماً مثل اسم عبد الله. وحيث إنَّ هذه الطريقة في التسمية وجدت في اليمن فقط؛ فهذا يعني أن يربعم ورحبعم كانا في اليمن فقط وليس في أي مكان آخر.

إنني لعلى يقين بأنَّ جميع حروب داوود القبائلية المذكورة في التوراة جرت في اليمن في حوالى الفترة من 1000-960 ق.م. وعند مراجعة قصص

التوراة عن داوود وسليمان تواجَهُ بأنّ أسماء وأوصاف جميع الأماكن والقرى والجبال والوديان يتطابق مع اليمن ولا يوجد أي منها في فلسطين. ومن الأدلة الدامغة على ذلك أنَّ اللغة التي يسمونها العبرية ما هي إلاَّ اللغة الحميرية السبئية اليمنية (السريانية بعد ذلك) والتي كانت تنطق بها كثير من قبائل اليمن القديمة بما فيها بني إسرائيل والتي تسميها التوراة بشفة كنعان وكانت تكتب بالحرف المسند السبئي المشابه للأبجدية العبرية الحالية[1].

وهذا ما يؤكد أنَّ مملكتي إسرائيل ويهوذا المذكورتين في التوراة كانتا في سراة حمير باليمن وليس في فلسطين. ومن أراد التوسع يمكن أن يرجع إلى كتاب «فلسطين المتخيلة» المجلد الأول وكتاب «حقيقة السبي البابلي» لفاضل الربيعي. وأودُّ فقط أنْ أشير إلى أنَّ بيت بوس وسكانها اليبوسيين (فرع من الفلستيم) كانت هي يروشليم (في اليمن) وليس في فلسطين. وأرجو التنبّه إلى أنه تمَّ استبدال اسم «فلشتم» المذكور في التوراة العبرية باسم «الفلستيين» ثم «الفلسطينين» في الترجمة العربية للتوراة للإيحاء بأن مسرح الحروب بين داوود والفلشتيم كان في فلسطين المتوسطية. وهذا تلفيق واضح إذ إنَّ جميع الأسماء المذكورة في التوراة موجودة بسراة اليمن ولا يوجد أي منها إطلاقاً في فلسطين المتوسط.

أرجو من الكتّاب العرب وبخاصة الفلسطينيين الذين يدبجون الكتب لإثبات أنَّ القدس الفلسطينية هي بيت يبوس، أنْ يتنبّهوا إلى هذا الخطأ الفاحش المنقول عن الكتب الغربية والصهيونية. فالقدس العربية في فلسطين كان اسمها ولا يزال القدس منذ إنشائها في حوالى 300 ق.م.(فيما عدا فترة الاحتلال الروماني حيث أُطلق عليها اسم إيلياء وقد ورد هذا الاسم في وثيقة الخليفة عمر

(1) لقد قام اليهود الأوروبيون في القرنين الثامن والتاسع عشر بصياغة لغة عبرية حديثة مكونة من لغة سبئية-حميرية قديمة ولغة اليديش التي هي لغة اليهود الألمان والتي كان يتكلمها يهود ألمانيا في الغيتو. وقد استعانوا باللغة العربية وباللغة السريانية التي لا تزال حية في بعض قرى سوريا.

رضي الله عنه) وقد حاول بعض اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين في الفترة حوالى 300 سنة ق.م. انسياقاً وراء التوراة السبعونية، أن يطلقوا عليها اسم يروشليم[1] تيمناً بيروشليم القديمة التي كانت في اليمن والتي هي بيت بوس قرب جبل صهيون اليمن والموجودة هناك منذ ما لا يقل عن 1700 سنة قبل الميلاد، إلاَّ أنَّ مسعاهم فشل. وقد قام الملك الآشوري نبوخذ نصر بتدمير يروشليم اليمن أثناء حملته على اليمن حوالى سنة 586 ق.م. والتي عرفت باسم السبي البابلي. ومع الآسف لقد ساهم الكتّاب العرب القدماء في إرباك القراء العرب والمسلمين عن طريق استعمال أسماء «بيت المقدس» و«القدس» و«يروشليم» بشكل مترادف. ونظراً إلى أنَّ يروشليم اليمن زالت من الوجود، فقد اختلط الأمر على المسلمين وانساقوا بدون تمحيص وراء ادعاءات اليهود (الإسرائيليات)، وباتوا يعتقدون أنَّ قدس فلسطين هي يروشليم المذكورة في التوراة السبعونية. وهذا غير صحيح.

(1) لقد اندثرت بلاد «يهوديا» ويروشليم في اليمن من وقت طويل بسبب الحروب وانهيار السدود واحتلال الرومان لليهوديا وبلاد السمرا وساحل تهامة، ما دفع القبائل اليمنية المنهكة والجائعة للهجرة إلى بلاد الشام في حوالى عام 300 ق.م.

الفصل العاشر

قصة التوراة السبعونية

يفيد التاريخ بأنَّه بعد وفاة الاسكندر المقدوني وقع صراع دامٍ بين قوّاده الثلاثة انتهى بتقسيم امبراطوريته فيما بينهم. فكانت الاسكندرية وملحقاتها (ما عرف باسم مصر فيما بعد) من نصيب بطليموس. وسوريا من نصيب سلوقس. أمّا البلاد الأوروبية فكانت من نصيب انتيغونوس. والجدير بالذكر أن فتوحات الاسكندر أدّت إلى إزالة الحواجز التي كانت قائمة بين المناطق في المشرق. وبعد انتهاء الحروب بين خلفائه انتعشت التجارة العالمية بين شرق آسيا وغربها وأوروبا، ما أدّى إلى انتعاش المنطقة وتحوّل قراها وريفها إلى مدن زاهرة جاذبة للمهاجرين والسكان من البلاد المجاورة. وقد تزامن ذلك مع انهيار الأوضاع السياسية والاقتصادية في اليمن والحجاز. وهكذا بدأت موجة من الهجرة صوب المناطق الصاعدة في الشمال وحتى القبط. وقد شهدت تلك الفترة أول ظهور لجماعات عربية يهودية في سوريا الطبيعية وبلاد القبط. وكان ثاني ملوك البطالسة محباً للتاريخ ومهتماً بالإطلاع على ثقافات وأديان الشعوب. وحيث إنَّ لغته كانت اليونانية، فقد طلب ترجمة التوراة إلى اليونانية. وهكذا انكبَّ حوالى سبعين حَبراً على نقلها إلى اللغة اليونانية. كانت اللغة السائدة في المشرق في ذلك الزمن هي اللغة السريانية (وهي اللهجة السورية من اللغة اليمنية القديمة، شقيقة عربية قريش). وحتى ذلك الزمن كانت التوراة (الكتب الخمسة) مكتوبة

على رقع باللغة الحميرية السبئية اليمنية القديمة. ولم يكن هناك من يتقن قراءتها من الأحبار المكلفين بالترجمة أو يعرف كيف كانت تنطق تماماً. المهم بأنَّ أولئك الأحبار قاموا بترجمة أسفار التوراة تِباعاً معتمدين على الذاكرة والروايات الشفهية واللغة السريانية السائدة في سوريا آنذاك. (الجدير بالذكر أنَّه لم يكن هناك حينذاك لغة عبرية، بل لغة حميرية يمنية فقط يتكلمها أهل اليمن مع احتمال اختلاف النطق أي اللهجات بين المناطق المختلفة). والأمر الأهم من كل ذلك هو أنهم قرروا وبالتواطؤ فيما بينهم – وقد يكون بالتواطؤ مع جمعية القوة الخفية – أن ينقلوا جغرافية أحداث التوراة من اليمن والحجاز إلى العراق وفلسطين ومصر، وذلك طمعاً في وطن جديد لبني إسرائيل بدلاً من وطنهم في اليمن الذي لم يعد يدّر لُباناً وعسلا. وقد بدأت الترجمة حوالى سنة 283 ق.م. واستغرقت الترجمة وقتاً طويلاً. وقد تعاقب على الترجمة والكتابة حوالى 70 حَبْرا. ويبدو أنَّ أولئك الأحبار أدركوا بأنَّ زمن اليمن قد ولّى، خصوصاً بعد انهيار دولتهم اليهودية تحت ضربات الرومان الذين احتلوا اجزاءاً كثيرة من سواحل اليمن وأنَّ اللُبان والعسل انتقلا إلى فلسطين الحديثة، وأنَّ مركز القوة الجديد انتقل إلى سواحل البحر الابيض. وحيث إنَّ بعضهم كان يعرف جغرافية البلاد الجديدة ويجهل صفة بلاد اليمن فقد كان سهلاً عليهم أنْ يقوموا بأكبر عملية تلفيق وتزوير للتاريخ. فحوران نجد اليمن هي حران العراق، ونهر الشريعة هو نهر الأردن ونابلس هي شكيم والقدس هي أورشاليم والخليل هي حبرون. والنبي إبراهيم انتقل مثل سوبرمان من العراق إلى فلسطين ثم إلى مصر ففلسطين بسرعة البرق. واليهودية التي يسقط اسمها على الضفة الغربية في فلسطين، ما زالت في اليمن في حصن اليهودية في مخلاف العرافة من بلاد خبان جنوب شرق ظفار.

المهم أنَّ أولئك الأحبار أنجزوا ترجمة التوراة الملفقة التي زورت تاريخ المنطقة بما يخدم مصالح اليهود. وهي الترجمة التي عرفت باسم «السبعونية»

لأن سبعين حَبراً تعاقبوا على ترجمتها بين القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد من اللغة الحميرية القديمة إلى اللغة اليونانية. وعدا عن تلفيق مواضع الأحداث، قاموا أيضاً بتحريف الكلام والأسماء في تاريخ فلسطين ليتوافق مع التوراة المزورة. وقد انتشرت تلك التوراة في الشرق والغرب وأصبحت مرجعا للكتابة عن تاريخ المنطقة، حتى إنَّ كتّابنا قديمهم وحديثهم اعتمدوا عليها. ومن يريد أن يتوسع في المعرفة يمكنه أن يرجع إلى كتب كل من كمال الصليبي وفاضل الربيعي ونشرات جمعية التجديد الثقافية بالبحرين ومنها كتاب «نداء السراة».

الجدير بالذكر أنَّه يوجد لدى اليهود كتاب آخر موازٍ للتوراة يدعى «التلمود»؛ قارن مع كلمة التلمذة العربية أي التعليم. وهو كتاب تفسير للتوراة. وتجد فيه سجلاً لنقاشات الحاخامات وتفاسيرهم للأخلاق والعادات والأعراف وكذلك سجلاً للأساطير والقصص التي جمعها عزرا والكتبة من مخزون القبائل والشعوب اليمنية والعربية القديمة في الجزيرة[1]. ويعزى لأسفار التلمود جميع الإسرائيليات التي ظهرت في الثقافة الإسلامية والعربية، فقد كان الكتّاب والمؤرخون العرب والمسلمون يرجعون إلى اليهود لتفسير التاريخ الديني القديم.

ويعزى إلى التوراة السبعونية والتلمود جميع المغالطات والتحريفات والقصص (أي ما يعرف بالإسرائيليات) التي دخلت في الثقافة العربية والإسلامية دونما انتباه وتمَّ تبنيها على أنها حقائق من غير فحص أو تمحيص. ثم جاء الكاتب اليهودي يوسيفوس في القرن الاول بعد الميلاد وكتب تاريخاً جديداً لمملكتي إسرائيل ويهودا معتمداً على التوراة السبعونية. وهكذا بتأثير التوراة السبعونية وكتب يوسيفوس تغير تاريخ المنطقة وتاريخ فلسطين لصالح تزوير بني

(1) لقراءة المزيد عن التلمود يمكن الرجوع إلى كتاب «التلمود» لأحمد أيش – نشر دار قتيبة – دمشق وبيروت، 2006.

إسرائيل. أرجو من الكتاب العرب عند الكتابة عن فلسطين التنبّه إلى أن المراجع الغربية هي أساساً مبنية على التوراة السبعونية وكتب يوسيفوس وسفري المكابيين.

كروموبل يعيد الاعتبار للتوراة السبعونية

والجدير بالذكر، أنَّ الكتّاب الغربيين عندما انفتحوا على التوراة بعد الحروب الصليبية وإثر ثورة كروموبل[1] تولّد لديهم حبٌّ لاستطلاع تاريخ المنطقة التي كانت (حسب اعتقادهم) مسرحاً لأحداث التوراة. وحيث لم يكن لديهم مصادر بلغاتهم عن المنطقة العربية، ولم يرغبوا في الرجوع إلى المصادر العربية بسبب كرههم للعرب، فقد لجأوا إلى التوراة لمعرفة تاريخ المنطقة، وبخاصة أنَّ اليهود في أوروبا استطاعوا إقناع كثيرين من مسيحيّيها بأنَّ التوراة هي الفصل الأول في الديانة المسيحية وأنَّ اليهود إلى جانب الإغريق هم منبع الحضارة في المنطقة. ولقد حصل آنذاك توافق مسيحي يهودي على ذلك الأمر. ويبدو أنَّ التحريض اليهودي كان وراء الثورة البروتستانتية في أوروبا الغربية. والجدير بالذكر أنَّ يهود انكلترا والذين كانوا مكروهين من العرش الانكليزي وقفوا مع كروموبل أثناء تمرده على العرش. وبعد نجاحه في إلغاء الملكية وإعلانه الجمهورية قام بمكافأة اليهود بإعادة الاعتبار للتوراة (السبعونية) وضمَّها إلى الإنجيل باعتبارها «العهد القديم». وكما قلت سابقاً، فإنَّ اليهود قاموا بتحريف التوراة عند ترجمتها إلى السبعونية اليونانية - قصداً - لكي تخدم مصالحهم في الاستيطان في فلسطين. فقد نقل المترجمون اليهود مسرح أحداث التوراة من موقعها الأصلي في اليمن والحجاز إلى العراق وفلسطين وبلاد القبط (مصر حالياً). ولقد أصبحت مواقع الأحداث المذكورة في التوراة السبعونية

(1) قبل كروموبل كان محرّماً على اليهود الوجود في بريطانيا. ثم جاء كروموبل الذي اعتنق مبدأ البيوريتان القريب من اليهودية فسمح لليهود بالعودة إلى بريطانيا ورفع الحظر عن تداول التوراة. وهكذا ورويداً انتشر اليهود في جميع نواحي الحياة المالية والإقتصادية في بريطانيا.

اليونانية في فلسطين والعراق ومصر في يقين كل من قرأها وقرأ كتب التفسير الاستشراقية منذ ذلك الزمن؛ ودخلت كحقيقة في معظم الكتب التي صدرت بعد التوراة السبعونية. لقد نجح الكتّاب اليهود والمستشرقون الأوروبيون في تلفيق تاريخ لإسرائيل القديمة في فلسطين وطمس التاريخ الحقيقي لفلسطين وشعبها. حتى إنَّ مؤرخينا العرب وقعوا في ذلك التضليل واتبعوه دونما انتباه، مع إنَّ الحقيقة كانت ماثلة بين أيديهم وهم عنها غافلون. يقول الكاتب فاضل الربيعي في كتابه «فلسطين المتخيلة»:

ذروة المأساة أنَّ العالم المسيحي، وحتى الإسلامي والعربي واليهود، لا يعرفون توراة سوى التوراة السبعونية ابتداءاً من الفترة 300 ق. م. ويؤمنون إيماناً راسخاً بأنَّ الأحداث والمواقع المذكورة في التوراة السبعونية تمثل الحقيقة. وقد دخلت كتابات التوراة في صلب تاريخ المنطقة كأمرٍ مُسلّم به وغير قابل للمراجعة. ولقد دخلت تلك المعلومات الملفقة في آلاف الكتب والدراسات والمعتقدات كيقين أبدي. لقد تمَّ طمس الجغرافيا الحقيقية للتوراة وأصبح من الصعب كشف الحقيقة وتغيير تلك القناعات. حتى إنَّ اسم ساحل كنان موطن بني كنانة بتهامة أو ما يعرف بساحل الحجاز، أصبح كنعان، واسم مضر أصبح مصر (علماً بأنَّ مصر الحالية لم تعرف بهذا الاسم قبل الفتح الإسلامي). وقد قام معظم الكتّاب المستشرقين الأوروبيين في القرنين التاسع عشر والعشرين بمفاقمة الوضع عن طريق نشر دراسات وكتب عملت على إسقاط أحداث التوراة على فلسطين والعراق ومصر بشتّى البراهين والحجج والتي سقطت جميعها أمام التنقيب الجيولوجي. إنَّ أعمال التنقيب في فلسطين لم تكشف عن أي إثبات يؤكد وقوع أحداث التوراة في فلسطين. كما أنَّ الأرشيف المصري القبطي لا يذكر شيئاً عن دخول جماعات يهودية إلى القبط ولا عن ظهور النبي موسى في القبط. (قصة النبي موسى وقعت أحداثها بين نجران والحجاز). ثم جاء الاستعمار الأوروبي لسوريا وفلسطين ومصر وقام بتغيير أسماء المدن والأنهار

والجبال واعتمد الأسماء حسب ما في التوراة السبعونية. ولا يزال المستشرقون الغربيون حتى الآن يقاومون أية كتابات تتعارض مع مقولات التوراة السبعونية حول جغرافيا أحداث التوراة.

والجدير بالذكر أنَّ اللغة الحميرية اليمنية القديمة التي كتبت بها التوراة الأصلية والتي يدَّعي اليهود بأنها اللغة العبرية، هي ليست عبرية. ولأجل إخفاء أصل اللغة ونفي علاقتها باللغة السريانية قاموا في القرن الثالث الميلادي بإبدال ستة أحرف مجمعة في كلمة (بجذ كفث) إلى (فجد خبت)، ما أدَّى إلى تغيير طريقة لفظ الكلمات. فمثلاً كلمة (هلك) أصبحت تلفظ (هلخ) وكلمة حاكام (أي حكيم) أصبحت تلفظ حاخام. وهذا التغيير المقصود أدَّى إلى تغيير 22٪ من اللهجة. وإمعاناً في إبعاد اللهجة العبرية عن شقيقتيها السريانية والعربية قاموا في القرن العاشر الميلادي، بإضافة أحرف صوتية مكتوبة بدلاً من حركات الإعراب لتكريس الإنفصال عن اللغات العروبية تمهيداً إلى اختراع لغة خاصة بهم. فتبدلت كلمة هلك إلى هلخ ثم إلى هوليخ. وهكذا لم تعد مفهومة من القارئ العربي العادي.

لاحظ أيها القارئ منذ متى يخطط اليهود لخلق وطن وشعب ولغة خاصة. تلك هي المعضلة التي يعاني منها عرب فلسطين: 2000 سنة من التاريخ المزور. والمحزن في الأمر إنَّ أغلبية العرب والمسلمون يعتقدون بأنَّ النبي إبراهيم ولد في العراق وهاجر إلى فلسطين رغم أنَّ القرآن يذكر بوضوح موطن إبراهيم وإسماعيل في الحجاز. ولا يزال المسلمين يزورون مقام إبراهيم وإسماعيل عند الكعبة عندما يحجون. إني أندهش كيف أنَّ المسلمين يرون الحقائق أمامهم عند الكعبة ويصلون في مسجد نمرة في وادي عرفة حيث عاش إبراهيم عندما قَدِمَ إلى الحجاز هرباً من قومه في حوران نجد اليمنية، ومع ذلك تجدهم يصدقون أكاذيب اليهود. يتوجب على العرب والمسلمين أن يعرفوا الحقائق بتمعن ولا يمروا عليها مرور الكرام؛ إذ لا يستقيم أنْ تؤمن بوجود مقام إبراهيم عند الكعبة

وبأنَّ مسجد نمرة بعرفة بني فوق منزل إبراهيم، ثمَّ تؤمن بأنَّ إبراهيم ولد في أور بالعراق وهاجر إلى فلسطين وزار مصر كما يزعم اليهود. إنَّ الكثيرين من المؤلفين العرب استندوا في الماضي إلى تدوينات التوراة الملّفقة. إنهم معذورون، فهم لم يستعملوا عقولهم للتدقيق ولم يرجعوا إلى القرآن وكتب المؤلفين القدماء بل استندوا إلى كتب المؤلفين الغربيين دون تمحيص أو تدقيق. أمَّا الآن وقد انكشفت الخديعة الكبرى فليس من عذر لأي كاتب عربي أو مسلم أنْ يفعل ذلك بعد الآن.

أودُّ أنْ أوضح أيضاً أنَّ مصر فرعون القرآن الكريم تقع في الجزيرة العربية وليس في بلاد القبط المسماة حالياً مصر وادي النيل. إن كلمة مصر أو مصريم كانت تطلق على المحطات التجارية (الأسواق) التي قامت على طول خط التجارة العالمي الذي كان يمر على سواحل الجزيرة العربية لراحة وخدمة القوافل وكذلك لخدمة القرى والمضارب المحيطة بها. لذا كان يوجد عشرات الأمصار وليس مصر واحدة. ولمَّا ذهب المسلمون بقيادة عمرو بن العاص لفتح بلاد القبط وصلوا إلى بابليون التي كانت تقيم بها الحامية الرومانية. وبعد اندحار الجيش الروماني أقام عمرو بن العاص في خيمة خارج حصن بابليون عُرفت باسم الفسطاط. كما أمر بإقامة مركز لحاجات الجيش الإسلامي. وقد دعي ذلك المركز باسم «مصر» على عادة العرب. وصار أهل البلاد يتجهون إلى ذلك المركز لعرض بضاعتهم على الفاتحين الجدد. ثم ما لبث ذلك المركز «مصر» أنْ نما وتوسّع واستحوذ على معظم المناطق المحيطة به. ومع تقدم الأيام والسنين غلب اسم مصر على المنطقة بأكملها. والجدير بالذكر أنَّ اسم مصر كان معمولاً به عند العرب والمسلمين فقط. أمَّا أهل البلاد الأقباط وكذلك الأوروبيون فيسمونها «أيقبط» و«ايجبت».

خلاصة القول؛ إنَّ التوراة مرّت في مراحل عدة من التعديل والتغيير والتلاعب من قبل الحاخامات اليهود على مدى قرون طويلة بهدف إلصاق

أحداثها بفلسطين وإبعادها عن الجزيرة. وقد ساعدت كتابات المؤرخين وعلماء الآثار الأوروبيين في طمس التاريخ الحقيقي لفلسطين وإسقاط تاريخ التوراة المزور على فلسطين. وعليه فإنَّ كلَّ ما كتب وأُوِل عن قصص وأحداث التوراة وعلاقته بفلسطين لا يمتُّ إلى الحقيقة بصلة.

لقد قرأت أخيراً كتاباً عنوانه «التلمود كتاب اليهود المقدس» للكاتب السوري أحمد أيبش. وقد أحزنني أنْ أجد الكاتب أو المعرِّب، والمعلق بالأصح، مبهوراً بالكتاب ويروج له ولم يتنبّه إطلاقاً للمغالطات الواردة فيه والتي لم يستطع الكتّاب اليهود أنْ يخفوها. فمثلاً خبر قيام شلومو (سليمان) ببناء الهيكل يرد في الصفحة 235 كالتالي:

«ولما جلس شلومو على عرش أبيه داود، خافته أمم الأرض كلها!؟ وأصغت أمم الأرض كلّها بلهفة إلى كلامه الحكيم. بعد ذلك، عُمِل لشلومو عرش خاص على يد حيرام، وهو ابن أرملة من صيدا».

وحيرام هذا أصبح في التوراة وكتب المفسرين المستشرقين «حيرام ملك صور». واضح أنَّ حيرام هذا كان نجاراً من صور اليمنية ولم يكن ملكاً. وصور اللبنانية لم يكن لها ملكٌ اسمه حيرام إطلاقاً. ومع ذلك لوى المؤرخون الصهاينة عنق الحقيقة وقرروا رفع مستوى النجّار حيرام إلى مستوى ملك. ثم نقلوه من اليمن إلى صور اللبنانية.

الفصل الحادي عشر

شعوب حائرة في التاريخ القديم

1 ـ العماليق والهكسوس

لقد اخترع الكتاب المستشرقون عدة نظريات لأصل هؤلاء الأقوام محاولين بلبلة المعلومات وخلق فوضى كبيرة تضيع فيها الحقيقة. فمرة كتبوا بانهم جاؤا من سواحل فلسطين وسوريا والعراق. وأخرى قالوا بأنهم أقوام جاءت من إيران وتركيا وآسيا عموماً. ويجدر بالمؤرخ الباحث والمطلع على حركة التاريخ في المنطقة وعلى حراك الشعوب القديمة ان يتنبّه إلى حدوث حراك ما أو هجرة كبيرة في منطقة ما لسبب ما؛ وإذا ما لاحظ ظهور حراك أو غزو أو بداية تغير سكاني في منطقة أخرى قريبة من المنطقة الأولى؛ أن يستنتجَ أنه من الممكن أن الهجرة من المنطقة الأولى قد حطّت رحالها في المنطقة الثانية.

هل هناك علاقة بين الهكسوس والعماليق[1]؟

تدّعي التوراة السبعونية والمؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس والتفسيرات

(1) يذكر بعض المؤرخين القدماء بأن اسم العماليق هو تحريف عن اسم الأماليك الذين ينتمون إلى قبيلة الأملوك. ويبدو أن الاسم التبس على المؤرخين الأوروبيين وحولوه إلى عماليق اعتقاداً منهم بأن التوراة تقصد ناساً طوال القامة. وحيث إن مؤرخينا العرب ينقلون عن الكتّاب الأوروبيين دون تمحيص فقد نقلوا الاسم كما هو ولم يتنبّهوا بأن المقصود هو الأماليك؛ وهكذا أصبحت الترجمة الخاطئة هي الشائعة عند الكتّاب.

التوراتية بأنَّ الهكسوس هم من العماليق وذلك بغرض الإيحاء بأنَّ الأنبياء إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وجدوا في مصر لأن فترة وجودهم تتقاطع مع فترة سيطرة العماليق على الحجاز. ولكن ما هي الحقيقة؟! أنا لا أعتقد بأنَّ الهكسوس وإنْ كانوا من القبائل اليمنية المهاجرة من الجزيرة العربية والتي اندفعت في هجرتها إلى أنْ اجتاحت سوريا الطبيعية وشمال أفريقيا كلَّها في الفترة بين القرنين الثالث والرابع عشر قبل الميلاد، كانوا من العماليق الذين يرد ذكرهم في التوراة كحكّام لمصر زمن النبي إبراهيم، لأن مصدر هذا الإدعاء وكما ذكرت سابقاً، هو التوراة السبعونية والمؤرخ يوسيفوس والكتَّاب اليهود. والسبب الأهم هو تضارب التواريخ. فالقبائل التي دخلت الدلتا بدأت دخولها أو تسللها في حوالى عام 2000 ق.م. واستطاعت أنْ تقيم حكمها في الدلتا حوالى سنة 1650 ـ 1540ق.م. وتمَّ إجلاؤها على يد أحمس؛ بينما قصة النبي إبراهيم في مصر ـ حسب التوراة ـ وقعت بين عام 1991 و1816ق.م. وقصة يوسف وقعت في حوالى 1600 ق.م. وقصة النبي موسى وقعت في حوالى عام 1300 ق.م. وهي تواريخ لا تتطابق مع فترة حكم الهكسوس في الدلتا بين 1650 ـ 1540 ق.م.

من هم الهكسوس؟

موضوع الهكسوس موضوع شائك يحتاج الى معالجة دقيقة. ثمَّة خلطٌ في ترجمات التوراة السبعونية وتفاسير الكتَّاب اليهود، وكذلك في بعض المراجع العربية القديمة، بين العماليق والهكسوس. والأمر يحتاج إلى جهد صادق لجلاء الحقيقة. وعلى العموم فإنَّ المصادر المعروفة لقصة الهكسوس هي:

- المصدر الأول هو المؤرخ القبطي القديم مانيتو الذي عاش من السنة 323- 245 ق.م.[1] وكتب كتاب «اجيبتيكا» باللغة المصرية القديمة ،وهو تاريخ

(1) لاحظ بأن مانيتو عاش بعد حوالي ألف سنة من التاريخ المزعوم لظهور الهكسوس.

إيجبت القديم. وقد تعرّض الكتاب للإحتراق في حريق مكتبة الإسكندرية الشهير ولم يبق منه إلاَّ شذرات قليلة. ومن هذا القليل لا يذكر مانيتو العماليق إطلاقاً. والذي أعاد إحياء كتاب مانيتو بعد 300 سنة من احتراقه هو الكاتب اليهودي يوسيفوس؟!

- المؤرخ اليهودي الدّعيّ يوسيفوس فلافيوس الذي عاش في حوالى سنة 37 ـ 100م. وقد ادعى بأنه وجد ما تبقى من كتاب مانيتو. وقد ألف كتاباً عن إيجبت القديمة اعتمادا على بقايا الأوراق المحترقة حسب ادعائه. وقد رفض معظم المؤرخين الأخذ بكتابه هذا نظراً لأنه مليء بالأخطاء والأكاذيب وإعلاء شأن اليهود بدون سند، وجعلهم محور تاريخ مصر القديم. وأغلب الظن أنَّ يوسيفوس قام بتأليف ذلك الكتاب لإعلاء شأن اليهود وتأكيد ادعاءات التوراة السبعونية حول وجود بعض أنبياء التوراة في بلاد القبط. وفي كتاب يوسيفوس نجد بأنَّه يدّعي بأنَّ الهكسوس من العماليق.

- المصادر الأخرى لتاريخ مصر القديم هي: الآثار التي لا تزال قائمة إلى اليوم وأرشيف الحضارات المعاصرة وكتب الرحالة اليونان والرومان مثل هيرودوت وديودوزس الصقلي وبلوتارخ الروماني.

- حجر بالرمو ولوحة الكرنك ولوحة أبيدوس وبردية تورين.

والملاحظ أنَّ جميع هذه المراجع ذكرت اسم مصر «إيجبت» بعدة أشكال ولم تورد لفظة مصر أبداً فيما عدا المؤرخ اليهودي يوسيفوس. وجميع هذه المراجع تحدثت عن الهكسوس إمَّا بأنهم جاؤا من الشرق أو من آسيا وأحدهم سمى ليبيا، ولكنهم لم يذكروا أبداً بأنهم جاءوا من الجزيرة العربية أو أنهم من العماليق. وأحد المراجع يذكر بأنَّ الهكسوس كانوا شعوباً بدوية دخلت الدلتا من الشرق حوالى سنة 2000 ق.م. وحكموا إيجبت أكثر من 150 سنة وأنهم أدخلوا إليها تكنولوجيا حربية مثل الحصان والعربات التي تجرّها الخيول

والأقواس المركّبة والفؤوس الخارقة والسيوف المنحنية. عجباً! إذا كان الهكسوس قد أدخلوا إلى إيجبت كل هذه الوسائل الحربية الخطيرة فأشك بأنهم كانوا شعوباً بدوية أو بدائية! وقد استغل يوسيفوس ذكر مانيتو بأنَّ الهكسوس جاءوا من الشرق لكي يربط بينهم وبين العماليق الذين يسكنون في الشرق (أي في الجزيرة العربية).

وفي العصر الحديث تجاهلت جميع المراجع الأوروبية الحديثة الجادة كتاب يوسيفوس عند الكتابة عن إيجبت، أما الكتّاب التوراتيون فقد نقلوا عن يوسيفوس والتوراة السبعونية مُسبِّبين هذا الإرباك الشديد في تاريخ المنطقة القديم، وأنَّ معظم الكتابات العربية تنحى المنحى نفسه في نسب الهكسوس إلى العماليق. قد يكون هذا القول صحيحاً أو مزيفاً؟ يجب جلاء الحقيقة بالدراسة الجادة المبنية على البراهين الحسية.

فحسب التوراة، دخل النبي إبراهيم والنبي يعقوب ويوسف وأخوته مصر في زمن الفراعنة وكذلك نشأ النبي موسى في مصر زمن الفراعنة، كما أنَّ خروج بني إسرائيل من مصر حصل في زمن الفراعنة نفسهم. وادعاء التوراة السبعونية بأنَّ العماليق (ضمناً الهكسوس) غزوا مصر، بدلاً من أن تقول إيجبت يعني بأنَّ إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى دخلوا أو كانوا في مصر إيجبت أيضاً. والواقع أنَّ الإخباريين العرب مثل الطبري، يقولون إنَّ إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى دخلوا مصر في عهد فراعنة مصر الجزيرة العربية ويورد بعض أسمائهم: الريان بن الوليد (فرعون يوسف) والوليد بن مصعب (فرعون موسى) وسنان بن علوان الشهير بالنمرود (فرعون إبراهيم).

وعند مقارنة اسم عاصمة الفراعنة، أي مصر، مع اسم عاصمة الهكسوس أي زوان (أفاريس)، وكذلك أسماء ملوك فراعنة مصر الحجاز مع أسماء ملوك الهكسوس (ساكيرهار وخيانو وأبوفيس وخامودي وعا أوسررع ونب خبش رع وعا قنن رع وسمكن وعانت هر) يظهر جلياً الفرق الكبير بينهما، وأنها لا تمّت

بأية صلة أياً ما كانت. لقد حاول الكتّاب الأوروبيون واليهود أنْ يوحوا بأنَّ الهكسوس هم من العماليق. وحيث إنَّ فراعنة مصر الجزيرة العربية هم من العماليق، فقد يعتقد القارئ بصحة ادعاء التوراة السبعونية ومفسّريها بأنَّ الأنبياء إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى كانوا في مصر إيجبت وأن إيجبت القديمة هي مصر الحالية.

ومن جهة أخرى، يمكن القول بأنَّ العماليق هم قبائل عربية يمنية قديمة عاشت في اليمن القديم ثم تفرقت شمالاً عن طريق الهجرة العادية وأصبحت من القبائل البائدة. وأمّا الهكسوس فهم تجمّع لفلول قبائل وشعوب متضررة من الوضع خلال فترة سقوط مملكة آشور وصعود حمورابي في عام 1760ق.م.، ما أدّى إلى هروب المنهزمين من سوريا الطبيعية (والتي تشمل العراق) حاملين معهم الحصان وتقنيات الحرب المتقدمة التي لم تكن معروفة لدى الأقباط. علماً بأنَّ الآشوريين كانوا أهل حرب وفروسية. وأغلب الظن أنَّ أولئك الهاربين بالإضافة إلى فلول قبائل نزحت من آسيا وبلاد القوقاز، هم الذين تسللوا إلى أرض الدلتا مالئين الفراغ الحاصل آنذاك، وعرفوا في التاريخ باسم الهكسوس بسبب ركوبهم الخيل. والهكسوس لم يقوموا بغزو بلاد القبط كما يدّعي يوسيفوس، ولكنهم دخلوا إلى الدلتا بالتدرّج على مدى مئة سنة قبل أن يقيموا حكمهم وينتشروا في جوار الدلتا. والملاحظ بأنّه ليس للهكسوس اسم عربي وذلك لأنهم لم يكونوا شعباً متجانساً وإنما تجمُّعٌ خليط من فلول القبائل والأعراق والجنود الذين فقدوا مواقعهم وديارهم ومراكزهم خلال وبعد قيام حمورابي بحروبه ضد آشور وعيلام ولارسا وحروب توحيد سوريا الطبيعية في الفترة من 1760 ـ 1686 ق.م، وهي فترة شهدت حراكاً كبيراً في سوريا الطبيعية وبلاد القبط.

وتقول مراجع بعض الكتّاب المصريين بإنَّ فلول القبائل والشعوب القديمة التي خسرت مواطنها في الحروب تحوّلت إلى البداوة وأخذت تبحث

عن أرض انطلاقاً من الصحراء الشرقية ونجحت في التسلل إلى الدلتا إبّان ضعف الدولة المركزية في زمن الأَسَر الخامسة والسادسة والسابعة عشرة حيث أقاموا دولة وعاصمة وعرفوا باسم الهكسوس أو حق سوس أي «بتوع الخيل» إذ لم يكن الحصان معروفاً في مصر قبلهم. وتقول المراجع بإنَّه من المرجح أنه وجد في بلاد القبط، في فترات متباعدة قبل عصر الهكسوس، فئات من العمال والمرتزقة عرفت باسم الخابيرو والأبيرو، وكلها تسميات لفئة واحدة كانت تقوم بأعمال السخرة والأعمال الموسمية والزراعية والإنشائية ولا ينتمون إلى السكان المحليين.

أمّا لماذا يمزج اليهود بين العماليق والهكسوس؟ الجواب هو، لأن بني إسرائيل واليهود في اليمن القديم كانوا دائماً على عداوة وصراع مع قبائل العماليق القوية. وقد أراد الكاتب اليهودي يوسيفوس أنْ يشوه سمعتهم، فنسب الهكسوس إليهم.

2 ـ قصة شعوب البحر

تُفيد الكتب التاريخية الاوروبية بأنَّ شواطىء مصر وسوريا وفلسطين تعرّضت لموجات من الغزو في القرن الثاني عشر قبل الميلاد من قبل شعوب من خارج المنطقة عُرفت بشعوب البحر، ومنها الفلستيون الذين استوطنوا الأجزاء الجنوبية من الساحل الفلسطيني، وأنشأوا أو نزلوا في خمس مدن ساحلية هي غزة وجت وأسدود وعسقلان وعقرون (حسب تلفيق الكتّاب اليهود والأوروبيين). ويعتقد بعض المؤرخين العرب المستنيرين ومنهم الكاتب فاضل الربيعي، بأنَّ هذا التخريج فرية لا صحة لها. صحيح أنَّ شعوب البحر غزت سواحل مصر وسوريا وفلسطين ولكنها لم تؤسس خمس مدن ساحلية كما يدّعي اليهود والأوروبيون. كما أنَّه لم تكن إحدى قبائلهم تدعى « فلست أو فلشت». تلك فرية يهودية أوروبية بامتياز. وحقيقة الأمر أن اسم بعض عناصرهم ورد تحت كلمــــة «فرشت» في محاضر رمسيس الثالث، فحوَّر الكتبةُ الأوروبيون

الصهاينةُ الاسمَ إلى فلشت الوارد في التوراة لكي يوهموا الناس بأنَّ الفلستيين جاؤوا من خارج المنطقة وليس لهم حق في فلسطين. لقد تعمّد الكتّاب المستشرقون ترجمة كلمة ها-فلشتيم الواردة في التوراة إلى «الفلسطينيين»؛ ثم عمدوا إلى تزوير كلمة «فرشت» الواردة في محاضر الملك المصري رمسيس الثالث إلى كلمة «فلشت» وفلشتيم الواردة بالتوراة للإيحاء بأنَّ شعب فلشت في محاضر رمسيس هي نفسها قبائل فلشتيم الواردة بالتوراة. أي أن الفلشتيم جاؤا من جزيرة كريت وهم غزاة غرباء عن المنطقة. وهذا تزوير واضح. «فرشت» لا يمكن أن تكون «فلشت» لأنها ترد في التوراة بالتزامن مع داوود أي من 1700 ق.م. بينما قصة شعوب البحر وقعت في عام 1200 ق.م. كما أنَّ المدن الخمسة: عسقلان وأسدود وجت وغزة وعقرون التي نشأت على ساحل فلسطين المتوسطي، أنشأتها جماعات مهاجرة من أحياء فلستيي اليمن وبطون طيء عرفوا بأسماء هي العزي والاشدودي والاشقلوني والحثي والعقروني والعويي جميعهم جاؤا من اليمن حسبما جاء في التوراة[1]، وليس لهم أية علاقة بشعوب البحر. إلاَّ أنَّ الكتّاب الغربيين الإستشراقيين المتأثرين بالتوراة السبعونية بذلوا جهوداً جبّارة لطمس حقيقة تلك المدن ونسبها زوراً إلى شعوب البحر. وقد تعمّد المترجمون الذين ترجموا التوراة إلى اللغات الأوروبية واللغة العربية أنْ يترجموا كلمة «ها-فلشتيم» التي تعني بالعربية الفلستين إلى «الفلسطينيين» محاولين أنْ يربطوهم بقبائل «فرشت» التي حوِّرت إلى «فلشت»، والتي هي إحدى قبائل شعوب البحر. وهذا ادعاء باطل. إذ لا يمكن لغوياً ترجمة فرشت إلى كلمة «الفلسطينيين». كما أنَّ كتب الإخباريين العرب وعلى رأسهم الحسن الهمداني تورد اسم قبيلة طي الفلسية كإحدى الشعوب اليمنية وتورد كذلك أسماء شيوخها العزي والأشدودي والجتي والعقروني والعويي. إنَّ الفلسطينيين

(1) لقراءة المزيد عن هذا الموضوع يمكن الرجوع لكتاب د. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة-الجزء الثاني.

عرب جاءوا من اليمن وليس من خارج المنطقة كما تحاول إسرائيل أنْ توحي. وعلى العكس فإنَّ 90٪ من اليهود هم من الأوروبيين الخزر من أصول قوقازية ولا تربطهم أيّة صلة عرقية بيهود اليمن.

من هم شعوب البحر؟

إنَّ الكتّاب اليهود أو المتأثرين بالفكر الصهيوني الحديث يُرجعون هذه الشعوب إلى أصول هندو/ أوروبية. وهذا تزييف يقصد به الإيحاء بأن الفلسطينيين جاءوا من خارج المنطقة. ولكن الحقيقة البدهية أنَّ هذه الشعوب إذا كانت من أصول أوروبية فكان الأحرى بها أن تتجه إلى شواطىء إيطاليا وفرنسا وليس إلى شواطئ ليبيا ومصر وفلسطين. لماذا اتجهت إلى سواحل المتوسط؟ وكيف كان استقبالها من أهالي تلك السواحل؟ إنَّ تلك الشعوب أتت عائدة وليست غازية من جزر بحر إيجه وجزيرة كريت. واتجه بعضها إلى سواحل مصر فتمَّ صدّها من قبل الملك رمسيس الثالث ثم الثاني ثم مرنبتاح. والبعض الآخر نزلوا على سواحل سوريا وفلسطين وتمَّ استقبالهم من أهالي تلك السواحل بالترحاب وما لبثوا أن اندمجوا في محيطهم الجديد وذابوا. وأودُّ أن أضيف هنا رأياً مغايراً لمقولة الغزو. فأنا أعتقد بأنَّ تلك الشعوب لم تأتِ غازية وإنما جاءت مهاجرة أو عائدة إلى الأصول من هجرة طويلة. وقد دامت موجات العودة والصّد أكثر من قرنين ثم اختفى ذكرهم من التاريخ.

أمَّا لماذا صدّهم ملوك مصر، فتفسير ذلك يكمن في الصّد الذي يواجهه الفلسطينيون الحاليون من حكّام الدول العربية الحالية. إذا عرفتم الجواب عن الوضع الحالي تعرفون لماذا كان ملوك مصر القدماء يصدّون هجرات شعوب البحر في الماضي. ولكن من هم اؤلئك الشعوب ومن اين جاؤوا؟

في الماضي السحيق وقبل التأريخ، قامت هجرات عربية قديمة من الجزيرة ومن شواطئ سوريا باستيطان سواحل أفريقيا الشمالية وإيطاليا وإسبانيا

وكذلك جزر بحر إيجه وجزر البحر الأبيض. وقد أصبحت شواطئ البحر الأبيض المتوسط بحيرة عربية ترصّع سواحلَها المستعمراتُ السورية والفينيقية مثل قرطاجة وأثينا وأتيكا (عتيقة) وطيبة ومرسيليا (مرسى ايل) وقادس وإيطاليا الشرقية التي أخذت اسمها من (طلية) الذئبة التي أرضعت رومولوس حسب الأسطورة القديمة. وفيها أنشأ المهاجرون السوريون الأتروريون مملكة اتروريا التي نقلت الحروف العروبية لأوروبا وعلَّمت قبائل لاتيوم اللغة التي أصبحت تعرف ولا تزال باللغة اللاتينية. (الأتروريون يُعرفون في التاريخ الإيطالي باسم الأتروسكيون. وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم «تيرهانيون» نسبة إلى تير الاسم الصحيح لصور اللبنانية). وفي ذلك الزمن السحيق قام مهاجرون من السواحل السورية باستيطان جزر بحر إيجه وجزيرة كريت (قرية) ورودس وأسّسوا فيها حضارة عرفت في التاريخ بالحضارة المينية نسبة إلى أعظم ملوكهم «مينا». وهناك إشارات كثيرة في التاريخ بأنَّ المينيين ينتمون إلى المعينيين في اليمن. وتقول المراجع التاريخية القديمة إنَّ كريت وجنوب اليونان تعرّضتا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد لزلزال مدمر تبعته موجة من الجفاف الهائل الناتج عن ارتفاع درجات الحرارة إلى معدلات غير مسبوقة أتت على مدنهم وحضارتهم وحياتهم الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، ما دفع شعوب تلك المنطقة إلى الرحيل بحثاً عن الطعام والمناخ المعتدل. وتعرف فترة الجفاف تلك بالجفاف المسّيني نسبة إلى منطقة مسّينا بجنوب اليونان حيث بدأت الكارثة. وكان من الطبيعي أن تتجه تلك الشعوب الجائعة والمنهكة والمنكوبة إلى المواطن التي أتى أجدادها منها. لعلها تجد الملجأ والطعام. فلغتهم لغة عروبية وعاداتهم وآلهتهم وأصولهم من سوريا واليمن. إذن فإليها يلجأون. وذلك ما حصل؛ خصوصاً أنَّ الصلة مع الأوطان الأم لم تنقطع. فقد كانت الزيارات والتبادل التجاري بين مملكة كريت من جهة وبين مصر وسوريا من جهة أخرى، قائمة ومزدهرة حسبما ذكر في الحوليات والنقوش المصرية، حتى إنَّ المؤرخ المصري «مانتيو» يفيد بأنَّ «امنحتب الثالث» استعمل محاربين من قبائل الشاردانا والدانونا الكريتيين في

جيشه. ويبدو أنَّ موجات الهجرة التي ابتدأت سلمية، تحولت إلى موجات مسلحة ومحاولات عسكرية متكررة لإيجاد موطئ قدم على البر المصري والسوري. وقد استمرت المحاولات ومن جميع الجوانب، سواء من البحر أو من البر الليبي أو من شمال البر السوري. (كانت سواحل الشام في ذلك الزمن تحت سيطرة مصر). ويبدو أنَّ الحل التاريخي الذي أنهى هذه الحروب كان في قبول رمسيس الثالث بأن ينزل شعوب البحر على ساحل فلسطين وسوريا على أنْ يكون ولاؤهم لمصر.

وقد حاول المؤرخون اليهود والأوروبيون الكارهون أن يطمسوا حقيقة عروبية الحضارة المينية برغم نفْيهم أن تكون أوروبية الأصل. إذن من أين أتت؟ من السماء! لا يوجد على سواحل البحر الأبيض المتوسط سوى الأوروبيين والعروبيين. (الجدير بالذكر بأنَّ اسم أوروبا والأوروبيين جاء من لفظة عروبة وهو اسم ابنة ملك صور اجينور والتي ـ بحسب الأسطورة ـ خطفها ثور (زيوس تنكّر في شكل ثور) من ساحل صور وهرب بها إلى مركزه في كريت. وقد أطلق اسمها على القارة الأوروبية). فإذا كانوا قد نفوا أوروبية الحضارة المينية فلا يبقى سوى نسبتها إلى الأصول العروبية علماً بأنَّ الأوروبيين اعترفوا بأنَّ لغة شعوب البحر تشترك مع اللغة السورية والليبية القديمة بأمور كثيرة، وأنَّ آلهتهم لها أسماء الآلهة السورية نفسها.

ويقول المؤرخون إنَّ الذين لجأوا إلى سواحل فلسطين استقبلوا بترحاب من الشعب الفلسطيني، وسرعان ما اندمجوا معهم. فلو كانوا من أصول تختلف عن الأقوام العربية الأصل، لما تقبلهم السكان ولما استطاعوا أنْ يندمجوا مع محيطهم الجديد. والجدير بالذكر بأنَّ اسم فلسطين جاء من اسم قبائل الفلس العربية التي تنتمي إلى كنانة. ويروى بأنَّ فلس طيء (فخذ كبير من كنانة) كانت قد هاجرت إلى جنوب سوريا وأعطت اسمها لتلك المنطقة (فلس+طيء+ ن- النون الكلاعية وهي لهجة قديمة عند القبائل اليمنية).

ويبقى أن نستعرض بعض الآراء الأوروبية عن منشأ الاسم. تفيد الحوليات المصرية في زمن رمسيس الثاني (1290 ـ 1224ق.م.) أنه واجه أقواماً من شعوب البحر من بينها قبيلة عرفت باسم فرشت؛ وأنَّ رمسيس الثالث (1193 ـ 1162ق.م.) واجه أيضاً موجة جديدة من شعوب البحر كان من ضمنها قبيلة فولستا. وحيث إنَّ اللغة المصرية القديمة لم تستعمل حرف اللام لكتابة الأسماء واستعاضت عنه بحرف الراء، فقد اعتقد المؤرخون الأوروبيون، لغرضٍ في نفس يعقوب، بأنَّ المقصود هو «فلست» وذلك بعد أن لاحظوا التشابه اللفظي بين «فرشت» واسم «فلشت» الوارد في التوراة، علماً بأنَّ اسم فلشت يرد في التوراة بالعلاقة مع إبراهيم الذي يحدد زمن وجوده بحوالى 1600 سنة قبل ظهور شعوب البحر. وهذا يؤكد المعلومة التي وردت في كتاب أبي التاريخ؛ فقد ذكر هيرودوت (الذي طاف في المنطقة حوالى 450 ق.م.) بأن الاسم «فلستينا» كان يطلق على المنطقة من جنوب دمشق إلى تخوم سيناء وكان يسكنها الفلسطيون. ولم يذكر شيئاً عن اليهود أو مملكة اليهودية. علماً بأنَّ هيرودوت كان قد زار المنطقة وكتب عنها بحوالى مائتي سنة قبل ظهور شعوب البحر. وكذلك أطلق اليونان والرومان اسم فلستينا على المنطقة ذاتها. ولمّا جاء العرب المسلمون أصبح الاسم «فلسطين». والجدير بالذكر أنَّ اسم فلشتيم يرد في التوراة أيضاً بالتزامن مع شاؤول وغيره بالإضافة إلى إبراهيم. وكان هدف الكتّاب اليهود والأوروبيين إقناع العالم بأنَّ الفلسطينيين جاؤوا من خارج المنطقة، علماً بأنَّ المدن التي ادّعى الكتّاب الأوروبيون واليهود بأنَّ شعوب البحر أنشأوها على ساحل فلسطين هي محض افتراء وتلفيق إذ إنَّ هذه المدن أنشأها الفلستيون المهاجرون من اليمن إحياءً لذكرى مدنهم السابقة بالأسماء نفسها والتي كانت قائمة في اليمن.

إذن، شعوب البحر ليس لهم أدنى علاقة بالفلسطينيين رغم أنهم في النهاية استوطنوا في بلاد القبط (مصر حالياً) وعلى سواحل سوريا القديمة بما

فيها سواحل فلسطين. أمّا الفلسطينيون فهم شعب عربي من كنانة هاجر من اليمن وسواحل الحجاز إلى سواحل سوريا الجنوبية حيث أقام مدنه منذ زمن بعيد في حوالى عام 3000 ق.م.

3 ـ من هم العابيرو؟

لقد قام الكتّاب اليهود والأوروبيون المتأثرون بالتوراة في القرنين الثامن والتاسع عشر وخلال القرن العشرين بمحاولات لربط المسمى «عابيرو» بالصفة «عبريون» لكي يقيموا الدليل التاريخي على وجود العبرانيين منذ القدم في جغرافية وتاريخ سوريا وفلسطين. والمسمى «عابيرو» تم تحويره عن المسمى الصحيح «عفيرو». فمن هم وأين ومتى ظهروا؟ ويلاحظ بأنَّ الكتّاب اليهود قاموا بتحريف الاسم إلى عابيرو لتقريبه من لفظة عبري وعبران. والحقيقة أنَّ لا صلة تاريخية بين الاسمين. وقُرئ الاسم كما ظهر في رسائل تل العمارنة: «هابيرو» أو «أبيرو» من قبل الدارسين الأوروبيين الذين تولوا ترجمة تلك الرسائل من اللغة المصرية القديمة إلى اللغات الأوروبية الحديثة. وحيث إنَّ اللغات اللاتينية تفتقر إلى حرف العين وحيث إنَّ اللسان الأوروبي لا يلفظ حرف العين ويلفظه A عوضاً عن ذلك؛ فقد تمَّ تحوير الاسم الى أبيرو ثم هابيرو بدلاً عن «عفيرو». وقد تلقف الكتّاب الصهاينة كلمة هابيرو وحولوها في كتاباتهم إلى كلمة «عابيرو» وما لبث أن تحوّلت إلى كلمة «هيبرو» في اللغات الأوروبية بغية خلطها مع كلمة عبري. وهكذا تم استبعاد كلمة عفيرو والتركيز على كلمة هابيرو التي أصبحت تعني هيبرو أو عابيرو، أي الشعب العبري اليهودي.

مع الاسف الشديد أنَّ كثيراً من الكتّاب العرب آثر السهولة عند الكتابة عن هذا الموضوع فنقلوا عن كتابات المؤرخين الغربيين دونما دراسة أو تمحيص حتى كاد يعم الاعتقاد بأنَّ العفيرو هم العبريون خصوصاً بعد اكتشاف رسائل تل العمارنة والنصوص المسمارية في نوزي وتل الحريري- ماري وتل العطشانة - الالاخ ورأس شمرا - أوغاريت. وقد وردت الكلمة في عدة أشكال كتابية (ليس

بينها عابيرو) نورد بعضها كما يلي: (أبيرو) و(عفيرو) و(خفيرو) و(خبيرو). وهذه الكلمات وردت في كتب المؤرخين الغربيين، ولم يقم أي كاتب عربي بتحقيقها من الأصل. ويبدو أنَّ الصلة سواء بالزمان أو بالمكان بعيدة بين الكلمة عبري التي ترتبط بشكل ما بقبائل العبران اليمنية ومنها بني إسرائيل وعفيرو الذين وجدوا في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وأودُّ أن أوضح أنَّ قصة العفيرو والخفيرو والأحلامو لم ترد في التوراة ولكنها وردت في أرشيف ملوك بلاد القبط وبخاصة في رسائل تل العمارنة المكتشفة والمعتقد بأنها كانت موجهة إلى الملك رمسيس من ولاته على مناطقه في فلسطين وسوريا. وتعني كلمة عفيرو أو (أبيرو) أو(خافيرو) كما وردت في الأصل السرياني، كل من «يعمل بالسخرة مقابل الطعام والمأوى». وتتحدث رسائل تل العمارنة عن عفيرو وخافيرو أنهم تمردوا على سلطة ولاة بعض المناطق السورية التي كانت تحت الاحتلال القبطي آنذاك، أي أنَّ الحكّام أو الولاة المعينين من قبل ملك القبط لإدارة مناطق احتلاله كتبوا إلى الملك القبطي عن ثورة العفيرو والخافيرو والاحلامو في ممتلكاته. والعفيرو والخافيرو كانوا طبقة دنيا فقيرة من أهل البلاد تعمل بصفة أجراء في أراضي الملك القبطي وتسكن على أطراف المدن. ويبدو أنها تمردت ضد سلطة الحكام، لسبب من الأسباب، وهربت إلى الجبال. وقد انضمّ إليها في ذلك التمرد بعض فقراء القبائل الأخرى والذين عرفوا باسم الاحلامو أي الأغلام أو الحلفاء، الذين طردهم ولاة القبط سابقاً بسبب تمردهم على الاضطهاد والقهر والاحتقار الذي مارسه ولاة القبط عليهم، وكذلك انضم إليها اللصوص وقطّاع الطرق والناقمون على المجتمع (حسب رسائل تل العمارنة). ويبدو أنَّ مفهوم الكلمة تطور ليشمل جميع الذين ثاروا على سلطة الحكّام القبطيين. لقد حاول كتبة التوراة السبعونية قلب الاسم «خافيرو أو عفيرو» إلى عابيرو عن سوء نية وللتزوير، ولكن الأصل الذي ترجمت عنه التوراة السبعونية والمتاح لقلة من المتخصصين، فضح التزوير والتحريف. إذ لا يوجد أدنى رابط بين كلمة عبري والمسمى عفيرو. ولا يوجد أية بينات تاريخية يمكن أن تربط بين عفيرو

وخافيرو رسائل تل العمارنة وأصول بني إسرائيل بغض النظر عن اي تشابه بالأسماء. واللافت للنظر أنَّ كلمة (خفيرو) لا تزال في الاستعمال في مصر الحالية بصيغة (خفير) وهي صفة لمهنة وليست اسم لشعب. فصيغة (خفيرو) هي صيغة الجمع لـ (خفير)، ويعتقد بأنه كان يعمل آلاف من الخفراء في حراسة أراضي الملك، المالك الوحيد لأراضي المستعمرات السورية. وأودُّ أن ألفت إلى الشبه بين كلمة «العابرة» باللغة العربية ومصطلح عابيرو. وكلمة العابرة تعني أيضاً الجماعات غير المرتبطة بالأرض.

ولي رأي أخير حول تكوُّن جماعات العفيرو والخافيرو أو الاحلامو؛ أعتقد بأنَّ هذه الجماعات ما هي إلاَّ فلول القبائل المهاجرة من اليمن خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد، إثر المجاعات والحروب الطاحنة التي اجتاحت الجزيرة العربية ودفعت القبائل للهجرة شمالاً بحثاً عن أراض جديدة. وقد تقطّعت السبل ببعض القبائل الصغيرة التي لم تستطع أن تحصل على مأوى أو أرض تقيم عليها بسبب استحواذ القبائل الكبيرة على كل شيء. وما لبثت تلك الفلول التي اضطرت إلى التلطّي في جوار مستوطنات القبائل الكبيرة أن اضطرت للتحوّل إلى الغزو والسطو وتسخير أنفسهم عمالاً لمن يؤمِّن لهم المسكن والأكل. يتحدث التاريخ عن حراك بشري هائل اجتاح سوريا الطبيعية (بما فيها العراق وفلسطين) وأطراف الدولة القبطية ابتداءاً من القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وهذا يكاد ينطبق على قصة العفيرو والخافيرو والاحلامو. ولا يزال الموضوع يحتاج مزيداً من البحث والدراسة.

الفصل الثاني عشر

المصريون القدماء

1 ـ هل المصريون القدماء عربٌ؟

نعم إنَّ المصريين القدماء عرباً ولغتهم عروبية، ولا يخفى الأمر على أي متخصص في اللغات العروبية أنْ يلاحظ التماثل الكبير بين اللغة المصرية واللغات العروبية من حيث الأفعال وتركيب الجمل والاشتقاق وحروف العلة وغيرها. ولقد كان سهلاً على الشعب المصري الانتقال من اللغة المصرية القديمة إلى شقيقتها العربية. كما أنَّ الآلهة المصرية القديمة هي نفسها آلهة قبائل اليمن وعلى رأسها الإله «حر» أي الصقر الذي حوّله المترجمون الأوروبيون إلى الإله «حور» أو «حورس» بإضافة الزائدة اليونانية.

كان المؤرخون الأوروبيون في القرن التاسع عشر يرفضون أيَّة علاقة بين قدماء المصريين والعرب. ولكنهم حاروا من أين جاء قدماء المصريين؟ وكانوا يرفضون المرويات والأخبار التي جاءت في قصص ومرويات الإخباريين العرب بحجة أنها مليئة بالمبالغات والقصص الخرافية. صحيح أنَّ معظم كتب الإخباريين العرب تحتوي على أساطير وقصص خرافية؛ ولكن ثمَّة نقطة مهمة وهي أنَّ أولئك الإخباريين كانوا يسجلون ما سمعوه من الرواة بدون تعليق لأنهم كانوا أقدر منا على إدراك وفهم ما تحويه تلك المرويات من أخبار التاريخ الماضي. وحديثاً تبين أنَّ القصص والأساطير القديمة تختزن في ثناياها تسجيلاً

لأحداث وقعت في الماضي السحيق ثم تحوَّلت مع مرور الزمن إلى روايات رمزية بطابع أسطوري إلى حد الخرافة مع انتقالها من جيل إلى آخر. ولكن عند دراستها وتمحيصها تفصح لنا عن ما تختزنه من معلومات عن أحداث وقعت في الأزمنة الغابرة. وعليه فإنَّ قصص المؤرخين العرب القدماء وكذلك الشعر العربي القديم، أخذا يكشفان لنا عند الدراسة والتمحيص الجاد عن أخبار وأحداث وقعت في الماضي. وأعتقد بأنَّ الرواة والإخباريين العرب القدماء أقدر على فهم الأسرار الإخبارية المخزونة داخل القصص الأسطورية المسلّية. ولذا فإنهم لجأوا إلى اسلوب الرواية الأسطورية لأنها أسهل على الحفظ والاستمرار. وفي يقيني أنَّ القبائل العربية القديمة هاجرت إلى مصر مثلما هاجرت إلى العراق وبلاد الشام في الماضي السحيق ومنذ أربع عشرة ألف سنة. وقبل الذوبان الثلجي الذي تبعه الفيضان الكبير- الذي يعرف بفيضان نوح - كانت البشر تقطع المسافة بين سواحل اليمن وسواحل القرن الأفريقي على الأقدام. ويُعتقد بأنَّ الإنسان الأول انتقل من سواحل أفريقيا إلى اليمن بهذه الطريقة. وفي اعتقادي أنَّ العرب عادوا إلى سواحل القرن الأفريقي بأن عبروا إلى الحبشة ثم تقدموا شمالاً حيث انتشروا في جميع الأراضي الساحلية لشرق أفريقيا وتركوا آثارهم في الملامح والعادات البشرية وكذلك في اللغات والثقافات. وقد تابع بعضهم السير بمحاذاة السواحل وعلى ضفاف النيل إلى أنْ وصلوا إلى دلتا النيل ومنها انطلقوا في جميع الأنحاء وعمروا البلاد حتى البحر الأبيض المتوسط. إنَّ أكثر اللغات انتشاراً في شرق أفريقيا هي الأمهرية والسواحلية. ويعترف الأوروبيون بأنَّ اللغة الأمهرية هي لغة عربية قديمة وأنَّ اللغة السواحلية ما هي إلاَّ نتاج العرب الذين استوطنوا تلك المناطق واندمجوا مع شعوبها.

وقد أقام العرب عدة ممالك هنالك. وكذلك تقدموا شمالاً على طول الساحل الأفريقي مخترقين مناطق الصومال والحبشة وصولاً إلى السودان ووادي النيل. وقد حملوا معهم ونشروا في تلك الأصقاع ثقافتهم وآلهتهم ولغتهم. وقد

ثبتت هذه الحقيقة بعد إجراء الدراسات الانثروبولوجية على بقايا الهياكل البشرية في المنطقة.

إذن، لقد دخل العرب القدماء إلى مصر من الجنوب. ولكنهم دخلوها أيضاً فيما بعد من طريقين آخرين على مدى عصور أخرى طويلة وكذلك إبَّان الفتح الإسلامي. فالتاريخ يفيد بأنَّ الكنانيين انتشروا في سواحل البحر الأبيض المتوسط كافةً، بحيث كان البحر الأبيض يُعتبر بمثابة بحيرة فينيقية سورية. وقد أقاموا دولة كبيرة في سواحل ليبيا وتونس، هي دولة قرطاجة التي دخلت فيما بعد بحروب طاحنة مع روما. المهم أنَّ السوريين أبناء الكنانيين، أقاموا عدة مستعمرات على شواطئ أفريقيا الشمالية. وعدا عن الخط البحري الذي كان يربط بين صور وصيدا وسواحل شمال أفريقيا، أقاموا أيضاً خطاً برياً مرَّ عبر سواحل مصر إلى ليبيا. ومن ذلك الطريق دخل كثير من السوريين العرب إلى مصر وأقاموا فيها وأثروا وتأثروا بأهلها. أمَّا الطريق الثالث الذي دخل منه العرب إلى مصر فهو تسلل عشائر عربية من سوريا ـ فلسطين عبر سيناء، بالإضافة إلى الهجرة الكبيرة بعد الفتح الإسلامي. إذن؛ إنَّ تعريب مصر لغوياً ودينياً تمَّ منذ القدم وعن طريق الجنوب والشرق والغرب. وعندما انهارت دولة قرطاجة اتجهت فلول الكنانيين السوريين براً إلى مصر. وكثيرون منهم لجأوا وأقاموا في مصر والآخرون تابعوا طريقهم إلى فلسطين. يحاول الكتَّاب اليهود اليوم أنْ يحشروا اسم العابيرو بين قبائل الهكسوس التي يزعمون أنها اجتاحت مصر في عصور الضعف والفوضى، وذلك بغرض التأسيس لزيارة إبراهيم إلى مصر والوجود المزعوم ليوسف في مصر، وكذلك زيارة يعقوب وأبنائه إليها. وهي قصص إنْ صحّتْ فإنها لم تخرج عن نطاق جنوب جزيرة العرب. إذن إنَّ مصر تعرّبت منذ قديم الزمان والذين أقاموا الحضارة في مصر القديمة هم عرب ولغتهم وديانتهم عربية قديمة. الجدير بالذكر أنَّ لفظ حروف الهجاء في مصر يتطابق بشكل كبير مع لفظ أهل اليمن وخاصة الجيم. إنَّ اللغة المصرية القديمة

لغة عربية صميمة ومن يريد أن يتأكد أو يتوسع في هذا الأمر فأحيله إلى كتب الكاتب الليبي علي فهمي خشيم حول « آلهة مصر العربية» و«القبطية العربية». يقول الكاتب علي فهمي خشيم: «باتفاق، ودون أي اختلاف بين الباحثين، تعتبر القبطية ابنة المصرية القديمة وممثلتها في المرحلة الأخيرة من وجودها. وعن طريق القبطية ومعرفته المتقنة بها، إلى جانب معرفته بالعربية واليونانية، تمكّن الفرنسي «شامبوليون» من فك رموز الكتابة الهيروغليفية وفتح أبواب التاريخ المصري القديم على مصراعيه». إذن معرفة اللغة العربية كان مفتاح فك رموز اللغة المصرية القديمة. وبناء عليه فإنَّ اللغة المصرية القديمة هي لغة ذات أصول عربية جاءت مع المهاجرين الأوائل من الجزيرة العربية وكانت آنذاك في مرحلة الطفولة اللغوية حيث كثر الجذر الثنائي. ثم تعرضت تلك اللغة لما تتعرض له جميع اللغات من تطور لفظي ودلالي ونَحْوي إلى جانب تأثير عوامل البيئة. ونستخلص من ذلك أنَّ المصريين القدماء كانوا من أصول يمنية عربية هاجروا إلى شمال أفريقيا وبنوا حضارة عظيمة ارتكزت على ما حملوه معهم من لغة وثقافة وديانة وعادات وتقاليد. إنَّ 90٪ من كلمات وألفاظ اللغة المصرية القديمة تشترك مع اللغة العربية في الأصول. ويحتوي كتاب الدكتور علي فهمي خشيم: «القبطية العربية» على معجم مقارن للمفردات والكلمات المصرية القديمة والقبطية وأصولها العربية. ومن يريد التوسع في هذا الموضوع أحيله إلى كتاب «الحضارة القديمة» للمؤرخ أحمد كمال.

كلمة أخيرة

إنَّ معرفة حقيقة بني إسرائيل واليهود أمر ضروري في معركتنا ضد اغتصاب فلسطين، والأهم من ذلك هو أنْ نعرف كيف نجح اليهود في التغلب علينا وهزم جميع محاولاتنا وجميع حروبنا ضدهم حتى الآن. أليس من الحري بنا أن نعرف لماذا فشلنا ولماذا تتراجع قضيتنا عربياً وعالمياً. وما هو السر في نجاح إسرائيل وفشل العرب؟!

ستجد من يقول لك بإنَّ السبب أننا «ابتعدنا عن الدين، فابتعد الله عنا». ولكن اليهود والمسيحيين ابتعدوا عن الدين وحرّفوه ولم يعاقبهم الله. فأوروبا المسيحية فصلت الدين عن الدولة وجعلت الإنسان سيد نفسه ومصدر السلطات وانتقلت من الخرافات إلى الحداثة عن طريق العلم؛ وجعلت فاصلاً بين ما يقوله الدين وما يبينه العلم. فالدين مكانه الكنيسة والعلم مكانه المدرسة والجامعة والمختبرات والمصانع والمتاجر. واليهود قاموا بحذف كل ما يشير إلى عداوتهم للمسيح وقلّدوا الأوروبيين في كل شيء واعتمدوا العلمانية بدل الدينية، ولم تسقط السماء على الأرض.

لقد بيَّنا في هذا الكتاب أنَّ اليهود قاموا بتغيير لغتهم وفصلها عن اللغات العروبية حتى بات من العسير علينا أنْ نفهمها بدون قاموس. ولكن لماذا فعلوا

ذلك؟ لقد أدرك اليهود بعد خروجهم من بلاد الخزر وبعد ذلك من الأندلس ثم تعرضهم لمحاكم التفتيش في أوروبا، بأنه للحفاظ على بقائهم في أوروبا الغربية يتوجب عليهم أنْ يفهموا العقلية الأوروبية وأنْ يلغوا من مفاهيمهم وسلوكهم كل ما ينفِّر الأوروبيين منهم. لقد أدركوا بأنَّ أوروبا هي القوة الصاعدة التي ستحكم العالم ولذا قرروا أنْ يجعلوا اليهود جزءاً من أوروبا وأنْ يجعلوا قضيتهم قضية أوروبية. فعملوا على ذلك. وكانت أوروبا الخارجة من عصور الظلمات إلى عصر النهضة متعطشة لمعرفة ماضي فكرها وعقيدتها. وقد نجح الكتَّاب اليهود المندسّون في الجامعات الأوروبية في إقناع أوروبا بأنَّ أسس الحضارة بدأت في اليونان وإسرائيل القديمة، ولكي يعرفوا ماضي حضارتهم عليهم أنْ يدرسوا التوراة وتاريخ الإغريق القديم. وهكذا نجح اليهود في تزوير تاريخ العالم القديم ووضع أنفسهم موضع الحضارات العربية القديمة ـ اليمنية والآكادية والبابلية والآشورية والمصرية ـ التي أسّست الحضارة القديمة ونشرتها في اليونان وإيطاليا والعالم القديم. لقد نجح اليهود في إقناع أوروبا بتاريخهم المزور وفشلنا نحن في أنْ نجعل أوروبا تسمعنا لأننا لم نقدر أنْ نفهم الحضارة الأوروبية واعتبرناها ملحدة ستكون نهايتها الدمار والاندثار. ولكنها بقيت وازدهرت. لقد كنا مخطئين. أمّا اليهود فقد عملوا ليلَ نهارَ لبثّ تاريخهم الملفّق بين الأوروبيين وطمس تاريخنا. والذي ساعد على إقناع الأوروبيين بالوقوف مع اليهود ضدّنا هو أنَّ اليهود قلّدوا الأوروبيين في حضارتهم ومفاهيمهم وسلوكياتهم. أدرك اليهود بأنَّ لا بقاء لهم بين مسيحيي أوروبا إذا لم يغيروا ما بأنفسهم وعدم السماح للماضي بأنْ يتحكّم بحاضرهم ومستقبلهم. فبدأوا بمراجعة التوراة وتحديثها لتتماشى مع الواقع الجديد. وقد خضعت توراتهم لعدة مراجعات وقد حذفوا منها جميع ما ينفر منهم سكان أوروبا المسيحيين. وقد استمرت المراجعات السنوية حتى يومنا هذا.

إذن، لماذا لم نتقدم نحن وقد كنا أسياد العالم القديم وعلّمناه الحضارة؟

ألم تكن الأندلس المدرسة التي تعلّم فيها الأوروبيون العلوم؟ ألم تبدأ الحضارة في أوروبا بعد انهيار الأندلس؟ نعم هذا صحيح، ولكن الأوروبيين أكملوا الطريق بينما دخلنا نحن في عصر الانحطاط ابتداءاً من القرن الثاني عشر الميلادي في المشرق مع سقوط الدولة العربية المركزية إثر سقوط بغداد على أيدي المغول وتفتت البلاد إلى دويلات يحكمها ولاة من العجم والأتراك؛ وفي القرن الخامس عشر في المغرب مع سقوط الأندلس الذي أدَّى إلى سقوط حواضر الحضارة الإسلامية. ومنذ ذلك الزمن تسلّط على الناس حكّام جهلة حرَّموا العلم وأباحوا الجهل وأغلقوا المدارس التي كانت تدرس العلوم الدنيوية مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء والطب والبيطرة والزراعة وغيرها من العلوم التي تعتمد على العقل وأبقوا على العلوم الدينية فقط. لقد أغلق العرب الأبواب فأصابهم الشلل ودخلوا في النسيان إلى أنْ جاءتهم الصدمة الأولى عند قيام نابليون بغزو مصر في شهر 7 من عام 1798م. لقد شاهد العرب والمسلمون الفروسية تسقط وتنهار أمام المدفع. كانت نقطة تحوّل صادمة وعنيفة. لقد أدرك المتعلمون العرب بأنَّ عالمهم القديم قد انهار وأن حضارتهم تقف مشلولة وعاجزة أمام حضارة جديدة كانوا يعتبرونها حتى الأمس حضارة كافرة لا يجب أنْ يطّلعوا عليها أو يتفاعلوا معها. لقد سقطت المحرمات ودخلت المطبعة مصر وبدأت النخبة تتطلع على علوم أوروبا وأصبح المناخ العام يبشّر بنهضة خصوصاً مع مجيء محمد علي. ولكن أوروبا الخائفة من نهوض العرب والمسلمين أجهضت حركة محمد علي النهضوية وأجبرته على تفكيك المصانع وردِّها إلى أوروبا والعودة إلى الزراعة فقط. وقد تكرر ذلك المشهد مع جمال عبد الناصر.

الإسلام دين ودنيا. ولكننا ركزنا على الدين فقط وأهملنا الدنيا أي أهملنا علوم الدنيا. وهكذا لم نعد نستطيع أنْ نتدبر أمور دنيانا. فاستقوى علينا الغريب واحتل بلادنا وسرق ثرواتنا وتحكم في مصائرنا.

ما هو الحل؟

ليس أمامنا من حل إلاَّ أنْ نعود إلى العلم، وأعني علم الدنيا والتكنولوجيا وتحكيم عقولنا في مصيرنا واعتماد العَلمانية وفصل الدين عن الدولة تماماً كما فعلت أوروبا واليهود. لقد سبقونا وأصبحوا يتحكمون فينا، ولكننا نستطيع أن نلحق بهم ونردعهم ونسترد حقوقنا إذا ما فهمنا الدرس. ولا أعني بالعلمانية التخلي عن الدين، فالدين يبقى جوهر وقلب الامة وهويتها. وإنما أعني الأخذ بالعلم الحديث والتكنولوجيا وفصل العلوم الدينية عن العلوم الدنيوية.

بعض العرب والمسلمين يعتقد، جهلاً، بأنَّ فلسطين هي أرض الرسالات السماوية المقدسة كما يدّعي الأوروبيون واليهود، وأنَّ إرجاع موطن نزول الرسالات إلى اليمن والحجاز يعني نزع صفة «المقدسة» عن أرض فلسطين. إنَّ إطلاق صفة المقدسة على فلسطين ومنطقة القدس بالذات تمَّ من قبل الأوروبيين والصليبيين بالذات بتحريض من الساسة الصليبيين والكنيسة واليهود الخزر. وكان الهدف المعلن هو شحن النفوس لحشد المقاتلين لاسترجاع أرض المسيح. وأمّا الهدف الخفي فقد كان استرجاع البلاد التي كانت تحت الاستعمار الروماني- البيزنطي. وقد نجح الصليبيون في احتلال سوريا الساحلية سنة 1096م والبقاء فيها لمدة 200 سنة حتى طردهم منها صلاح الدين والمماليك. ما همنا ان تكون فلسطين مقدسة مع احتلال صهيوني! وما همّنا أنْ تكون القدس العربية مقدسة وهي ليست في أيدينا!؟ نحن يجب أنْ نعرف الحقيقة. ويجب أنْ نؤمن بأنَّ القدس تمَّ إنشاؤها على يد المهاجرين العرب من غرب الجزيرة العربية في حوالى الفترة 400-300 ق.م تيمناً بمدينتهم القدس الأصلية المهدّمة والقابعة في جبال السراة إلى يومنا هذا. هي مقدسة بالنسبة لنا لأنها مدينتنا ولأنها مسرى الرسول (ص) ولأنها شهدت نشوء المسيحية ولكنها لم تشهد ولادة اليهودية كما يدّعي اليهود.

إعرفوا الحقيقة ياعرب حتى تنهضوا. واعرفوا الحقيقة يا فلسطينيين حتى تنجحوا في تحرير فلسطين.

إن إسرائيل تريد منا أنْ نعترف بيهودية فلسطين. إن إسرائيل تعمل على تحقيق ذلك عن طريق تفتيت وتقسيم الوطن العربي إلى دويلات إثنية ومذهبية. يلوح في الافق مؤامرة تقسيم سوريا ولبنان والعراق إلى دويلات سنية وشيعية وعلوية ومسيحية وكردية ودرزية وغيرها. وهكذا تصبح إسرائيل قائمة بين بحر من الدول الإثنية والمذهبية ولا يصبح عسيراً عليها أنْ تتحوّل إلى دولة يهودية تحوي اليهود فقط، وتالياً تطرد العرب غير اليهود إلى الدول المجاورة.

مؤامرة يهودية مستمرة منذ عقود، تنام وتصحو حسب الظروف المؤاتية. وما ثورات «الربيع العربي» إلاَّ حلقة في مؤامرة تحقيق الأهداف اليهودية. تبدو الأشياء من الخارج ولأول وهلة بأنّ الشعوب العربية تثور على أوضاعها. وهذا صحيح ظاهرياً. ولكنها ثورات غير منظمة هدفها الوحيد إزاحة حاكم ما. إنَّ هذه الثورات لم ترفع أو تحقق أيّة مبادئ مفيدة لشعوبها. بل على العكس أنَّ جلَّ ما تحقق هو الخراب ومزيد من الخراب والفرقة بين مكونات الشعوب. أنظر إلى الوضع الحالي في كل من تونس وليبيا ومصر واليمن والبحرين وسوريا والعراق. قد يقول قائل بأنني عدتُ إلى نظرية المؤامرة. نعم أنا أؤمن بنظرية المؤامرة ودليلي على ذلك أحداث كثيرة مرَّت بها الأمة العربية سببها التآمر. إنَّ تاريخ الأمة العربية منذ خروج الحكم من العرب إلى أيدي الإثنيات الأخرى سلسلة من المؤمرات لم تنته حتى يومنا هذا.

- أليست الحروب الصليبية مؤامرة أوروبية هدفت إلى استعمار البلاد العربية ونهب ثرواتها بحجة الدفاع عن الأراضي المقدسة؟

- أليس منع محمد علي وإبراهيم باشا من الانتصار على السلطنة العثمانية وتخليص البلاد العربية من الحكم العثماني مؤامرة؟ ألم تهدد الدول الأوروبية بقصف الاسكندرية إنْ لم يتراجع جيش إبراهيم باشا عن احتلال الاستانة؟

- أليس قيام الدول الأوروبية بإجبار محمد علي على تفكيك المصانع التي استوردها من أوروبا مؤامرة لفرض التخلف على مصر؟
- أليس قيام الدول الأوروبية بمنع انهيار السلطنة العثمانية (الرجل المريض) مؤامرة أوروبية هدفت إلى الحلول محله بعد الاتفاق على تقاسم الحصص (معاهدة سايكس بيكو)؟
- أليس تسهيل إحضار اليهود إلى فلسطين من قبل بريطانيا تمهيداً لاغتصاب فلسطين وإصدار وعد بلفور مؤامرة بريطانية ؟
- أليس العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956 مؤامرة لإحباط قيام مصر باسترجاع قناة السويس؟
- أليس غزو العراق مؤامرة؟
- أليست انتفاضات الربيع العربي مؤامرات بامتياز جرَّت الدمار والتخلف وأطلقت عنان الفتن الإثنية والطائفية والمذهبية من عقالها؟ وعذراً من الشعوب العربية التي ساهمت في «الربيع العربي» بحسن نية وبدون أنْ تدري المصير الذي يُدبّر لها. أنظر مآل الشعوب والديار في العراق وليبيا واليمن وسوريا. تدمير وقتل وإفقار وإرجاع إلى القرون الوسطى. أليس هذا ما تريده إسرائيل وأمريكا وأوروبا؟ لم يعد أحد يذكر قضية فلسطين. لقد اختفت قضية فلسطين خلف قضايا ليبيا ومصر واليمن وسوريا.

إن الغرب يتعامل معنا بالمؤامرات والهدف منع الاتحاد أو الوحدة وبالتالي منع النهضة. فهم يؤمنون بأن الوضع الحالي، الذي تسببوا به، هو أفضل وضع لحماية أمن النفط وأمن إسرائيل وأمن العالم الغربي.

اتعظوا يا عرب.

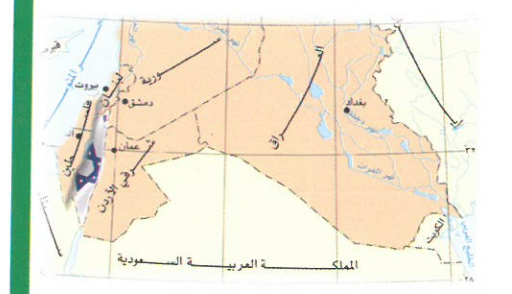
المراجع

- أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب ـ دار خطوات للنشر والتوزيع، دمشق 2004.
- أحمد الدبش: كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب ـ خطوات للنشر والتوزيع، دمشق 2006.
- أحمد الدبش: اختطاف أورشليم ـ الناشر: النايا، دمشق 2013.
- ايف كوبنز: قصة الجانب الشرقي ـ أصل الجنس البشري ـ المجلة العلمية الأميركية 5/ 1994.
- بيير روسي: مدينة إيزيس ـ التاريخ الحقيقي للعرب، ترجمة فريد جحا، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق 1996.
- توماس طومسون: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة صالح سوادح، نشر بيسان للنشر التوزيع 1995.
- جورج كدر: معجم آلهة العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت 2013.
- حمزة علي لقمان: أساطير من تاريخ اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء 1988.

- حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل العربية، الجيل الجديد ناشرون 2009.
- شلومو صاند: كيف تم اختراع الشعب اليهودي، ترجمة المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، 2010.
- شلومو صاند: اختراع أرض إسرائيل، ترجمة انطوان شلحت وأسعد زعبي، نشر (مدار) 2014.
- د. أحمد داوود: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل، دار المستقبل، دمشق 1991.
- د. أحمد داوود: تاريخ سورية القديم تصحيح وتحرير، دار الكتاب العربي، دمشق 1997.
- د. أحمد عيد: جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، مركز المحروسة للبحوث والنشر، القاهرة 1996.
- د. عصام سخيني: نقش الملك التوراتي، المركز الفلسطيني للإعلام ـ على الانترنت 2013.
- د. عصام شكيب: التوراة تتحدث عن بيت الله الحرام، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء 2013.
- د. علي فهمي خشيم: آلهة مصر العربية (مجلدان) الدار الجماهيرية، ليبيا 1990.
- د. علي فهمي خشيم: القبطية العربية، مركز الحضارة العربية، القاهرة 2003.
- د. لطيف الياس لطيف: لبنان التوراتي في اليمن، دار الجنوب للطباعة، صيدا 2000.
- د. محمد بهجت قبيسي: الكنعانيون والآراميون العرب في الامبراطورية الرومانية الطبعة الثانية ـ دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.

- د. اسرائيل فنكلشتاين ونيل سلبرمان: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها. ترجمة سعد رستم، الاوائل للنشر والتوزيع، دمشق 2005.
- زياد منى: جغرافية التوراة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن 1994.
- زياد منى: مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت 2000.
- فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة (مجلدان)، دار الفكر، دمشق 2009.
- فاضل الربيعي: القدس ليست أورشليم، الريس للنشر، بيروت 2010.
- فاضل الربيعي: حقيقة السبي البابلي، جداول، بيروت 2011.
- فراس السواح: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دار المنارة، دمشق 1989.
- فراس السواح: آرام دمشق وإسرائيل، دار علاء الدين، دمشق 1995.
- فراس السواح: تاريخ اورشليم والبحث عن مملكة اليهود، دار علاء الدين للنشر، دمشق 2001.
- فرج الله صالح ديب: حول أطروحات كمال الصليبي، بيروت 1989.
- فرج الله صالح ديب: التوراة العربية وأورشليم اليمنية ـ مؤسسة نوفل، بيروت 1994.
- فرج الله صالح ديب: كذبة السامية وحقيقة الفينيقية ـ مؤسسة نوفل، بيروت 1998.
- فرج الله صالح ديب: اليمن وأنبياء التوراة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت 2012.
- فكتور سحاب: إيلاف قريش، كومبيونشر بيروت والمركز الثقافي العربي 1992.

- كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت 1986.
- كمال الصليبي حروب داوود، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 1990.
- كمال الصليبي: خفايا التوراة وأسرار شعب اسرائيل، دار الساقي 1988.
- كمال الصليبي: البحث عن يسوع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 1999.
- كيت وإيتلام: تلفيق اسرائيل التوراتية، ترجمة ممدوح عدوان، قدمس للنشر، دمشق 2002.
- كيث وإيتلام: الجديد في تاريخ فلسطين ـ الجزء الاول، ترجمة فاضل جتكر، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق 2004.
- معين أحمد محمود: تاريخ مدينة القدس، دار الأندلس، عمان 1979.
- نيلز لمكة: الجديد في تاريخ فلسطين، ترجمة عدنان حسن، قدمس للنشر، دمشق 2004.



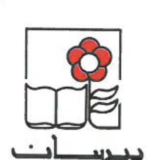
سرقة وطن

كيف جرى تزييف تاريخ فلسطين

• محمد السرحي مثقف عربي ولد في فلسطين وهاجر ودرس في لبنان وانتقل إلى الخليج حيث عمل في التجارة. وقد أضناه الشوق إلى أرض فلسطين وهاله عدم وضوح الحجة السياسية العربية حول حق شعب فلسطين في أرضه. فعندما تطلب من عربي أو فلسطيني أن يقدم حجّته بما يؤيد دعواه عن فلسطين تراه يقول بأن فلسطين أرضنا أباً عن جد وأن اليهود اغتصبوها منا بدون حق. وان هذا الكلام غير كاف لاقناع القارئ أو السياسي العالمي. الحجة المطلوبة يجب أن تخاطب العقلية العالمية التي قام اليهود ببنائها على مدى الفي سنة منذ ترجمة التوراة السبعونية التي أدّت إلى اقتناع العالم بأن بني إسرائيل كانوا في فلسطين وأن مملكة داوود وسليمان كانتا في فلسطين. لقد عمل الكتّاب التوراتيون من يهود وأوروبيين وأميركيين على إقناع العالم بما ورد في التوراة المزورة حول وجود شعب إسرائيل والوعد الالهي لهم بأرض إسرائيل من النيل إلى الفرات. واعتماداً على اقتناع العالم بتلك الفِرْية عملوا على خلق وطن إسرائيل في فلسطين وهم يدركون تماماً ان فلسطين ليست أرض التوراة. وقد اقرّ علماؤهم بتلك الحقيقة بعد أكثر من مئة سنة من التنقيب في معظم أرض فلسطين حيث اعترفوا بأنهم لم يعثروا على أية مكتشفات تؤيد إدعاءاتهم. ويقول الكتاب الإسرائيلون الآن بأن مرحلة إقناع العالم بأرض إسرائيل في فلسطين انتهت وأصبحت دولة إسرائيل حقيقة قائمة ولم يعد يعنيهم إثبات وجودهم القديم في فلسطين ولم يعد يخيفهم بأن تنكشف خديعتهم عن الوعد الالهي. الآن هم يتقدمون إلى الأمام والعرب ضائعين منهكين.

ماذا سيفعل العرب أزاء ذلك؟؟؟

• قد يكون هذا كتابي الأول والوحيد. فإن مهنتي ليست التأليف ولكنني أردت أن أشرك الأخرين بآرائي فقد تنفع في دفع فهم العرب لقضية فلسطين الى مزيد من الوضوح. المطلوب توضيح وتوثيق تاريخ وجودنا في فلسطين دون اللجوء إلى التوراة وإلى مؤلفات الكتاب التوراتيين. إنها مهمة صعبة مطروحة أمام الكتّاب والباحثين الفلسطينيين بالذات والعرب عامة. جلاء تاريخ الشعب الفلسطيني في فل... البداية. واشدد بأن يبوس ليست قدس فلسطين.


بيسان